

# مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الحادي والأربعون  
جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ  
مايو ١٩٧٨ م

# مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الحادي والأربعون  
جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ - مايو ١٩٧٨ م

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:

إبراهيم التريز

# الفهرس

## تصديرو

للدكتور مهدي علام

● قصة العامية في العراق ، تاريخها وواقعها

للدكتور ابراهيم الساموالى

ص ٢٥

## البحوث

● من قصة العامية في الشام

للاستاذ سعيد الافغاني

ص ٧

● تقريب العامية من القصص

للدكتور حسين طلي محفوظ

ص ١

● اللغة والواقع

للدكتور محمد عزيز الحبابي

ص ٢٩

● من اسرار الزيادة في القرآن الكريم

للاستاذ طلي النجدي تاصف

ص ٥٧

● النصبي الماصرة

للدكتور شوقي صيف

ص ١٦

● كتاب ابن عسكر وابن خميس في مشاهير

مالقة

للاستاذ محمد الفاسي

ص ٦٢

● خواطر حول الترجمة الدالية في الاسلام

للمستشرق الالساى رودلف زلهام

ص ٢٧



● العربية في تونس بين الفصحى والعامية  
للدكتور الشيخ محمد الصيب ابن  
الحوجة

ص ٦٩

● بين اللغات العامية والألمانية المندون  
للاستاذ التناذلي القليبي

ص ١٢٢

● العربية أمس واليوم  
للاستاذ عبد الله كتون

ص ١١٥

● شواهد على صحة أشعر الجاهلي  
للدكتور ناصر الدين الأسد

ص ١٤٥

● نجر الجغرافية العربية  
للدكتور محمد محمود الصياد

ص ١٢١

● بين العامية والفصحى  
للاستاذ عبد الرزاق البصير

ص ١٥٥

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تصدير للدكتور مهدي علام

في هذا الجزء من المجلة ثروة علمية يتلذذ أن يضمها جلد واحد . فلأنها تجمع بين شعبها ووحدةها في نطاق إطار واحد . ذلك أن البحوث التي يضمها هذا الجزء من مجلة مجمع اللغة العربية كانت ثمرة تخطيط لتكون موضع البحث والدراسة في مؤتمر الدورة الرابعة والأربعين للمجمع . وقد نجح ذلك المؤتمر نجاحا فسيحنا في هذه البحوث ، كما سجلناه في مجموعة المناقشات التي دارت حولها .

لقد كان الموضوع الرئيسي في ذلك المؤتمر هو « العلاقة بين القصص والعامية » وقد جاءت البحوث في هذا الموضوع من أساتذة متخصصين ، ومن عدد كبير من البلاد العربية التي لكل منها حامية خاصة .

واشتملت البحوث ، إلى جانب هذا للموضوع الرئيسي ، على عدد من البحوث الأخرى التي يتوفر عليها أصحابها الذين وهبوا حياتهم لها .

وسيري القاري أن عشر بلاد اشتركت في هذه البحوث بتدوينها في المؤتمر . فإلى جانب مصر الداعية للمؤتمر ، كان هناك الممثلون للأردن ، وألمانيا ، وتونس ، والجزائر ، وسورية ، والعراق ، وفلسطين والكويت ، والمغرب .

وبذلك يبرهن المجمع ، في مؤتمره هذا ، كما يبرهن دائما ، في كل مؤتمراته ونشاطه ، على أن لغة القرآن الكريم هي الرابطة الوثيقة بين الناطقين بها ، وأنها أحد المقومات الأساسية الأصيلة للعروبة .

مهدي علام

الأبشام للمجمع والمعرف على اللغة

# البحوث

# من قصة إعمامة في الشام للأستاذ سعيد الأفغاني

**يعتري**

بعض الكلمات ما يعتري  
حيات الأحياء : ميلاد  
تفرع قطيبت في أطوار

بعض أطوار ، ثم لتفكك أحياء تلكمات ، وهو ما يعبر  
عنه بـ ( حياة الأقطاب ) ، وما يترى أن كلمة ( حيات )  
رابعة ، لأن لفظة تفتي بحيات ، ولما  
بانت الكلمات على مدى الأزمان ، إياها  
شمل تفتي تردد في المعجمات ثم الكتب  
ثم بعد من الحاجة ما يفتيها من مرقعها ،  
وأولى من كلمة ( حياة ) حثي أن تقول  
( تاريخ الأقطاب ) ، فكل من لفظ سبل  
حائل لا يبدو قبيحاً ، ويغني للصح بصير  
وحث على التفتان أكثره .

وما استمع بأحد لغوي استقامه بحث  
وقد صابه إلى بحث ما عطلت الأزمان في حيا  
السجل من ثولات .

لقدت هنا لأقول إن ما صح في  
كلمات يصح في للهيئات الخليلات أكتاف

وأسموتها ومركبات ، ( وما رجع أحياء  
بما كره إلى عهد عهد برهمن طبعات الباعة  
حينئذ من جزائر وقطر وخصار وروز وبعيد  
ونحو وحساد من مسطر في ذكاته وجوال ،  
وبتأبها بلهجات أنظم لمحب كيف  
تقلت هذه اللهجات في السنين الخلال على  
ألسنة الصغار والكبار .

أذكر أن عند التالين حيا كنت في زيار  
الأستاذ الفقيه عبد القهن الخطيب في مكتبة  
المطبعة المروية وكان أطول كلام<sup>(١)</sup> سنة ١٩٢٠  
مكروما عليه خبياً بالإعدام من المجلس الحربي  
الفرنسي لإمتهانه في حرب جيلون ، ثم  
استوطن مسروئلاً بعد الإفراج القويمة ،  
وبعد الفتح الأميريها . ذوقه فطنت بحذنا  
من بعض تاريخ القضية السورية ( وقد ذهب  
مع كثير من تاريخها الصحيح ) ثم جره الحديث  
إلى ذكره في دمشق وإلى قصة جرت فيها  
لدينا بحر صبي ، تجري على ألسانه تهر

(١) انظر التالين على قصة في بعض جملات مؤرخ الحديث القويمة والذين ( حياة الأقطاب ) من  
رجع الأمر سنة ١٩٢١ = ١٤٠٢ في مارس ( آذار ) سنة ١٩٧٨ م

(٢) نظام من الحرب على الأجزاء الإثنية الفلسطينية الإدارية القديم تسميات ( ملكي يكره ) ، فرد  
الكتيرة : سورية ، ولبنان ، والأردن ، والسعودية ، أي من جهات الحدود من شمال إلى جنوب والبحر الأحمر  
جنبا : وهو العراق شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً .

لم أفهمه ، وكان مستعابن لغة الكاتب الأديب المعروف الأستاذ علي الطنطاوي ، فسأله بعد خروجه : ( هل سمعت هذا التعبير ؟ وما معناه ؟ ) فقال : ( لقد سمعته ، أنا نويت أن أسألك ) . وحاولنا التذكر فالتفتنا ثم قلنا : هو ممايات من العلمية الشامية لا يعرف إلا المعشرون ، واليوم نسيت أنا هذا التعبير ولا يحض عليه المتكلمون من الأحرار .

• • •

نشر الخليم في الشام وغيره أول هذا العصر تكفل بأمرين : أولهما الارتقاء بتلك اللهجات في هذه السنوات الستين ، وثانيهما تقريبها من الفصحى المألوفة ، حتى صار اليون شاميا بين العامة القديمة والعامة الحديثة ، وبأن جعل هذه أكر الثقافات والتطويع ، ووسلت النصائح على ألسنة اللوام محل الكلمات العلمية بالملفات ، فإذا حدثك اليوم جزر أمي حديثا ما ، أمكنك بشئ من التمس الخفيف من إعراب وتبديل بعض كلمات أن تنشره في جريدة أو مجلة ، وكنت قبل ستين عاما تترجم مثله إلى لغة الكتابة ترجمة .

هذا عمل الزمن من حيث لا نشعر ، ولكن ماذا عن اللغة الواحية الرائدة من الجيل الماضي الذي فتح عينه على عصر جهل وظلام ؟ إن بحثا جرى بصبر وثبات أرشد إلى أنهم كانوا واللهفة في كل ميدان على قدره

لقد أوتوا من الغرائم ما ألهمهم بأصحاب الرسائل في أمهم ، ولم يكن برغيم في ميدان اللغة إلا أن تم القصص الأصيل للدراس والدور والأسواق ، أو كما يعبر بعض إخواننا في مصر : كانوا « حامييز فتح الله » في الشام والأستاذ معا ، ألفوا الحميمات وأقاموا النوادي ونشروا حرف القراءة في الأحياء مطلع هذا القرن ، وسرموا في مجالسهم الكلام بغير الفصحى ، بل إن أئدهم وهو الأستاذ عبد الدين الخطيب أراد الفصحى أن تحتل مقامى الأستاذة التي يرتادها العرب ، فحث رفاته الشبان على هجر المصطلحات التركية والفارسية حين يلهون الرد ، وأن يقولوا مثلا : ( ستة خسة ) بنك ( شيش ييش ) ، فاستجابوا له واصلوا ملتفتين لأنظار والأسماح في لحيى ، بل إن بعضهم يأتيه السائل في مقهى يلتمس يستجدي ليطعه ما يقابل جماله بالفصحى ، فإن أداها سليمة أعطاه ، فصار المستجيدون يلقن بعضهم بعضا ماذا يقول هؤلاء الألفية حتى يحظى ، ( للتبليك ) ( ١ )

حصل جو الشام طابع هؤلاء الرواد المتحصنين ، وما زال أذكر كيف كنا - ونحن أطفال - في مدرسة أولية خاصة لا تكلم في الفصح بين الدروس إلا بالفصحى التي نستطيعها ، وأشد ما يحاذر أحدنا أن نلهي

( ١ ) انظر كتاب ( من سحر لغة العربية ) ص ٢٧ ( طبعة الثانية ١٩٧١ م ) .  
التبليك لله تركي مبتذل ينادي قرصين ونصف قرص .



الهيئة ونخبة الرصد (البنال) في حوزة  
 فيسجل عليه الرقيب حيث درجة في سود  
 السلوك . وكان إشتغالنا بالناس على الأطفال  
 الذين نقلهم أولادهم من مدارس الحكومة  
 الجديدة إلى مدرستنا الخاصة هذه ، وذلك  
 في سنة ١٩١٨ م آخر العهد العالي في الشام .  
 لهم في أيامهم الأول كثيرا ما سبقهم السنم  
 حين يتكادون . في العهد الصباي فيجيون  
 بكلمة (السنم) المألوفة في المدارس الرسمية ،  
 فيخرجون إلى وسط الباحة يلقون على أكفهم  
 البسطة المضربات لقررة من عصا الرقيب  
 إذ كلمة الجواب الواجبة في مدرستنا هي  
 (ليك) .

وما تسمى لا تسمى التثنيات التي تعلما  
 للمدرسة كالتحذات السخية يلقى إليها  
 أولياء الطلاب وفريق من الوجهاء وهي في  
 جملتها ترقية أو اجتماعية ، وفيها دور  
 قصير يؤدي بالعامية البلدية ، هو مجلة  
 الترفية والضحك من الظلوة ولا سيما الأميين  
 منهم لتشارزة البارز .

حتى الصحافة ، غالى بعض أولئك الرحيل  
 فأراد القتها أن تكون مسجومة من السط  
 العالي في رأيه يومئذ ، فهذه جريدة (لسان  
 الحال) الصادرة في بيروت ، من سائل  
 الشام سنة ١٨٧٧ م ، التزمت في اختلاصها

القصص المسجومة ، بدأها صاحبها خليل  
 مركبيس بقوله : والحمد لله الذي يسبح  
 بحمده في القلوب والأصبال ، ويتعلق ملصقا  
 بصناد الآله (لسان الحال) ... حينئذ يندوم  
 آلاء الليل وأطراف النهار ، ما حرد قمرى  
 وترنم هزار... (١)

وأصعب مما تقدم محاولة قام بها المرحوم  
 أمين آل ناصر الدين لإصدار جريدته كلها  
 نظماً ، وقد جاءت الأخبار فيها منظومة نظماً  
 فيه رشاقة وإصابة عجز ، وخفة روح أحياناً  
 اجتاحت حاصفة ناعية (جيزين) وسيت  
 عصار قلدوت مليون قرش فقالت الحرية  
 تصف حوادث العاصفة :

حصلت بجزين العواصف حيث لا  
 ظمت بها الأشجار من جوف الأرض

وقد خذا شجر الصنوبر مائلا  
 تلك الربوع ، وبالألوف خدوا  
 والبحوز والزيتون عجز كلها الأجر  
 ر عن المنازل طيرا

أما الخسفر فهي بالغة بها  
 مليون قرش ، إن ذا قدر جرى

وفيلو (تيا) لم يجد لسوقها  
 أثر وقد لوت الوحوش إلى القرء

والثلج قد خطى النهار جميعها  
وانسدت الطرقات حتى لا ترى  
وقضى مكاف في الطريق لعظم ما  
قلبي ، وآخر في الثلج نظرا  
وزاوت ملوحة ميناء بيروت فوردت ها  
هكذا :

أوست ميناء بيروت ملوحة  
لما لوله على (توقل) معقود  
ومد دست أطلقت حالا منافعها  
لحية ، إن هذا الأمر معهود  
وقلة الثروة قد ودت نحيبها  
إن السلام لن أدله مرعود<sup>(١)</sup>

وكنت يذكر انتفاضات شعب (البوير) على  
الاستعمار البريطاني في جنوب أفريقيا ،  
والحرب التي شنها في الترسغال فكانت  
اللائحة الحرة لهد الملكة فيكتوريا ، إذ كانت  
مواطف الجماهير مع شعب (البوير) .  
وتحوت الملكة فيكتوريا سنة ١٩٠١ ويونينا  
رئيس مجلس النواب التمسوى بكنية محاملة  
مثليا عليها ، فيثور المعارضون في المجلس  
وتقوم الضجة ، وهذا نص الخبر في الجزيرة :  
جرى في مجلس النواب شيء  
يقل على التعصب في الأمور  
فلان رئيسه أسدى مديحا  
لل فيكتوريا ذات السرير

(١) ، (٢) المصدر السابق

(٢) من جليل اللغة العربية ص ١٦٦ .

ترحم في مقابلة عليها  
وأجع ذلك بالأسف الكثير  
لمحرب (الراذكال) لخطاه منه  
وأصبح منه في غيبه كبير  
فصاحوا كلهم غيظا وحقدًا  
ليجي مظنرا شعب (البوير)<sup>(٢)</sup>

نشرت الافتتاحية المسجعة سنة ١٨٧٧ م  
قبل مائة عام كاملة ، وكانت الأخبار المنظومة  
شعرا سنة ١٩٠٩ م أي قبل ثمانين عاما ،  
في عنوان عهد التريك الذي مارسه حزب  
الاتحاد والترقي بعد خلع السلطان عبد الحميد ،  
وأظن هذا كاليا في الدلالة على روح الشام  
الأصيلة في تشرب القصصى وجريان حبا  
في أهله مجرى الدم من العروق ،  
وحمل أن كل نزع مخالقة هي نزع مزورة  
أجنبية ، وستبقى مهما يطل الزمن بها ومهما  
يطل إلف محرقها لها ، أجنبية عن الشام  
وسائر الأقطار العربية<sup>(٣)</sup>



هذا قبل مئة عام ، واستمرت الجهود  
في بحث القصصى ثرى ، ومن كثرة ماكتا  
نسمع في صبانا من تضرع من العامة ونحيب  
بالقصصى ، انتقل الكشاشم بالعامة إلى القرويين  
ونحفظ ذاكرتي نزع ربيعة قمت بها مع  
أبي رحمه الله في غوطة دمشق يوم جمعة ،

لما حانت الصلاة فصلنا مسجد قرية قرية ،  
وكان الخطيب يقرأ من كتاب ، شأن أكثر  
خطباء القرى يومئذ ، إلا أنه قيل أن يجلس  
بين الخطيبين توجه إلى القرويين يحلهم  
بالحجيم الخارجة من أمر فشا بينهم ، فلما  
قضيت الصلاة واتجهت نحو الباب إذا أحدهم  
يسأل جاره بصوت مسموع : ( ألم قصد  
صلاة الجمعة بقطع الخطيب الخطبة والكلام  
بالعلمية ؟ ) فكان الجواب : ( إلا أنه نريد  
الصلاة واحدة ينفروا صلح ) !

صار من دأب للتعلمين والعلمية حبيب  
من سبق لسانه بكلمة هامة ، وكنت قد  
ظفرت قبل سنوات ببعض قصيدة تعكس  
الروح السائدة قبل سبعين سنة لم تشر واحفظ  
بها أحد معارف ، نظمها صاحبها الشيخ  
أبو السعود مراد سنة ١٩٠٨ أيام العهد العثماني  
منفراً من التاميات الدارجة ، وضرباً على  
قبحها الأمثلة ، ومن آياتها :

أسفا لنته الحرب القصوى

قد ضاعت منا بالعهد

واليوم

تتلوننا لنته

حرجاء ملهبة القصد

ملكنا ألقائنا موحش

ما فيها من معنى يجدي

والعالم لا يتحاشاهسيا

فضلا عن ذى الجهل الصمد

فاسمع بعضنا منها ليا  
أقربه إليك وما أبدى  
زحوظ تظنط أه يلمبطط  
حاجة تظنط الحظف هدى

إسوا إسوا ، لك لك هي هي  
أه أه شو شو ؟ دس دس خدي

وطلع من طيز الصبح ومن  
عليكرا في وأت البرد

لرجيني ، ياروح ، يصطفلو  
ضهرتك بلك ، أوحسا ، دي دي

ماما ماما ، مفا مفا  
بلاشلا فابت يهدى (١٠)

وبعض هذه الكلمات لم أسمعها ولا عرفت  
معناه فقد مات . وعلى هذا تكون الصرخة  
في تشيعة اللغة من العلمية قدبة في الشام .



ثم وقع الاحتلال ، وبرزت مراكز  
أجنبية كلفى الدعوة إلى التاميات المحلية ،  
وتجسست على المال والمناظر والعملاء والنشرات :  
وعمل طام المخطون في الخفاء : وأذكر أن أحد  
رؤساء بلدية دمشق أيام الاحتلال - وكان  
على جهالة المحتلين صادق الوطنية - جاء  
على لسانه خطاً من حيث لا يشعر كلمة  
( اللغة السورية والشعب السوري ) من  
كثرة ما سمعها من هؤلاء العملاء ، فأرسلته  
الصحف الفكاهية المصورة فكأ وتكيتاً ،

وتصلت له المصحف اليومية ، فلم تفس  
شفتاه بعد ما يـ ( السورية ) البقة ؛

ظهر المستلثين تجاه هذه الوطنية العنيفة  
عزم محاربتهم ، فطووها من داخل الشام  
( حكومة سورية حينئذ ) بعد أن ضُحكت  
عليها ، وركزوا جهودهم في الساحل ( حكومة  
لبنان الكبير يومئذ ) حيث كانت لهم فيه قيل  
الاحتلال بأكثر من ثمانين سنة مراكم  
وجهود سابقة في خلق تمكلات ونزعات  
طائفية، وأذكوا بين الطوائف المداوة حتى  
هم البو الكرامية يعامل بها بعض الطوائف ،  
ولتزموا من بينها طائفة واحدة يقوونها في  
مجتمع الكرامية هذا ، ويرجعون عملاءها  
وإساحتها في كل دعوة إلى ضرورة أو تمييز  
أو انفصال ، ومن ذلك التشكيك في أصلهم  
العربي وصلاحياتهم للتصحي والحرف  
العربي والثقافة العربية بجملة مما عرضت له  
في غير هذه الكلمة .

ثم استرحنا من ذلك كله في داخل الشام ،  
وخضت مع الزمن - بعد إخلاء - دعاية  
النشر هذه في ساحل الشام ، وإن كانت

تطل من جوارها الباقية بين القبة والقبة  
ترجع الآتين المطمئنين على أوطانهم ولحم  
ومفوماتهم واستقلالهم . وقد تبرى لمؤلاء  
الكنائس المكرهين ، أفاضل من كرام  
الميلانيين ذوي الأصالة<sup>(١)</sup> ، أوضحوا  
لناس ريف دجلوهم ، لمصحي ماوراءها  
من سموم التبشير والاستعمار . وكنت أحب  
ألا يبرغوا لهم ، فإن ما يطر من دعايتهم  
من لوم الطائفية وعبث الأجنبية كاف  
لفريقنا حتى في أمين العوام .

لئن لا أرى لأحد من أهل الفضل والخبرة  
أن يشتغل بالرد على كل ناعق ، فإن ذلك  
يثبت لم وجوداً وعلماً كل ما يبتغونه ، إذ هو  
المسوخ الوحيد لإدراك الأموال الأجنبية  
عليهم ، فلتلهم وما اختاروا من معاش ،  
ونحن قلماً في مصبنا القضاء القبة لا  
يلهنا عنها سوتون نصبوا ذات اليمين أو ذات  
الشمال ، نبقى متمسكين بما بدأه الأجيال  
الصالحة من قبلنا ، ومجهدين لأجيال بعدنا  
نرجو أن تكون أصلح بهون الله .

سعيد الإلفاني

عضو المجمع للرسائل من سورية

(١) أذكر منهم الآن كل من: المثل ، الأستاذ عمر فروج عضو هذا المجمع الكريم ومجاهد ( القومية المحمدية ) ،  
والذكور سعيد شهاب الدين ورمات ( دعاية ليلية هم أبناء القومية العربية )

# تقريب العامية من الفصحى

## دكتور حسين علي محفوظ

- عناصر البحث :
- سمة اللغة العربية ولغاتها بالألفاظ والمصطلحات .
- دور اللغة العربية في تكوين اللغات الشرقية وإمداد اللغات القريبة .
- دور العربية في حفظ تراث الإنسان .
- النصحي وأبلة العرب ؟
- ضرورة نشر النصحي ، والحفاظ على العربية ،
- تقريب العامية من النصحي ؟
- نظرة في العامية العراقية ؟
- اللهجة العراقية حصارة لتاريخ الإنسان في العراق ؟
- الألفاظ الجاهلية في العامية العراقية .
- أصول الألفاظ والتعابير العراقية و التراث .
- الألفاظ التركية في اللهجة العراقية .
- الألفاظ الفارسية في اللهجة العراقية .
- الألفاظ الإنكليزية في اللهجة العراقية : الخلاصة .
- اقتراح جمع الكلمات الأجنبية للمستعملة في اللهجات العربية وتوحيد ما يقابلها من النصحي .
- اقتراح نشر الكلمات العربية واستعمالها بدلاً من الدخيل .
- تخصيص قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية .
- اقتراح الدعوة إلى تطبيق القانون في البلاد العربية .

## تصدير

والإنشاء والتعبير ، والترمذ القواعد  
والمصطلحات في كل أبواب المعارف والمعلوم  
والمتون وفي كل شؤون الحياة . وفي جميع  
كتابي الحكيم والتعبير . وقد أعطت الأمم  
الشرقية ما تحتاج إليه من الكلمات والمفردات  
والمصطلحات في الدين والعلوم . وأسهمت  
في تكوين الثقافة الشرقية . ودمتها (الخط  
العمري) وما زالت تمدنا بالألفاظ كما أمدت  
اللغات الأوروبية والإفريقية بالعديد من كلمات  
المصطلحات والعلم .

\*\*\*

### لغة في الحضارة العربية

للإنسان تاريخ طويل في هذا الجزء من  
الأرض . وقد مرت به من طبقات الأمم ،  
وأجناس الشعوب ، وغروب الشمس المظلمة  
وبدايات جنة عدن في العراق ، قد أعطت  
من الإنسان الأول . وإذا كنا نلاحظ  
لتحولات لغتنا تلك يلبث الألسنة . وقد مرت  
لغات ، ونطقنا اللهجات .

كان العراقي - على كل حال - من  
فلسطيين ، ورومي الأكسبيين ، ومروني  
البليين ومنشأ الآشوريين . وقد جمع به  
الفرس ، واليونانيون ، وفتح العرب ،  
ونبوته قبال الجزيرة .

ومما زال عنها جزء واحد ، ويرجع فيه ،  
ويطارد من ، ويتردد أنظار علماء

ولمحة تجارة الصين في الشرق ، وأما  
في رواد الأندلس في الغرب . وساعة  
هوارد من الروم . وداره فرس من الهند .  
عاشق فيه للشرق والغرب . وربط الشرق  
بالمغرب .

العمري لغة عربية ولغة خفية بالألفاظ  
والمصطلحات في كل أبواب المعارف والمعلوم  
والمتون وفي كل شؤون الحياة . وفي جميع  
كتابي الحكيم والتعبير . وقد أعطت الأمم  
الشرقية ما تحتاج إليه من الكلمات والمفردات  
والمصطلحات في الدين والعلوم . وأسهمت  
في تكوين الثقافة الشرقية . ودمتها (الخط  
العمري) وما زالت تمدنا بالألفاظ كما أمدت  
اللغات الأوروبية والإفريقية بالعديد من كلمات  
المصطلحات والعلم .

وقد سمع هذا اللسان المدين تراث العرب  
في العلم والأدب والفلسفة والصناعة والفن .  
وحفظ موارث الإنسان وما خلق من عجايب  
وحداثة وفكر ، في كتب وأسماء ودقائق  
بلغت الملايين تحترق في دور الكتب والمكتبات  
العامة والحامية في الشرق والمغرب .

هذا - وليس لنا ( إذا فرغنا اللهجات )  
إلا ، القصص ، رابطة قوية بحكمة ممتدة  
أمة ، ملائمة من لغتها ، والمصطلحات فيها ،  
وتدريجها ، والتي لتقريب العلمية منها .

ثم لابد من إيجاز اللسان ، وتلخيص  
اللسان والعلم ، ورعاية الصياغة ، وتوضيح  
البيان والسهولة والوضوح في  
الكلام والبيان ، والتأليف والمصون ،  
والترجمة والفن والمصير ، والكلمة

ومشي أهل في مناكب الأرض فلبثوا  
المحروم ، ووصلوا إلى الصرور وقد أوجعوا  
خيالهم حل الصين . وأقبلوا يرتجون إلى بلاد  
الإنرج ومعدوا أصيبتهم إلى ما وراء المحيط .

وخضع هذا الملك العليبي لسلطان الترك .  
وقد كان لديه معتزلة فواوسهم ومحط  
وكاهم حقا ورثها أوربا بضع مئين . . .  
حول وأهم ، وأبهم وأقوام ، ومنل ومنل ،  
ومناهب وآراء ، ومعادات ولغات ،  
وحبانات ولحجات .

الثقت في العراق الأمم ، وتعارفت في  
صعيدة الشعوب ، وعشايك في وشايجه  
السماء ، ومزجت في مريد الطياع ،  
وتزوجت في رجة العقول ، واتصلت في  
مآجات الآراء ، وتواصلت في مباته  
الأكسة ، ومرك كل أولئك آثاراً  
مازانت ملاحها في الأعتلاق والمعادات ،  
واللهجات ، والحياة ، والطعام ، والقباس ،  
والقراض ، والرقص ، والغناء وأسلوب  
الطيرة ، والكلام ، وخن القول ، والسفن :

تلك — إذن — قصة الملوكتور العراقي ،  
ومخلاصة تاريخ الالهجة العراقية ، وقصة  
الأدب العامي . وهي زيادة حطب طوال ،  
ونتيجة حصور مديدة ، وعصارة دهور  
مروجة في الزمان . فهي من موارث  
تداول الحضارات ، واجتلاط العالم الأدنى

وقد طورها تأثير العصر العباسي ، وصيغها  
اتصال للمراق الشعر ياخزيرة ، وصلته  
الناجمة بحاراته في الشمال والشرق ، ومحركة  
المواصل بأوربا والغرب .

هذا — وقد جاءت التجارة بالكثير من  
الأشياء والأسماء . ودخل مع الحضارة  
العديد من الآلات والأدوات . فالحجة في  
العراق موصولة بالحديث بالقديم ، مقصدة  
الحاضر بالغاير . فكل قول ذكرى عهد ،  
وكل تعبير سمة فترة . وكل كلمة صورة  
زمان .

ففي كلامنا ألفاظ نستعملها في الحياة  
أبو دؤاد الإيادي ، وأبو الفهم النحوي ،  
والأعشى ، والأعلم الخليل ، وأمرؤ القيس ،  
وأرس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ،  
ونعيم بن أبي بن مقل ، والحارث بن حنزة  
أليشكري ، والحطيفة ، وديد بن الصمة ،  
وزهير بن أبي سلمى ، وصبرة بن فبرة  
الهمشلي ، وخرقة بن العيد ، وطفيل النخوي ،  
وعبيد بن الأبرص ، وجلي بن زيد ،  
وليد ، والملقب ، والنايفة . . . فقد جاءت  
( بك ) في شعر زهير ، و ( تحلق ) في  
شعر الأعشى ، و ( الحلال ) في شعر أبي  
دؤاد ، و ( حبرة بنرة ) في شعر امرئ

التيس ، و ( نعيم ) في شعر ليد ،  
 و ( اللجذاج ) في شعر نعيم ، و ( الشريعة )  
 في شعر حدى بن زيد ، و ( الككة ) في  
 شعر أبي النظم ، و ( الككة ) في شعر أوس ،  
 و ( الملة ) في شعر الخطبة ، و ( البية )  
 في شعر بشر ، و ( الغميان ) في شعر الحارث  
 ابن حلزة .

و استعمل أبونا ( الأسباب ) بمعنى المتاع  
 و ( التسليم ) في الأعمال و ( الخسل ) بمعنى اخل ، و  
 و ( الخط ) بمعنى الرسالة ، و ( اللخرة )  
 بمعنى الطعام ، و ( الرجل ) بمعنى الزوج ،  
 و ( الشدة ) بمعنى الحزمة ، و ( الشربة ) بمعنى  
 البقرة ، و ( المصانع ) بمعنى التظليل و التعليل  
 و الخادم ، و ( طيب ) بمعنى معاني و حسن ،  
 و ( العلم ) بمعنى الناس ، و ( نفر ) بمعنى  
 الفرد و الجندی ، و ( المور ) بمعنى البحيرة  
 في أيام العباسيين و المورول كما استعملها نحن  
 الآن .

وإذا قال العراقي - اليوم - ( شوية ) أي  
 قليل . فقد قال المصري من قبل :  
 معاهد لم يبق صرف الزما  
 ن منها ومنى إلا شويبا

وإذا قال : ( بيض الله وجهك ) . فقد  
 قالت الرياس أم كلثوم للشريف أبي طالب  
 الأنصاري : « أصلحه بيض الله وجهك » .

وإذا قال : ( على منى وراسي ) فقد جاءت  
 في شعر نعيم بن معبد :  
 قالت إذا كنت من حبي بكيت دما  
 فسقيها على العينين والراس  
 وإذا استعمل ( الظروف ) بمعنى الزقاق .  
 فقد وردت في شعر أحمد بن خاتم :  
 أرى حراً أفسا كلها دموعي

كان ظروفها كانت شووني  
 وإذا قال ( شيخ يده ) فقد استعملها محمد  
 بن عمام الأعمى الربي ،  
 قال :

وقل لابن كيسك وقل لابن مطرف  
 خليكنا بين الحنايا مشبح  
 وإذا استعمل ( من ) بمعنى حدث ، ووقع ،  
 وجرى . فقد ورد في كلمة الخليفة هبان بن  
 عمار - رضي الله عنه - في قصة أبي يزيد الطائي  
 في وصف الأسد ، إذا قال له . هات ما  
 على رأسك . .

وإذا استعمل ( مقموع ) فقد ورد  
 في نهج البلاغة من كلام الإمام علي - عليه  
 السلام - : « خائف مقموع » :

وإذا جمع حديد على ( حديد ) فقد  
 سيقه أبو الطيب :  
 ثياب سيوف الحديد وهي حديد  
 فكيف إذا كانت لزوية عربا



وإذا قال ( حين التي تصيبك تعبى ) .  
فقد جرت على لسان المتنبي :  
خوفاً من العين أن تصاب بها  
أصاب حيناً بها تصاب عني

وإذا قال ( صار لغة ) . فقد قالت  
الحرب : ( كبر حتى صار كأنه لغة ) .

وإذا قال - عند التوديع - ( في داعة الله )  
و ( في آمان الله وحفظه ) . فقد قال الشاعر  
القديم :

لم أكل للشباب في دعة الله  
وفي حفظه غداة توتى  
زائر زلزلني أكام قليلا

سود الصحف بالذنوب ووتى  
وإذا قال : ( حلف بالطلاق ) . فني ديوان  
المتنبي :

لو تكررت في المكر أقوم  
حلفوا بئلك ليه بالطلاق  
وإذا قال : ( توتى ، لم أكل ) أي  
نسبه إلى . فني شعر المتنبي أيضا :  
لما قالوا وما آكلوا

وما أخلصون وما تركوا  
وإذا قال : ( شفت صيب ) أي رأيت حياء .  
فقد كتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان  
بعتلر : « فرأيت حياء أن أملكك بنفس  
لا بد لها من غناء » .

وإذا قال : ( حسب حابه ) : فني القامة  
الأسدية :

فاحسب حابك والتمس  
كيا تنال للتمس

وإذا قال : ( فرد عين ) . فقد قال إبراهيم  
المخزومي : « لي عشرون سنة أبصر بفرد عين »  
وفي تذكرة الحفاظ : « كان الصوري يكتب  
بفرد عين » ولأبي الحسن علي بن يوسف  
القمي المعروف بالقاضي الأكرم :

شيخ لنا يعزى إلى منلر  
مستحج الأخلاق والعين  
من عجب البحر لمحدث به  
بفرد عين ولسانين

وإذا قال : ( يعلم براسي ) : فقد قال  
بديع الزمان الهمذاني : « أعل رأسى يعلم  
الخلق » .

وإذا قال ( من حلاوة روحى ) . فقد  
قال الغزولي : « فمن حلاوة الروح دفته » .

وإذا سمي نجوم النكة ( جده اليتيم )  
أي قدح اليتيم . فقد كانت الصبيان تسميها  
( قصعة المساكين ) .

وإذا قال : ( لسانها طويل ) . فقد  
قالت ليلي بنت النخعي بن صدي : « أنا  
امرأة طويلة اللسان ، لأصبرني على الضرر » .

وإذا قال : « عينة الشيء » أي خياره .  
فني ألفاظ الكتاب « عينة الشيء » وحين  
الشيء .

وإذا قال: (دق على صدره) أى جبراً  
عن استعداده . ففى المحاضرات : إذا  
سأله : دق صدره ويقول : أفعل .  
وإذا عاودته وتقاضيه : دق جبهته ،  
ويقول : « لا قوة إلا بالله » نسيته .  
وإذا قال : (عن طبيب خاطر) ففى  
خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم : « عن  
طبيب نفس » .

ومن أمثلة الألفاظ التركيبية :

آجغ (آجيق) - فاصل .  
آيرى - اضافى .  
اسكى - ممرق ، تقديم .  
أخر (آخر) - ثقيل .  
امزگ (لنزك) آنبوبة .  
أوده (أوطه) طرلة .  
أودطة (أورته) زلية كبيرة .  
برلى (بورغو) مبارلولى .  
برنجى - أول ، جيد .  
بودله (بردالا) بليد .  
بوش - فارغ .

ترس - كلمة شتم .

چامانغ (چامورلى) -- الرائق من الطين .

چاوش (چاوش) - حرىف .

چاشوگه (چاشيق) ماعقة .

داطل (طائل) - حلوى .

دبركه (توبلك) - من أنواع الطبول .  
سرى (سورگى) - مغلاق من «سورگمولى»  
أى الإغلاق .

شيش - مفود .

صلم (صاغلام) صحيح - سلم .

صوج (صوج) - ذنب جرم ، إثم

صوى - أصل .

طابور - فوج ، ١٠٠٠ جندى .

قاجى قوجى (بواب) .

فلورمه - نظم القلى .

قبة (قابا) - غير مناسب ، ضخم ،  
غليظ ، كبير .

قرباج (لرباج) - مقرفة ، سوط .

قرصاغ (قورساق) حوصلة ، كتابة من  
الصبر والاحتمال .

كسكين (كسگين) حاد .

كنداغ (قوتداق) - زحر البندقية .

كوبرى - جسر .

كركك (كوزلك) - منظره .

كيلباخ - فعال انظر . من كل فعال .

و «باق» من «باقلير من» أى الإرادة .

باغدان - اللبنة .

بشاغ (باشيق) - نوع من الكرفية .

بقلمه (بوقلامه) - كتبش .

بوانى (بوانش) - دويلاً ، تمهك .

ومن الألفاظ الفارسية :

بابرج ( بابوش ) - نوع من الأحذية .  
بادگیر - جار الهواء وهو البابا هنج ،  
وقد كان يستعمل في المباني والبيوت للتبريد

بازينه ( بازوبند ) - معصدة .

بازی ( بازو ) فائمة الشيء .

بخشیش ( بخشش ) - عطية .

بربار ( برابر ) مساو ، سواء .

بشت - كلمة شتم .

بنج ( بنگ ) - خدر .

پاچه - كراع .

پايه - رجل .

پخته - مصبغ .

پيشش - سرقة ، اضطراب .

جارك ( جهلريك ) - ربح .

چنگال - شوكة .

مخانه - بيت .

خرده - متفرقة .

خوش - جيد .

دانه - قنبلة .

دوش - كتف .

دمل - طبل ، قارغ ، أبلة .

زمانه - نسائي .

ساخته - حيلة .

صادة - بسيط .

سرکاله ( سرکار ) - رأس العمل .

شوباش ( شادباش ) تعبير عن السرور .

هالرم ( آفريل ) - أحست .

گردانه - فلادة

لته ( لاشه ) - بدن .

مرده شور - خصال .

ومن الألفاظ الإنكليزية

اسد ( acid ) - الحامض .

براكيت ( bracket ) - المشيلة .

بمپر ( bumper ) - المصعدة .

بول برون ( ball bearing ) الحاملة الكروية .

بويلر ( boiler ) - للرجل .

پست ( piston ) - الواحجة .

پلك ( plug ) - السدام .

پليت ( plate ) - الصبيحة .

پمپ ( pump ) - المصخة .

پن ( pen ) - القبرص .

تانكي ( tank ) - الحاية .

تاير ( tyre ) - الإطار .

تفر ( thinner ) - المرقق .

تورنه ( turner ) - المخرطة .

جالتن ( joint ) المصلة .

چوك ( choke ) - الخائق .

دشبول ( dash board ) - لوح

المقاييس .

دينامو ( dynamo ) - المولد .

راديتر ( radiator ) - التبرادة .

رېل ( rubber ) - المطاط .

دوط (two) - اثنين .

ريل (rail) - السكك الحديدية .

سابق (past) - السابق .

سكان (population) - السكان ، الجماعة .

سبرنگ (spring) - لنهاس .

سبون (sowing) - البذر .

سبيل (road) - الممر ، الطريق .

سلف (self starter) - لنهاس .

سكنى لايت (solar light) -

الصورة المنيرة .

سلندر (cylinder) - الاسطوانة .

شكل زرع (seed sowing) -

والمنطقة المزروعة .

شعط (sheep) - الغنم .

شوك (shock) - الحقل .

شوز (shoes) - ملابس

الكعبه .

صانع (sawyer) - الخشبة .

صديم (stone) - الحجر .

طابكير (top gear) - المكنون الأعلى .

فلانين (fly wheel) - العنبر

المنظار .

قتر (seat) - المرحضة .

قنبل (gas bell) - حزام المرحضة .

لوق لايت (fog light) - القبة

الوجه .

فيه (over) - شرط القرح .

نيوز (news) - المصور .

قاربه (carriage) -

الحصية .

كاسكيت (casque) - القناع .

كوب لشمع (cup) - شمعة الشمع

كلنج (clank) - القنقا .

كزبل (roll) - القبة .

كوس (Crank Case) - لنهاس .

كيج (key) - لنهاس .

كبر (key) - صندوق الحفلات

ماطرد (mower) - المحراث .

ملا (mole) - الإبرة .

لينة (line) - الخطير .

مقل (mallet) - اليد .

مردن (rod) - لنهاس ، قنبل .

مرفار (holder) - الحاسكة .

والفر (washer) - الوعاء .

واير (wire) - السلك .

وترمب (water pump) - مضخة الماء

ويل (wheel) - العنبر .

أعلامية :

١ - تحير العامة لعمالية - الصورة

التي من آثار لثلاث سكان المرفق من

الوالم وأنهم ولعرب مصورة لي بولقة

العرب واللغة العربية ، مصوغه في قالب  
المأثور من لغات قبائلها ،

٢- تعتبر العامية العراقية مجيلاً لما ذاع  
وانتشر وحفظ وتبقى واستعمل من ألفاظ  
لغات الأمم التي أقامت بالعراق أو حكته ،  
أو مرت به . وهي كلمات مطبوعات .

٣- العراقي قادر على الإصباح بكل  
الحروف العربية . كما يستطيع الخلط بين  
الحروف .

٤- العامية العراقية أقرب إلى المنصبي  
وهي قادمة إلى التخلص من السخيل . وقد  
تخلصت من أكثر الألفاظ الأجنبية ، ودخلها  
العديد من الكلمات المنصبة ، واستعمل  
أهلها عدداً كبيراً من المصطلحات الأجنبية  
وأقترح :

١- جمع الكلمات الأجنبية المستعملة  
في اللهجات المنتشرة في البلاد العربية  
وتدون ما يقابلها من الألفاظ العربية في  
معجمات خاصة بكل بلد .

٢- جمع الكلمات التي تلحن لها العامة  
من الألفاظ العربية كذلك .

٣- تأليف معجم موحد للألفاظ الأجنبية  
المستعملة في اللهجات العربية جميعاً مع  
ما يقابلها من الألفاظ العربية .

٤- توحيد الكلمات العربية التي تفرق  
فيها يقابل الألفاظ الأجنبية .

٥- نشر الكلمات العربية بدلاً من  
الألفاظ الأجنبية واستعمالها في الجرائد ،  
والمصحف ، والمجلات والراديو ، والتلفزيون  
والسينما ، والمسرح .

هذا - وقد اقترح المجمع العلمي العراقي  
خطة لتبويض باللغة العربية ، والمحافظة على  
سلامتها . فأصدرت لدولة ( القانون ٢١ )  
لسنة ١٩٧٧ وهو ( قانون الحفاظ على  
سلامة اللغة العربية ) وقد نشر في الجريدة  
الرسمية - في العدد - ( ٢٥٨٧ ) - في  
١٦ - ٥ - ١٩٧٧ م واعتبر نافذاً بعد ثلاثة  
أشهر .

وقد أوجب هذا القانون :

١- اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم في  
مراحل الدراسة كافة .

٢- التزام العربية في مطبوعات  
مؤسسات النشر والإعلام ، ومناهجها .

٣- استعمال العربية في تحرير :

( أ ) الوثائق .

( ب ) المذكرات ،

( ج ) المكاتبات .

( د ) المحررات .

( هـ ) السجلات .

( و ) المحاضر .

( ز ) العقود .

(ح) الإيصالات.

(ط) اللوائح.

(ي) العلامات.

(ك) البيانات التجارية.

(ل) البراميل.

(م) النماذج.

٤- اعتماد العربية في التعبير.

٥- تجنب استعمال المصطلحات الأجنبية

إلا عند الضرورة.

٩- إنشاء أجهزة تدعى بـ «لغة العربية

في الوثائق والمعاملات.

١٠- استقريب العامة من القصص

١١- اعتماد التجميع العلمي العراقي المرجع

الوحيد.

وأنا أقترح أن تسمى الجامعات العلمية

العربية ، والمؤسسات العلمية والثقافية في

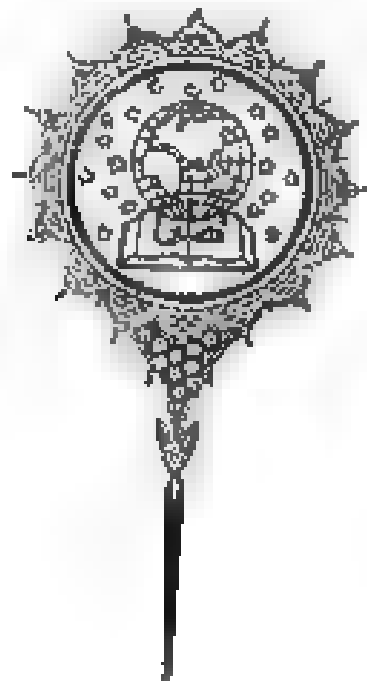
البلاد العربية كلها لتحقيق مثل هذا الإقدام

وأرجو أن تصدر النزل العربية جميعها مثل

هذا القانون .

حسين علي محفوظ

عضو التجمع المراسل من العراق



# الفصحى المعاصرة<sup>(٥)</sup>

للدكتور شوقي ضيف

- ١ -

مراجعة

تاريخ القصص إلى

بضعة عشر

قرنا ، وقد اجتازت في هذا التاريخ الطويل مراحل وأطوارا متباعدة وعل أول مرحلة هي مرحلة الدين الخفيف الذي تطور بالقصص من لغة وثنية مادية إلى لغة ذات دين سامي يحمل ملامح القصة به من قيم روحية وعقلية واجتماعية وإنسانية . وطبيعي أن يحدث هذا الدين في القصص تطورا هائلا في معانيها وألفاظها ، وعادة يقع مؤرخو الأدب عند ألفاظ ابتداء دلالاتها ابتداء ، مثل الإسلام والإيمان والكفر والإشراك والصوم والزكاة والصلاة إلى غير ذلك من كلمات الدين الخفيف . وهي تكثر جدا إذ تشمل كل ما يختلج للشعائر الدينية والمعتقدات والمعاملات من ألفاظ متنوعة للدلالات ، وما لا ريب فيه أن القرآن الكريم يحكم بكل سورة ابتداء لشرعة سامية ولغة دينية باهرة وأسلوب بليغ معجز يأخذ بمجاميع القلوب .

ومرغان مابداً عصر الفصح الإسلامية واستقر العرب في الأمصار وأوطوا يتناولون الحياة تناولاً جديداً ، فقد تحضروا وسكنوا القصور ونصروا بالفرش والملابس والطعام والمشارب ، وأقبلوا على التزود بما كان لدى الشعوب الفخوة من معارف وثقافات . وفي أثناء ذلك كانت القصص تتطور وتتحوّل ألفاظها وتصح لتعبر عن دلالات حضارية وعلمية جديدة . وكما نحت واشتق من مئات الألفاظ للحضارة المادية وأدواتها الكثيرة ، وبالمثل كم نحت واشتق من مئات الألفاظ للعلوم والمعارف ، وتحت القصص أبوابها لألفاظ أعجمية كثيرة عربياً ، تارة تحوّل فيها : في الحروف والحركات ، وتارة لا تحوّل وقد عقدوا لها كتباً مرمدة مثل كتاب المرمم للجواليقي وعملوا للمصطلحات العلمية بمجامع متعددة ، على نحو ما هو معروف عن كتاب مفاتيح العلوم للخلوارزمي .

(٥) الفكر القديم على البحث في مصادر جلسات السمر والرواية والأدب ( مجلة الخميس ٧ من ربيع الآخر

سنة ١٣٩٨ هـ - ١٦ من مارس ( تكوّل ) سنة ١٩٧٨ م ) .

وقد تكامل الفصحى هذا التطور العلمى والحضارى فى العصر العباسى ، وأدته أداة رائعة وهى لم توجد من الوجهتين : العلمية والحضارية بحسب ، بل أدته أيضا أداة رائعة من الوجهة الأدبية ، فقد تزدحم الأدب بفروعه من الشعر والنثر وظهرت فيه فنون مستحدثة مثل الشعر الخليلى والرسائل السياسية والمناظرات واللقاءات والنثر التهذيبى والصوق .

واستطاع الأدباء فى أثناء ذلك أن يخلعوا على أسلوب جديد ، فكدّوه بضوم الخصية وما آثاروه من المعانى للبتكرة ، مع احتفاظهم ليه للفصحى بكل مقوماتها وأوضاعها النحوية والصرفية، وهو أسلوب نهض على أساسين قسطين . هـا نيل الألفاظ الحرفية الجافية، ونيل الألفاظ العامة المسفة المبجلة . أسلوب وسط بين الفرية والابتدال ، يقوم على الألفاظ للخصبة التى لا تنبى عن فوق العباسيين المصنى ولا عن حصم المرهف :

وتتحدد فى كتابات النقاد العباسيين تسمية هذا الأسلوب الجديد باسم أسلوب الموزنيين وسادة يصنفون به أسلوب الأدباء العباسيين ، وخاصة الشعراء ، حين يقابلون بين أسلوبهم وأساليب الإسلاميين والخلعيليين ، غير أنهم لا يمحسون فى الحديث عن بواحث ظهوره ولا عن السبب فى أنه أصبح الأسلوب العام . وفى رأينا أنه ليس من سبب وراء ذلك كله إلا الرغبة الخفية لدى أدباء العصر العباسى

فى تبسّر النصيحى لعصرهم وتذليلها للناس ، بحيث لا تحقّق ألقاظهم على جواهرهم ، ولا يمحسون فيها إسلافًا يخلّ بيانها النصيح :

— ٢ —

وكل ما حدث للفصحى من التواء تطور فى العصر العباسى أخذ يحدّث لها طابعًا من التواء لوسط القرن الماضى ، لقد أخذت تنشأ فيها مصطلحات علمية وألفاظ حضارية لأعداد لها ولا حصر ، وأخذت تظهر فيها وتزدهر فنون مستحدثة ليس لها سابقة، وأخذ الأدباء يسعون بألفاظها ونراكيبها نحو التيسير والتبسيط . وقد أخذ علمونا الأبرار يعمرونها — مسكرين — على أداة العلوم الغربية. وكان فى طليعة مانفقوه إليها علم الطب بفروعه المختلفة، تجمّدت له أولا طائفة من خبر الأطباء ، ثم تجمّدت له أطباء مشهورون، ونقلت كتب فى العلوم الرياضية . ونقل رفاعة الطهطاوى لرتلاميد فى سنة ١٨٦٦ القوانين الفرنسية المعروفة باسم الكود، فى ثلاثة مجلدات .

ورُضعت كتب قانونية وقوانين مختلفة مثل قانون المحاكم الأهلية . ومضت صفوة تنقّل بتقل علم الاقتصاد الغربى ومباحثه عند نهاية العقد الثامن فى القرن الماضى ، وكان يسميه العرب علم المعاش ومضت صفوة أخرى تنقّل بعلم الاجتماع ، وجود غشّى زغلول فى نقله إلى النصيحى معروفة .

وجعل الإنجليز فى سنة ١٨٩٥ لنهم الإنجليزية لغة التعليم فى مدرستى الطب



والفلسفة ، تتوقف تيار النقل في علومهما إلا قليلا ، غير أنه ظل قويا مطردا في سواهما من العلوم ، وخاصة في الاقتصاد والاجتماع والقانون ، وأيضا في الفلسفة . ونجماد الإنجليز جهادا حثيفا وحصل على استقلال مقيد ببعض الشروط ، وتحول الجامعة المصرية الأهلية إلى جامعة حكومية ، هي جامعة القاهرة الآن ، وتضم بجانب كلية الآداب كليات الطب والعلوم والفنون ، ثم كليات الهندسة والزراعة والتجارة والطب البيطري وبأخرة تضم كلية الاقتصاد . ويتكامل امر علميها الألفاظ المتخصصة في جميع فروع العلم .

وتحدث نهضة علمية عقلية ، ويسود شعور عام بوجوب وضع المصطلحات العلمية جميعها في القصحى ، ويخرج الدكتور محمد شرف سنة ١٩٢٨ مجلده التيسير في العلوم الطبية والطبيعية ، ويؤسس المجمع النوى ، ويحمل من أغراضه الأساسية وضع المصطلحات العلمية ، وينهض بهذا الجهد منذ دورته الأولى ، وكلما أمضى شوطا من الزمن اتسع جهده في هذا المجال ، وتكاثرته بحانه العلمية ، وإنه لينال الآن مجموع ما وضعه من تلك المصطلحات أكثر من خمسين ألف مصطلح في مختلف العلوم . وليس ذلك كل ما نهض به في هذا الاتجاه ، فقد أرسى لصوغ المصطلحات العلمية وتعميقها قواعد جديدة ترمي ضوابط التعريب من جهة ، وتعين

علماء على صياغتها من جهة ثانية ، مثل جواز تكملة المادة اللغوية بمشتقات غير مصححية ، وجواز الاشتقاق من أسماء الأحياء والخواهر ، وقياسية المصدر الصناعي ، إلى غير ذلك من قواعد تيسر وضع المصطلح العلمي ونقله تديلا . وقد استطاعت هيأت وأعلام من العلماء في مصر والبلاد العربية أن يسهموا في هذا العمل العلمي الجليل بوضع معاجم علمية متنوعة . وليس من ريب في أن هذه الجهود العلمية لخصبة توشك أن تتحول بالقصحى العلمية للمعاصرة إلى لغة علمية عالية .

ولم تكسب القصحى للمعاصرة ألفاظ المصطلحات العلمية وحدها ، فقد كسبت أيضا آلاف الألفاظ للمرة من أدوات الحضارة وشئون الحياة العامة ، وكثير منها كانت قد عثيت به المجمع اللغوية الأهلية التي تكونت بمصر في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، ووضعت لطاقته من الألفاظ مستحددة وارتضت بعض ما شاع من على ألسنة الجمهور وأعلام الكتاب .

وعنى مجتمعا في دوراته الأولى بهذه الألفاظ وتوقفت عنايته بها فترة ، ثم عاد إليها وألف لها لجنة ، تزخر بنشاطها مجله ومخاضه ، وهما حصيلة كبيرة من هذه الألفاظ الحضارية للتصلة بجوانب الحياة المصرية .

وبجانب ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم تحمل القصحى للمعاصرة مصطلحات

وإذا كانت القصص المعاصرة قد تطورت في هذه الأيام جهياً ، واستوعبت ما لا يكاد يحصى من الأفكار والمفاهيم فإن تطورها في مجال الأدب يرجع من النثر وكثر قد يكون تطور نوعاً وحيداً ، أما النثر فقد كثر ما يشوه المعاصرون في البلدان الغربية وكثرت لغوياتهم كثرة مفرطة ، وحدثت به عروب شئ من التحول والتطور ، مما أهدى للظهور أنماط جديدة في سبيلية ولونية واجتماعية . وليس ذلك بسبب ، فقد طغى الشعراء يملكون المعلوم بالانحيازات الشعرية القريبة من رومانسية ورمزية ووجدانية ، وأعطت مظاهر شعريتهم تنوعاً وتوجهاً واحداً ، كما تنوعت أشكالها الموسيقية وتطورت وبرزت في السرحية الشعرية . وتكتب في هذه المجلات في الشعر المعاصر وأعلامه بحث مطولة .

وبالمثل حدثت قصص المعاصرة فتونا شرباً مستحيلة أهمها القصة والقصة والمسرحية ، وقد نشأ غالب القادة عند التمييز بين الضرورات القصصية ، وحاولوا فيها كتاباً منذ نشأت حتمها القصص في القرن الماضي . ولم تكن القصص تسمى بالقصة إلا قليلاً ، في القصة وبعضها دمجها معاً ، وقد تركت القصة الطريقة للأدب العلمي ، وكانت به قصص شبيهة كثيرة ، حتى إذا اطلع أديباً في القرن الماضي على قصص الفريسي الطريقة أسسوا في تصوير بعض نماذجها ،

سبيلية كثيرة ، ووضع ذلك في المجلات القصصية التي يقرأها الجمهور كل يوم فإن القارئ العادي لما يشعر بجملة سبيلية ملحة إلى جميع شئح له كثيراً من الأفكار السبيلية المخلطة التي لا تصح له مدلولاتها الحقيقية كامياً . وترك السبيلية إلى لغة العدد الأدنى للمعاصرة فإنها تفرق مفرق بينه عن لغة النقد الأدبي القديم ، في الشعر مثلاً يتناول القضاة المعاصرون مثل هذه الأفكار أو المصطلحات : الشعر السلي والقصي والمثل والمزج والمزج الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والواقعية والشعرية الشعرية والفرجة القصوى والقصور والمصنوع والآساء والمناهج ونظريته الوحيدة الثلاث : وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الموضوع ، والقصيدة والمحدث الشعر المثل . ويتناول المعاصرون من القضاة في القصة أنماطاً ومصطلحات من نفس هذا الطرز المحدث مثل : المذهب الرأسي والظهي وقصص والفرجة السلوكية والقصصية السبيلية والهدد الاجتماعي والقصص والإنساني والصراع الفكري والصراع الطبقي والتكريم الهام للأحداث والوقت ودرسم المعلوم رسماً جيداً .

وقال ذلك منه في نقد السرحي ونقد النثر . وكانت تعامل في كل ذلك بأنه عدلاً أو قل من القصص المعاصرة تشكل أشكالاً وأنماطاً جديدة في ميادين العلم والحضارة والفن وهذه الآداب والفنون .

ثم عوا - فيما بعد - بتقل كثير منها نقلاً  
دقيقاً ولم يلبثوا في هذا القرن العشرين أن  
نشطوا - وخاصة منذ العشرينات - في كتابة  
القصة والأكصوصية ، وأنه ليصحب حصر  
القصاص اليوم في مصر والبلاد العربية  
فصلاً عن حصر قصصهم الطويلة وأقاصيصهم  
القصيرة . ولم تكن النصوصي تعرف في  
المسرحية ، وحل شاكلة القصة حتى أدبنا  
أولاً يتمصير بعض المسرحيات العربية ، ثم  
صنوا مسرحياتها الحقيقية ، ولم يلبث أن ظهر  
للمصحي كتاب مسرحيون عديدون ،  
ولهم ليعنون الآن بالمشترات في مصر  
والأقطار العربية وفي كل هؤلاء الأدباء من  
المسرحيين والقصاص وأصحاب المقالات  
والأدباء تكتب بحوث طوال .

وإذا كان الساميون - من قبل - شعروا  
بأنهم في حاجة إلى أسلوب مولد يرتفع عن  
الابتذال ، ويهبط عن الإغراب الشديد ،  
أسلوب وسط يترقب من أفهام عامة  
المتقنين دون ركاسة أو إسفاف فإن  
الأدباء النابيين شعروا في حق منذ لواء  
القرن الماضي بأن ملأني إليه أسلوب  
النصحي حينئذ من الحمود والصيق والتعبد  
بأغلاك السجع و البليغ يحول بينهم وبين  
ما يريدون أداءه . وكانوا قد عرغوا للمصحي  
أسلوباً متحرراً من هذه القيود عند ابن  
المتنوع وأصرابه ، فصبوا إلى عاكاته ، ولم  
يكفوا بذلك ، بل أخذوا يحاولون التعود  
إلى أسلوب أكثر سهولة ويسراً ، وتصارت

هوامل مختلفة على شيوخ هذا الأسلوب  
الجديد بسبب انتشار التعليم واستخدام  
المطابع وذيوع الصحف ، فكثر القراء ، وكثر  
التبسيط والتيسير في أسلوب النصحي بين  
الترجمين والكتاب المخططين وكلما أمضت  
النصحي المعاصرة شوطاً من الزمن اتسع  
فيها هذا التيسير والتبسيط .

ودور الصحافة في هذه النصحي المعاصرة  
أوسع وأكبر شأنًا من دور الكتب للترجمة  
والمؤلفة ، ومعروف أن الصحافة أخلت نشاط  
منذ عصر الخليلوي إسماعيل ، ولم تكن تنجبه  
مثل أصحاب الكتب إلى الجماهير المخفضة  
فحسب ، بل كانت تنجبه إلى جميع الطبقات  
في الأمة ، وكانت عنايتها شديدة بالطبقات  
الشعبية الدنيا ، إذ كانت تريد أن تخطي  
بأكبر جمهور قارئ وأن تقدم له ما يترقبه  
على الإقبال عليها والمتاح بها ، ولذلك كان  
الكاتب في أي صحيفة يحاول جاهداً أن يبسط  
لغته ، حتى يلبس من العامة ، وحتى لا يكون  
بين وبينها أي حجاب في الخطاب ، لا  
الأمكار ولا في الالتقاط ، فالأفكار مهما  
كانت عميقة أو دقيقة تبسط تبسيطاً شديداً ،  
حتى لا يجد الجماهير أي عسر أو مشقة في  
فهمها ، والألفاظ تختار سهلة ، حتى يفهمها  
الشخص العادي في الأمة دون أية صعوبة .

وتنمضي في القرن الماضي إلى حافة  
العشرينيات التي نشأت فيها الأحزاب ، فوجد  
كل حزب يؤسس لنفسه صحيفة بشر فيها

آرامه في الحكم والسياسة، وأعلنت كل صيغة يجذب إليها علماء من أعلام الأدب حينذاك. واختصم هؤلاء الأعلام في شئون السياسة والحكم خصومات عنيفة، وأثاروا خصومات لا تقل عنما في شئون الأدب قديمه وحديثه، وأعلنوا برغبتهم على القراء - استهالة هم وجذباً - مصولاً من أدبنا العربي القديم ومن الأدب الغربي الحديث. وبذلك اتحدت صحافتنا بالحركة الأدبية، وأفادت منها غزارة في معانيها ودقة في أفكارها، إذ تطلعت من أدب هؤلاء الأعلام وأضحت على لغتها المعاصرة مسحة من الجمال الفني مع محاولاتهم الحميدة لتبسيط القصص وتيسير أسلوبها للمعاصر حتى تسبقها الجماهير وتجذب إليها متاعاً هيباً.

وجانباً بلا حطان يوضح في هذا الأسلوب المؤسّر المبسط قصصنا المعاصرة، أما الجانب الأول فاستخدام طائفة من أدبائنا في مقالاتهم وقصصهم لكثير من الكلمات الشائعة في العامية التي يقطن أنها غير فصيحة، بينما هي عربية فصيحة، وإن دلوت على السنة العامة. ولا شك في أنهم يقصدون قصداً إلى استعلامها في كتاباتهم، حتى يندوا من الجماهير أكثر فأكثر، وحتى تترك وتتمثل ما يعرضون عليها من خواطر وأفكار، وتضرب مثلاً قلداً من هؤلاء الأجداد: إبراهيم عبد القادر المازني، إذ كان يمتاز بحاسة لغوية مرهقة أعاتته على الخطأ كثير من الكلمات الشائعة في العامية وردّها إلى

القصص، لأنها في واقع الأمر فصيحة، وإن لا كتبها العامة. وبذلك كان يحدث تبسيطاً - يشغف به - في تعبيراته، مع الاحتفاظ في دقة بمقومات العربية وأوضاعها في الإعراب وتصريف الكلمات، ومع استخدام لغة بيانية ناصعة رصينة. وهذا الجانب في الأسلوب المبسط الحديث لقصصنا يعني أن تضاعف العناية به، بحيث يعني كل بلد عربي بوضع معجم تستقصى به الألفاظ العامة العربية الأصل التي تشيع في السنة أبنائه مع النص على المشترك من هذه الألفاظ بين البلاد العربية، ليستغل ذلك كله الأدباء للمعاصرين في كتاباتهم القصصية والصحفية. وحرى بي أن أذكر أن المعجم الوسيط صحيح كثيراً من الألفاظ العامة وسلكها في الألفاظ القصصية وهو عمل جدير بالشكر والثناء.

والجانب الثاني الذي يلاحظ في الأسلوب الجديد المبسط لقصصنا المعاصرة أنه نشأت فيه بحكم التطور اللغوي صيغ وعبارات يظن لأول وهلة أنها غير فصيحة، حتى إذا عرضها العاملون باللغة على قواعدنا وتعاريفها وجدّوا لها وجوهاً من التخريج تجعلها عربية فصيحة. وتغنى بذلك لجنة الألفاظ والأساليب في المصنع، ولقد أخرجت في هذا العام كتابها الأول، وهو يسوع كثيراً من هذه العبارات والصيغ والقصص المعاصرة في هذا المصنع تجري على سنن اللغات، فتراكيها وحبتها حياً لا تستقصى على التطور، ولا هي أشياء ثابتة راسخة كالصخر الأعمى، بل

هي كانت حجة مثل أصحابها ، فهم في تطور وتغير مستمرين من يوم هبوطهم في مهودهم إلى يوم استقرارهم في لحودهم . وكذلك التراكيب والمصيغ في اللغة ، هي ما تفي تتحرك وتتطور وتغير . وهو جانب واسع جداً في الأسلوب للبسط الجديد لنصيحنا المعاصرة ، ويتضح أن لا يظن أبوابها من دونه ، بل نفتحها على مصاريحها لجارات والتراكيب المستحدثة ما دما نجد لها تحريجا يسرعها ويسبق عليها صمد النصيحة .

- ٤ -

ولعل في كل ما قدمت ما يصور كيف أن القصص المعاصرة تعيش مرحلة خصية من جميع الوجوه ، إذ وسعت مصابيح شتى من العلوم والآداب ، وتفتت إلى أسلوب ميسر مبسط ، من شأنه أن يساعدها على انتشارها في جميع الألسنة ، ولقد ظفرت بفنون كانت خاصة بالعامة ، مثل فن القصة الطويلة ، فقد كانت العامة تنفرد بها قبل العصر الحديث ، كما أسلفنا . وما إن شركتها القصص المعاصرة حتى أصبح لها القدر المثل في لغة القصص . وبلاحظ أن القصص التي لا يزالون يتخلون العامة أداة لقصصهم في عصرنا لا يتلون بحورون في تراكيبهم وعباراتهم بحوريات متنوعة عابرين للحلق بركب القصص . ولا أراي أغلو إذا قلت . إن اللهجة العامة المستخدمة في كثير من القصص والمسرحيات المعاصرة ليست هي نفس اللهجة العامة اليومية

المتداولة كما قد يظن كثير من الناس ، بل هي لغة وسطى بين العامة والقصص . وهذا نفسه يلاحظ في الأجزاء الشعبية المعاصرة ، فلغتها تفترض كثيراً من كلمات القصص المعاصرة وتراكيبها . ومعنى ذلك أن الفنون الأدبية في العامة تصفع في عصرنا إلى الاقتراب من القصص اندفاعاً يشير بأنها ستصبح يوماً لغتها السائدة . ومن هنا كنت أحاط من يبالغون في تقدير خطر العامة على القصص المعاصرة ، والحقيقة عكس ذلك ، فإن القصص المعاصرة مازال تظهر العامة في كل ميدان تلتق معها به .

وكذا نعرف أن القصص المعاصرة استولت منذ القرن الماضي على أكبر مساحة لغوية شعبية في العصر ، وألصقت مساحة الصحف ومربنا آتياً أثرها في أسلوبها المبسط المعاصر . ولم يرضى لأثرها في أدبها ، وهو أثر واسع ، إذ جعله يحمل ما يتر حصره من الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية والفكرية ، جعلته يحمل صوراً أدبية جلييلة . ولست أريد أن أتحدث الآن عن هذه الجوانب إنما أريد أن ألفت إلى أن الصحف لم تقف عند مخاطبة بيئة مغلقة بعينها ، كما كان شأن أدبنا التاريخي بالقصص قبل هذا العصر ، فقد تحطت لعصرنا الخواجز الطبقية في الشعب ومخاطبت جميع طبقاته وجاهيره . وما هي دي الملايين في بلادنا العربية تغلو وتروح كل يوم في أيدي الصحف تقرأ فيها صباح مساء . وهو

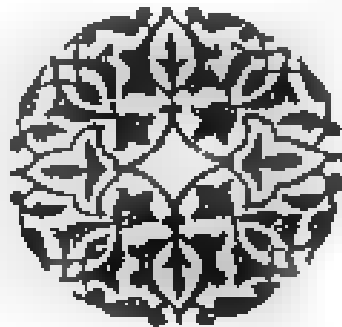
غزو كبير الفصحى عزت به العلمية منذ  
أواسط القرن الماضي ، إذ سلبها جمهورها  
التقارنى ، وجعلته يحس بقوة أن منه القموى  
الأعلى إنما هو فى الفصحى المعشربة .

ولم تستول القصصى المعاصرة من العلمية  
على مساحة الصحف وكلماتها الطليعة فحسب ،  
تقد أحدث أيضاً تستولى منها على مساحة  
الإفاعة وكلماتها المسموعة والمرئية ، وحفا  
تكثر فى هذه الكلمات الأخطاء النحوية  
والصرفية ولكن هذه الأخطاء ستزول فى رأينا  
حسباً بتأثير رأى الأدب العام وما ينظمه  
فى المسموعات والقرومات من الصحة القوية .  
ولا ريب فى أنه يوجد بين المتحدثين فى  
الإفاعات من يفتون بلغتهم وصياغتهم وخاصة  
الأدباء المعاصرين . والإفاعات تعد بحق -  
وسيلة مهمة من وسائل نشر الفصحى فى  
عصرنا ، لكثرة اللالين المستمعة لما يوما  
كثرة تفوق كل حد ، إذ تستطيع أن تحمل  
الكلام قرأ إلى جميع أرجاء العالم فى الشرق  
والغرب : إلى من يسكنون القصور والأكواخ  
ومن يتركون على سفوح الجبال وفى بطون  
الأودية : ومن يعيشون فى المصانع والمدن

وفى المزارع والقرى وفى الجرادى والتجوع .  
والمستمع إليها ليس من الضرورى أن يكون  
قارئاً ، ففى مخاطب القارئ والأهين على  
السواء . ولعلنا ينبغي أن تصاعف الجهود  
فى مختلف الإفاعات لتبلغ بالفصحى المعاصرة  
الغاية المأمولة لها من اللبوع على جميع الألسنة  
فى بلداننا العربية .

وواضح مما ذكرت أن الفصحى تحيا  
فى عصرنا حياة مزدهرة إلى أبعد حدود  
الازدهار ، وهو ازدهار أتاح لها لغة علمية  
عديدة وفنونا أدبية متنوعة وأسلوباً مبسطاً  
ميسراً ، مع استيلاتها على مساحة الصحف ،  
ومع محاولاتها الجادة فى الاستيلاء على  
مساحة الإفاعة . وإنى لؤمن بأنها ستظل  
ترداد ازدهاراً وانتشاراً من يوم إلى يوم  
حتى تصل نهائياً فى الألسنة مكان العامة ، لا قبا بقى  
لها من الفنون الأدبية الشعبية فحسب ، بل  
أيضاً فى لهجات التخاطب اليومية :

شوقى صيف  
عضو للجمع



# خاطر

## حول الترجمة الذاتية في العصور الإسلامية

للمفسر الألماني الدكتور رودلف زلهاميم

عندما

بمعين المشرق الغربي  
بمراجع التراجم المتنوعة  
التي خلفها لنا العصور الإسلامية ،  
يسترجع انتباهه جفاف في مادتها سواء  
في لغتها أو في طريقة عرضها ، كما يلاحظ  
فيها غالباً مخالفة في الموضوعية ، يحرص  
كل المحرص على كتم الأمور الشخصية .  
ومن الغريب أن يتم ذلك في نوع من الأدب  
عماده الشخص للترجم له وعوره . وحيث  
ما يقتضيه المرء في تلك التراجم الثروة - وكم  
فيها من قطع التراجم الذاتية المتأثرة ، سواء  
بصفة المتكلم أو المخاطب - عن محاولة  
تظهر معالم الإنسان الفريد في كيونه وتطوراته ،  
وتبين دوافع أعماله الشخصية ، أو بتعبير  
آخر : عن محاولة تحديد معالم شخصيته و  
وتمهيد السبل للوصول إلى حكم بحوله كفرد  
في علاقته بالآخرين في خضم ذلك المجتمع .

وقد يعثر المرء أحياناً في بعض التراجم  
الذاتية على أحوال أو إشارات طفيفة إلى  
حوامل أو تطورات نفسية تفسح عن  
فئات المحدث ، ولكن علينا أن ندرك ، في  
الوقت ذاته ، أنها إنما تهدف إلى تبرير موقف  
الفرد في نظام اجتماعي شامل ، يحدده الدين  
رابطاً للفرد فيه بربه وبجماعة المسلمين .

وما أشدّ اللوعة التي يشربها هذا التبرير  
فكلنا قد أعجبنا ببؤس العرب منذ عهد  
شعراء الجاهلية في وصف الخزيات ، وأطلع  
على لوعة نواذرهم التي أنصحوها بها عن  
معلم شخصية الإنسان بأوجز الصاير ،  
واستقوها عن طريق المراقبة الدقيقة ،  
والملاحظة الواحية العميقة . والعرب هم  
الذين حققوا أهر الإنجازات مثلاً في مضمار  
التحرر والبلاغة ، وحصلوا أدق المسائل

(٥) أظن للتحقيقات على البحث في محاضر جلسات الندوة قرابة والأربعين ( جلسة السبت ٩ من ربيع

الأخر سنة ١٣٩٥ هـ = ١٥ من مارس سنة ١٩٧٥ م ) .

والأمور المألوفة ، ووصحوا الجاهل إلى مهنته للوصول إلى أحكام تركيبية ومنهج شاملة كلية ، فلا مجال إذا للتساؤل عما إذا كان المصنفون قد عجزوا أو رغبوا عن إضفاء صورة كاملة لمن يترجمون له ، بل علينا أن نبحث عن الأسباب التي حدثت بالمسلم آنذاك إلى التحكك عن تلك الصورة الكاملة .

وبكل ما يقتضيه الموضوع في مجالنا هذا من حذر وتحفظ ، سأحاول فيما يلي عرض بعض الخواطر التي اكتسبتها من من تجاربي مع أمهات المصادر ، أو مع الناس في ديارهم بعيدا عن برج المثنية الحديثة .

كثيرا ما كتب وقبل عن تأثير طبيعة الأرض والنساج في تصرفات الإنسان ومعالم شخصيته ، وطبعها إلى حد ما بطابعها على توالي الأحقاب والتاريخ . فإن صح ذلك ، وجب علينا أن نسلم "بأن" تصرفات الشرق تختلف في معالمها عما يصلح للمقارنة بها من تصرفات الغرب . ولیمت هذه المعالم قطرية ، بل مكتسبة من المحيط وحواضه وتأثيراته . وإذا ما تنقل غربيا في أرجاء الشرق العسرة ، وانتهى إلى مناطق مزرية ، أو بكيدات لا تزال تصطبغ بطابع الصور الإسلامية الأولى ، لمعت نظره نموذج من التصرفات بين الناس ، يتلاءم مع البحر الذي يالهه ويعبده في كتب التراجم وسير الرجال .

وعلى سبيل الخصر : إنه سلوك مجتمع أبرى نجاء غريب ، تنهل لفظة من مفردات النصوص القديمة ، عربية أو فارسية ، وينشد حوارا أدبيا حول التراث كتعبير عن حضارة حية وأمية لتاريخها ، متكاملة في ذاتها ، وعريقة في أصولها . فكان كلما تم لقاء أو حوار مع شيخ أو مضاف من أهل تلك المناطق والبلدات تكتشف للغريب ، أنه يدور على عطف متكرر ووثيرة متشابهة : وهي حماسة في استقبال الضيف ، ومسامحة طويلة لا يشوبها الشك ، وعمدها الروايات كما نعهدا في تراث الصور الإسلامية ، وغالبا ما تستدعا أو تحتفلها الشواهد التي يرددها المحدث عن ظهر قلب ، ويقتف الضيف الغريب حيلها أبدا موقف الآخذ المتعلم . ولكن هذه الأحاديث لم تتخذ يوما وجهة التنقيب عن أية مشكلة قد يتضمنها موضوع الحديث ومادته للوصول بها إلى إمكانية نقد أو تحليل داخل الروايات المتنافلة ، بل كان المحدث يطلق الباب على مصراجه في وجه أي شك أو تحدي من بقوله : « والله أعلم » .

فإن تطرق الغريب إلى أخبار حياة محدثه لم يشعر أبدا بأنه قد أثقل عليه بطرقه هذا الموضوع ، بل يتابع المحدث كلامه دون أن يميز من جملته وصوته ، مادام السائل قد اكتفى بالاستسلام عن رفائع حياته الظاهرة ،



وخصوصاً من أسماء شيوخه والكُتب التي قرأها عليهم، وثلاثة من النواذر والطرائف التي جرت معه ، وغالباً ما يكون حديثها موجزاً ، بحيث لا يفقه إلا الحبير من أزمائها ومعتابها . فإن سَمَّ السائل من رثابة هذه الروائع الظاهرة ، وحاول اختراق الجدار الذي أحاط المحدث به نفسه ، ليعلم منه شيئاً مما يمكن أن ندعوه بتحليل التجارب الشخصية ، إذا به يشعر باستياء المحدث ونهرته من الإجابة عن هذه الأسئلة ، وقد يعود منها بلقافة الصمت ، ويدعوه خالياً برجع صوته ، ولحظ ذلك الصوت ، أو لنقل . إطلاق تلك الطرخشة ، التي رسمها العويون قبل مايتوف عن أنصاعهم بالحرفين «مضى» . وبدا يدرك السائل أنه تجاوز حدود عالم لا يرضى المحدث أبداً بالكشف عن عباياه . وذلك لسببين تتسوى أهميتهما حيناً وتتماوت أحياناً ، كما ثبت لنا مراراً وتكراراً خبر السنين . ويمكن السبب الأول في شعور المحدث بتأليب الصمير ، لاقتناعه بأن كثرة الكلام قد تسد وتشوه الحوادث والحقيقة أكثر مما تقيدها أو توضحها ، وكذلك في وجهه إليهم ، بأن تحديد الاعترافات في صورةٍ وشكلٍ لغوي يجعلها تحتل معاني عديدة ، ويمكننا أن نضيف إلى ذلك ، بأن تأويلها النفسي لا يتعدى إذاً مجال التخمين . أما السبب الثاني فيرجع إلى حياء المحدث ونحجته من الإقصاء بأمور شخصية ، لا يجوز لأدب أو مؤدب أن يطرح للناس عليها ،

نحسباً بالقول الشائع : « رأس مكارم الأخلاق الحياء » . وإنما ليصعب علينا - نحن الغربيين - أن تصور أنفسنا في موقف المسلمين هذا . فلقد فقدنا في عصرنا الحاضر هذا الحس المرهف ، ونفشت لدينا غوغائية لا تتدبر ولا ترمي حرمة الأدب والاحتشام والحياء .

ولقد حرص المسلم في العصور الإسلامية حثاً على توسيع حدود الحياء ، ليجمع بذلك ما استطاع حياء الشخص ، وهذا السلوك ينبع عادة من علاقة الفرد بالآخرين ، والتي تتميز بأمرين . أولهما الظاهرة التي يمكن ملاحظتها منذ أقدم عصور التاريخ ، وهي تضيق ارتباط الفرد بالجماعة ، وهذا ما يحتم بدوره وجود الظاهرة الثابتة ، والتي لا تزال نراها أيضاً في عصرنا هذا وفي معنا التي تكاد تختص بقاء وهي التباهد الخلق بين الفرد والجماعة وقد يبدو هذا متناقضاً للوهلة الأولى . ولكنه يرجع حثاً إلى اتساع رقعة الأرض وقسوة الطبيعة والمناخ الذي ينجح إلى الصطوف ، متجلباً بين المقيظ والبرد . وكما علمنا التاريخ ، فإن هذا قد أرغم البشر على الاجتماع والتعاقد من جهة ، وجعل الفرد من جهة أخرى يحرص على جعل مسافة فاصلة بينه وبين الآخرين ، لكي يهون هويته ، وخصوصاً في مجتمع يقوم على الشريعة التي تحدد وتظم الناس جميع مجالات الحياة . ولغرضي فإن من أعظم الأمور وأخطرها بالإعجاب - المجتمع الإسلامي ، أنه قد أفسح كفرد . على

أولها - جهالا واسعا لتفصيل داله واطلاقها .  
 ولقد لعب الشعر دورا كبيرا في التعبير عن  
 ذات الفرد ، وتسجيل تجاربه النفسية ، مهما  
 نأت عن الشريعة ، أو اتخذت موقفا ناكدا لإزاعها .  
 وإن هذا الدور لم يكتفأ إلى الآن حتى من  
 الغرض والتماسة ، ولربما كان من أسباب  
 عالم اقتضاء الحاجة في المجتمع الإسلامي  
 إلى تلك التطور الذي جرى في الغرب  
 وأدى إلى الفرد على الكتابة ، نتيجة ضغطها  
 على الفرد ، وتضييق الخناق على مجالات حريته  
 الشخصية .

إن شكل الغراب للزء من القاس قمره  
 منهم ، وتربية جم ، وخصوصا إذا شعر  
 أنهم يحطون طلبة اجتماعية مسيطرة . أما  
 الاعتماد فيؤدي إلى نوع من الحرية والصفاء  
 وقد يقصد هذا ويستمح حرفيا ، وقد يحل  
 على الجاز ، وذلك على مثال النزع الأدبي  
 الذي أحبه وفضل الشرقيون بحسن أدله ،  
 وهو مثال والحكاية الطريقة للتصير تلو الخرافة  
 فيها يتمسك المحدث صورة شخص آخر ويعبر  
 عن أفكاره بلسان ذاك الشخص . أما الخيط  
 وعقبة الجوارب فقد تطاين مع أحداث  
 جرت في حياة المحدث نفسه أو غيره ، ولكنه  
 عاشها على أي حال فكريا وصوريا .

ويمكن أن يذكر في هذا السياق للمستشرق  
 الألماني الكبير Hellmut Ritter الذي  
 اهتم بالشاعر الفارسي فرد الدين عطار ،  
 وشرح أعماله . فإن الطريقة التي يسطرها

لقرائه تلك المادة الشعرية ، تفحص - كما  
 أشار بنفسه إلى ذلك - كثيرا من الاختلافات  
 والتجارب الذاتية للصوبة ، التي تنفق في  
 جزئياتها مع واقع حياته . وهكذا فإن التعبير  
 للفلايس والأدوار لا أهمية له في هذا المجال ،  
 وما يطبق هنا على الشارح يطبق أيضا  
 على المؤلف والشاعر .

وقبل أن نتقل إلى بعض الأمثلة للتبديل  
 على ما أشرنا إليه ، أود أن أذكر كتابا ألمانيا  
 يكاد يعرف معظم الغربيين بحكاية الحكامية  
 وتصميمه التعليمي منذ طفولتهم ، فإن بعض  
 ألكلوه حول الترجمة الذاتية قد تساعدنا  
 في فهم مسألة التراجم والسيرة الذاتية في  
 الصور الإسلامية . إن الكاتب Wilhelm Busch  
 ولقد ترجم اسمه بعنوان " مني وعني " ،  
 والصح ذلك بأسلوبه المتميز بإيجاز وحسن  
 إصابته ، كما :

« لا شيء - يبدو على حقيقته النعمة ، ناهيك  
 عن الإنسان ، هذه الزكية بالجنبة التي تفيض  
 بالحيل والتزوات وأقنعة الزهو والتحيلاء :  
 وكلما أراد للزء أن يعرف شيئا اضطر  
 إلى الاعتماد على الرأس بل القرووس ، وهم  
 علم لا يوثق بهم ، فاني له أن يعلم الأحداث  
 على اليقين . ومن منا في هذا العصر بتلك  
 السليجة ، حيث يصدق أقوال التراجم ، أو  
 نوايخ العالم . إنها كالأساطير أو الحكايا وما  
 ذكرت الأسماء فيها ، وحين زمانها ومكانها ،

إلا ليسهل تصديقها . وهي شتى ، فقد تُروى  
للمتعة ، أو للتعليم والوحيظ ، لا ضير في ذلك .  
ولكن إن لم يكن أحدنا مصيباً بيبغا ، ومعتزلاً  
بشئ علوم الدنيا والآخرة ، وأصرّ على الكتابة  
عن نفسه ، فالأولى له أن يوجز في قوله :

قد لا نثر على شئ حرق لهذا النص  
في التراث العربي أو الفارسي والتركي ،  
ولكن المنكره ومبوه تتجلى في آلاف مواضع  
من الشواهد : ولم يكن الطلاق من هذا  
الأدب الألماني صليفاً أو عينا ، فلقد حدثت  
عن ذكريات طفولته حادثة شبيهة ، وقال :

« ما حصلني أعرف عن العام الثالث من  
عمري ؟ لقد كان شامداً *Historisch*  
يصنع لي مزاير جميلة ويجزفك عليا ، والمشب  
في الحديقة كاد يطاولني ، والبلازلاء أطول  
مني ، وخلف البيت المسقوف بالقش ،  
وإزاء البئر ، كان هناك دلو كبير مليء بالماء ،  
لمحت فيه أختي الصغيرة طفاة كصورة  
في إطار ؟ وعندما أتت أمي ، لم تسطع  
إعادتها إلى الحياة . »

إن حادثاً مشابهاً لهذا قد حصل مع الشيخ  
السويدي من أهل بغداد ، وهو ابن أخ  
الشيخ السويدي الذي تلقى عليه العلم العلامة  
الألماني *Hellmut Ritter* عام ١٩١٦  
فعندما كنّا لزور معه مرة قبر عمه في مقبرة  
الشيخ معروف الكرخي القديمة الشهيرة  
في كانون الثاني من عام ١٩٦٢ ، سأله  
عن الادم ذكريات طفولته ، فأجاب :

« لقد كان لي أخ أكبر مني ، وقد حفظ  
القرآن على جدنا . وذات يوم رأيت ملقاً  
في الخوض أمام بيتنا ، وبدا فيه أصغر مني ،  
وظل على حاله حتى انتشله الناس منه ، وبعد  
المصر بدأت بحفظ القرآن على جدنا »

كلاهما - الألماني والبنطادي - يرتبطان  
بالحادث ثبرة غيريانية ، انضمت أبعادهما  
لحما غيا بعد . وبينما يلعب حجم جسم الإنسان  
بالنسبة إلى أخيه المرفق والأكبر منه سناً دوراً  
مباشراً ، نجد لدى الألمان في طرف الرواية ،  
وقد سرّته التأمّلات المتأخرة . ومثل هذه  
التأمّلات هي التي تسود حادثاً جرى في طفولة  
النحوي المشير أبي العباس طلبة ( توفي  
١٢٩١ هـ = ٩٠٤ م ) ، فهو يقول :

« رأيت المؤمن لما قدم من حرمان ،  
وذلك في سنة أربع ومائتين ، وقد خرج  
من باب الخلود وهو يريد نصر الرصافة  
والناس صمان إلى المصل . قال : وكان أبي  
قد حلني على يده ، فلما مر المؤمن رفعتني  
على يده وقال لي : هذا للمؤمن وهذه سنة  
أربع ، فحفظت ذلك عنه إلى الساعة ،  
وكانت سنّي يومئذ أربع سنين . » ( المهرست  
٧٤ = المردبان ٣٣٤ . القفطي ١ / ١٥٠ ،  
باتروت ١٣٤ / ٢ وما يليها ، وقارن ابن  
طيفور ورقة ٩ ب وما يليها ) .

إن الفرق بين هذين العربيين وبين الألماني  
هو في النهاية . فبينما ظلت حكايتهما منفردة ،

ذكرت مثالا فافهمية عامة ، أو تحديدا  
تقريبا لتاريخ ولادة ، مجد حكاية الأملاني  
تصدر حكايات متكاملة عديدة أخرى ،  
وكلها لا تستند إلى أعماله الأدبية - إن أمكن  
ذلك أصلا - ولكنهم يجمعونها لتكون  
سيرته الذاتية ، التي دفع إلى تدوينها كتابة  
الناس عنه . أما أمر المسلمين ، فيختلف عن  
هنا تماما . فكل حكاية شخصية مرتبطة  
لديهم بتحصيل العلم أو التعليم والتأليف ،  
ولا تُروى للرواية مجد ذاتيا . فإن بنا الأمر  
مركا كذلك فإنما يكون السبب الحقيقي مضمرأ  
ولناخذ مثلا حديث ياقوت الحموي  
( في معجم البلدان ٣ / ٢٣٠ ، مادة  
الشاذباخ ) عن خراجه بالحارية التركية وما جره  
عليه . . . أو تصريح القنطري ( إنباء ٤ / ٧٧ )  
بما عاينه من مشاهد ، عتمة التقي في مدينة  
حلب بالعلم الكبير ، والمير الخاني والمعاشر ،  
ياقوت الحموي ، فإن هاتين الملاحظتين  
الشخصيتين تهدفان للدفاع والتبرير ، فلاحظ  
الأول تبرر بداهة بالتخصير في عمله العلمي ،  
وملاحظة الثاني تملل قصر إقامة ياقوت  
في حلب . وكلاهما تتشلمان في الوقت ذاته  
العبارة والمثال للقارىء .

وعن أن نقرب من نهاية حديثنا ، يمكننا  
أن نتعرض بجانب آخر ، ونذكر مثالا  
يبين أن العصور الإسلامية لم تغل مع ذلك  
تماما من حيلة العلماء ، المشترك منه أو المظاهر

وقد يساعدنا هذا المثال أيضا على الإجابة  
عن سؤال هام في تاريخ الأدب ، تطرحه  
علينا دوما روية معالم الرجال الشاملة الصفحة  
و كالصور الملامح ، مثلا في مضمار القرن  
الطبع للمجربى / المجلس عشر الميلادى ،  
لمؤلفه الفسولوى ( ٨٣٠ هـ / ١٤٢٧ م -  
٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م ) ، وهو : كيف تمكّن  
عالم أن يجمع بمجرده كل هذه المواد الموثوقة ؟  
أو بشكل آخر : ما هي الطريقة التي اتبعها  
مصنفو كتب التراجم ، ليتسكنوا من جمع  
كل هذه الأسماء والتواريخ وحلوي الكتب ؟  
لا شك أنهم تغلوا كثيرا ، وحصلوا مشافهة  
على كثير من المعلومات ، واستعدوا بما عثروا  
عليه من تقييدات وإجازات على ظهور  
المخطوطات ، أو وجدوه على أحجار القبور  
وما شابه ذلك . ولكن هذه المراد خاصة  
قصيدة ، وهذا يتعارض إلى حد ما مع  
منهجية التراجم المفردة الثرية ، فلا بد أن  
المصنفين قد اعتمدوا أيضا على مصادر  
وأوراق أخرى . وإن الترجمة الذاتية للمحدث  
الشهر وموزج مسقط رأسه زيد في تهامة  
اليمين وجيه الدين أبي محمد عبد الرحمن بن علي  
المعروف بابن القديع ( ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م -  
٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م ) ، والتي وصلت إلينا  
أيضا في مخطوطة محفوظة في مكتبة برلين ،  
كُتبت في حياته . . أقول : إن هذه الترجمة

أيضاً مع بقية تلاميذه وزملائه ومعارفه .  
ولقد ألحق بها تسعة أبيات ، كان ابن الديبع  
قد أنشدها بحضرة وخطها بيده . ويتضمن  
البيت الأخير مديحاً صريحاً له ، وتعلله قد  
ألحق هذه الأبيات لهذا السبب ، أي لتترنم  
نفسه به المديح . ولكن ألم تطرق نحن الآن  
باب الإيجاف والتكهن بأمر شخصه ،  
لا يعلم حقيقتها إلا الله وحده ، فالاكتفى بنا أن  
نطلع حديثنا ونكتفي بهذا القدر ، والسلام  
عليكم .

رودلف زلهام

عضو الجمع المراسل

من ألمانيا ، لاخنة

تقدم لنا إشارة إلى ذلك ، فهي تنص في نواتها  
مع الترجمة الموجزة له التي خطها لنا الشيخ  
السخاوي في كتاب : الضوء اللامع ،  
( ٤ / ١٠٤ ومايلها ، رقم ٢٩٥ ) . ولاشك  
أن السخاوي قد طلب منه أن يحط له ترجمته ،  
وذلك لما ورد مكة المكرمة حاجاً في الثلاثين  
من عمره ، وبقي فيها فترة يتردد عن دروس  
الشيخ السخاوي ، الذي يكره بحيل من الزمن ،  
وهذه الترجمة هي التي بدل السخاوي صيغة  
التكلم فيها إلى صيغة الغائب ، وضمتها كتابه  
وما أقرب الاستدلال على أنه قد فعل ذلك

## إشارات إلى المصادر والمراجع

- ١ - راجع من أجل ترجمة ابن الديبع Rudolf Sellheim, Die Autobiographie  
des Ibo ad-Daiba والذي نشر في كتاب Folia Rara. Festschrift  
Fuer Wolfgang Voigt الصادر في مدينة ليسان عام ١٩٧٦ ، ص ١١١ - ١١٩ .
- ٢ - ترجمة Wilhelm Busch الذاتية ، صوانها Von mir ueber mich ونشرت  
في مدينة ليزرجم عام ١٩٥٦ في سلسلة Insel-Buecherl رقم ٥٨٣
- ٣ - راجع من أجل مريد الدين عطار Hellmut Ritter في كتابه Das Meer  
der Seele. Mensch, Welt und Gott in den Geschichten des Fariduddin Attar  
والذي نشر في مدينة ليدن عام ١٩٥٥
- ٤ - وكذلك سلسلة مقالاته بعنوان Philologica في مجلة Der Islam  
١٩٣٨ / ١٣٤ - ١٧٣ ، وفي مجلة ١١ / ١٩٥٨ - ١ / ٧٦  
و ١٢ / ١٩٥٩ - ١ / ٨٨ و ١٣ - ١٤ / ١٩٦١ - ١٩٦٠ / ١٩٥٩ - ٢٣٩ .

- - وانظر من أجل ياقوت والقسطنطين Rudolf Sellheim في مقاله *New Materialien zur Biographie des Yaqut* الذي نشر في مدينة ليبسبادن عام ١٩٦٧ بعنوان *Schriften und Bilder. Drei orientalistische untersuchungen* في سلسلة *Verzeichniss der Orientalischen Handschriften in Deutschland* ملحق رقم ٧ ، ص ٤١ / ٧٢
- ٦ - ومن أجل موضوع الترجمة الذاتية، راجع Franz Rosenthal في مقاله *Die arabische Autobiographie* ص ١ - ١٠ في الجزء الأول من الكتاب الذي نشره مع W.J. Fischel و G. Von Grunzebaum في مدينة روما عام ١٩٣٧ ، سلسلة *Analecta Orientalia* رقم ١٤ .
- ٧ - وكذلك كتابه *A History of Muslim Historiography* الصادر في مدينة لندن عام ١٩٦٨ ( الطبعة الثانية ) ، وخصوصا ص ١٠٠ - ١٠٦ .
- ٨ - وكذلك مقال Carl Brockelmann بعنوان : ما صنعته علماء العرب في أحوال أنفسهم ، ص ١ - ٢٣ من كتاب : المثنى من دراسات المستشرقين ، بشره صلاح الدين المنجد الجزء الأول : القاهرة ١٩٥٥ .
- ٩ - E.M. Sartain في كتابها *The Life of Jalal-Din al-Suyuti* في جزأين نشرتهما جامعة كامبردج عام ١٩٧٥ في سلسلة *University of Cambridge Oriental Publications* رقم ٢٥ .
- ١٠ - Georg Misch في كتابه *Geschichte der Autobiographie* وخصوصا فصل *Selbstdarstellungen von Trägern des geistigen Lebens in dem mittelalterlichen Kulturbereich des Islam* ص ٩٠٥ - ١٠٧٦ في المجلد الثالث ، النصف الثاني من القسم الثاني ، والذي نشر في مدينة فرانكفورت عام ١٩٦٢ .
- ١١ - G.E. von Grunzebaum في كتابه *Der Islam im Mittelalter* نشر في مدينة روريج وشتوتنجارت عام ١٩٦٣ ، وانظر خصوصا الفصل السابع *Das Menschenbild* والتأمن *Selbstdarstellung : Literatur und Geschichte*
- ١٢ - وكذلك مقال *Von Sinn und Widersinn der Biographie* في مجلة *Mitteilungen des Österreichischen Staatsarchivs (Festschrift Hanns Leo Mikoleitzky)* ١٩٧٢ / ٢٥ - ١٤١
- ١٣ - Bruno Liebrucks في مقاله *Das nicht automatisierte Denken* في كتاب *Philosophie in Selbstdarstellungen* نشره I.J. Pongratz في مدينة هامبورغ ١٩٧٥ ، الجزء الثاني ص ١٧٠ - ٢٢٢ .

# قصة العباسية في العراق :

## تاريخها وواقعها

### للكوثر ابراهيم السامرائي

ليس

كلاي على العامية ضربا من التعصب لها والاهتمام بها ، ولست أرى أنها وجه من وجوه الإغراب عن المعالي التي تمتنع بها في حصرنا هذا ، ولكنني أبحث فيها على أنها ظاهرة لغوية لا بد أن تقع عليها وقلة خاصة . ثم إن بنا حاجتنا إلى أن نعود إليها لأنها تحمل الفهم على تصحيحنا التي نتعهد أن تكون لغة العصر ولغة الحضارة الحديثة وأن نمجد لما شجأ عما كان لها من المكانة والقدرة والسمعة طوال عصور مضت . فقد كانت لغة الدنيا المتحضرة ، لغة العرب وغيره مسلما كان أم غير مسلم .

ثم لا بد من العودة إلى العامية لماذا أقول ؟ فقد كانت لغات عامة طوال عصور عدة ومن غير شك أن المصور العباسية قد شهدت هذه الأعطاف العامية ، وأن كثر الباحثين الدليل وشاهد على أن البصرة والكوفة وأمصارا

أخرى كانت تصرف أمورها في عاميات تقرب وتبعد عن اللغة الفصيحة . فقد ذكر الباحث أن يزيد بن مكرم الحميري الشاعر وقد اقتيد في شوارع البصرة وهو على حمار لأنه نال من زيادي مسيكة . كان الأطفال يهزأون به موددين كلاما للرسيا وهو يجيبهم بالفارسية مترجماً بأم رباد مسيكة واحفنا إياها بدروسى ، أى المني .

وحبك أن تعرف أن الفارسية تأثرا كبيرا في لغة البصرة ، فقد شاع في أهلها البدائية طريقة في التسمية جرت على النحو الفارسي ، وهي الأعلام المختومة بألف وتون مثل : زيميران وهو موضع منسوب إلى الزبير ، ومته عساتان وملكحطان وزبدان ومهكبان ولشيبان وحمران وغيرها كثير أيضا . وهي منسوبة إلى شيان وطلحة وزيد والمهلب وغيرهم . وقد استوفاه البلاذري

(\*) انظر المصليات على البحث في عصر جيلان المورو للراية والذين ( مجلة البعث ١٠ من ديع الآخر سنة ١٩٩٨ - ١٨ من مارس سنة ١٩٩٨ .

في «تتوح اليلدان» وحيه أخذها بالموت في  
«معجمه» .

وما زال شيء من هذا في أياتنا هذه يحمل  
هذا الوسم الأعجمي في أعلامهم ، فنحن  
نجد اليوم :

يُوسُفَانو وجُتَيَانو : بحجم أعجمية أو كُتَيَان  
بالكاف ، ومن غير شك أنها قُتَيَان  
القديمة التي مرَّ ذكرها ، و«يُوسُفِيَان» ولا أُدرى  
إلى من نسب هذا المكان ومثله «صهيجران»  
بإمالة الياء ، وأكبر الظن أنه «مهاجران»  
منسوب إلى مهاجر ، وهو أحد من الناس  
يجهله .

وقد حُرِّص الملاحظ في «البيان» بلفظ الكوفة  
وأشار إلى حاشيتها وشيوع التسهيل الأعجمي  
فيها فقال : إنهم يسمون السوق «ولرارة»  
والمرتبة «جهارسوة» و«قناة» «خيار» وغير هذا  
جد كثير .

ومن المبعد أن تشير إلى أن لغة العراق في  
البصرة والكوفة وفي غيرها من الأمصار  
قد دأبت الألفاظ الأعجمية وشاع فيها اللحن ،  
كما حدثنا المصانير . ولا بد لي من أن  
أثبت أن ما يتصل بالخيرك والمهن من اللغة  
العجمية كان حاضرا بالتسهيل الأعجمي ، ومن  
ذلك أفعال الملاحة وفلاحة وسائر  
الصناعات الأخرى .

الآن ترى أن العراق البصري إلى يومنا  
هذا يستعمل اليربُند وقد حوّلها إلى «لرُوند»

وهي الأداة المستعملة في صعود النخل ،  
وهي من غير شك فارسية محضة . وأن  
الكوفة وغيره من سكان المناطق الوسطى  
كبغداد مثلا يستعملون التَّسْكِيَا للآلة نفسها  
وقد ذكرها الملاحظ في «البغلاء» .

والتيلا آرامية محضة ، ومثله «السكَّان»  
لسكان السينة و«النوخذاء» للعامل في السينة  
والمردي الذي يدفع به الملاح سفينة أو كلالك  
مشكاه ، لقطعة صغيرة من الأرض تزرع لتعود  
غلتها إلى أحد من الناس ينصونه بها كما يفعل  
المزارعون ، أي يعطونها إلى العامل في المصلحة  
أو لرجل الدين الذي يسألكم أرضها من  
خواصهم . وهي كلمة آرامية مستعملها العرب  
وما زالوا يستعملونها في العراق .

ولولا أن أعشى الإطالة لأثبت بشاذج  
كثيرة من هذه البقايا الآرامية التي ما زالت  
حية في الطبقة الدارجة في كثير من حواضر  
العراق ولاسيما مدينة الموصل الشهيرة .

ومثل هذا «القالة» أي النخلة الصغيرة  
وقد استعملها الرسخري في الأساس في  
حشو مادة من المواد . ومثل هذا «الكش» أي  
خبز الطلع ولم ترد في المعجمات ، غير أن  
صاحب «لسان العرب» قد ذكرها في حشو  
مادة «حرق» و«حرق النخلة» أي الكش فيها .

وأظن أن الكلمة الأعجمية كانت بالحجم  
على نطق عامة المصريين وهي الكاف الثقيلة  
التي تشبه القاف كما جاء في كتب اللغة .  
وهذا يدل على أن هذا الصوت الذي نعت



منه العربية الفصحى وثبت في اللغات السامية  
كان عامراً في العربية العامية .

ولا أريد أن أقصر العامية العراقية في  
بدايتها وشيوعها على العصور المبكرة ولعلها  
ورثت شيئاً من ذلك في عصور سابقة . ولعل  
أستطيع أن أقول : إن شيوع اللحن كان  
علامة بارزة في هذه اللهجات التي عمت  
بلاد العرب وتجاوزت ذلك مشرقاً ومغرباً .

إذا لم يكن شيء من هذا فلم كانت هناك  
لغات الأمصار والأقاليم والقبائل ؟

ولم أخذوا اللغة والشعر من قبائل بعينها  
ولم أخذوا ذلك من قبائل معروفة لم يتوسموا  
فيها الفصحى بخلاط لعلها بأقوام ليسوا  
حرباً ، وقد حصل ذلك الضيم على عربيتهم .  
لَمْ يَتَجَنَّبُوا الْأَخْذَ مِنْ قِبَالِ الشَّعْرِ وَتَغَلَّبَ  
وَطَافَةُ مِنْ قِبَالِ الْهِنِّ مِثْلًا ؟

ثم لِمَ وَتَسَمَّوْا طَائِفَةً مِنَ الْقُرَاءَاتِ بِالشَّوَادِ  
وَأَنَّهُمْ مَنَعُوا بِلَ حَرَمُوا أَنْ يَتَرَأَّ بِقِرَاءَةِ  
الْأَعْمَشِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُرَاءَاتِ النَّادِرَةِ .  
أَلَيْسَ هَذَا لِأَنَّ هَذِهِ الْأَخْطَاطَ الْفَرِيَّةَ قَدْ حَفَلَتْ  
بِمَخَصَصَاتٍ تَتَّصِلُ بِالصَّوْتِ وَالْأَهْنِةِ بِمَا لَا  
تَعْرِفُهُ الْعَرَبِيَّةُ الْفَصِيحَةُ الَّتِي ارْتَصَوْهَا أَنْ  
تَكُونَ الْمَثَلُ الْخَفِضُ وَالْمَوْذَجُ الَّذِي يَنْبَغِي  
أَنْ يَسُودَ وَيَشْجَحَ .

أقول : من أجل هذا عني المتعلمون  
بتسجيل النماذج اللغوية والأدبية التي

وسمعت بمخصائص من لغة العامة . وإلى  
أظن أن المفصل بين سلسة حين عقد في  
كتابه الفاخر بإذن له ما جرى على ألسنة العامة  
من أمثال كان يرى إلى هذا ، وأظن أن  
هذا الذي جرى على ألسنتهم من المثل لا  
يخلو من سمات تتصل باللعن ، ومن أخرى  
غيرها تتصف بالخروج عن الأبنية المعروفة  
في العربية .

ثم لننظر إلى باب الإدغام في كتاب سيبويه  
لتبين أنه ضبط من صفات الأصوات  
وأحوالها ما نستطيع أن نزيد في القدر الذي  
نعرفه في النسخة والعشرين حرفاً . لَمْ تَكُنْ  
طَرِيقُ الْخَطِّ لِهَذِهِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَبَيَّنَتْ عَلَى  
الْأَرْبَعِينَ شَيْئاً بِمَا كَانَ يَبْأُشِرُهُ الْمَرْبُوعُونَ ؟

لَمْ يَبْشُرْ ابْنُ جَنِّي فِي « الْمُخْتَصَبِ » أَنَّ  
الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَدْ قَرَأَ « تَنْزِيلَ الشَّيَاطِينِ » ؟

إن النماذج التي أثبتتها بالمحيط في كتابه  
عن هذا الموضوع لدليل على شيوع ألوان من  
الإعراب العامي في حواضر عدة في العراق  
وغيره . لقد ذكر أن اللحن تجاوز الحواضر  
حتى كان شيء منه قد عرض لغة الأعراب .  
وهم الذين أغلقت عنهم العربية . لقد أشار إلى  
أن أحداً قال « حصاني » وهو يريد « حصاني »  
وفي غير ذلك أن هذه الطريقة العامية  
هي التي بقيت في كثير من لهجاتنا المعاصرة .

ولقد بقيت العامية إلى جوار الفصحى في  
العراق طوال العصور العباسية ، وهكذا كان

الأمر إلى نهاية عصر الدولة العثمانية . وفي هذه الحفلة المتأخرة لم يبق للقصيدة من القصور ما كان لها طوال العصور المتلاحقة بسبب من شيوخ الأمية والجهل وتضاؤل التعليم ، فقد انحصر على طائفة قليلة صفت دور العلم وقلت المدارس ، وانتهى الناس إلى أمية شاملة .

ثم جاء العصر الحديث ونظر أهل العلم في حال العربية القصيدة ، وكيف لها أن تحارب العصر الحديث بعلومه وفنونه . ولقد واجهوا مشكلة العامية وشكروا بها كما شكى ألاف لهم من قبل ، ولقد انصرف اهتمامهم بهذه المشكلة إلى أن ينظروا في العامية ويكتبوا في موادها وتاريخها اعتماداً منهم أن ذلك شيء يحملهم عليه عنايتهم بـ « القصيدة » . ولا أود أن أقول « القصيدة » وأني لنا هذه القصيدة ونحن بلوك عامة مرفولة ؟ لقد وصل الأمر سائها السادة الأكرهون إلى أن خطيب المسجد الجامع في خطبة صلاة الجمعة يستعمل في خطبه ويقول :

« إن العناصر الكفوءة ( كذا ) حل مستوى للمسئولية » . وقوله : « إنهم ينطلقون من أرغبة صلبة » . ومثل هذا كثير وغيره . ولست أحببته القبح الذي يعرض لكثير من ألقاظه . لقد أشار ابن جبير لمرحلة المعروف إلى شيء من ذلك منذ قرون عدة .

أعود إلى العامية العراقية المحاصرة فأقول :  
( إن جمهرة من أهل العلم في عصرنا قد كتبوا

فيها وليس فلك تعصباً لنا ودفاعاً عنها ولكنه اجتهاد منهم في أن ذلك يحسم القصيدة التي هي الغاية المرجوة . لقد كان ابن هويلاء فلان وعلان من صفوة الأسرة الأتوسية الشهيرة ، وكان ابن هويلاء الزهاوي والشيباني والرحاقي وهم جنة العلماء والشعراء . ولقد سبق هويلاء لرجل الشيخ الصائفي والسيد مصطفى الخليل الكركشي والسيد عبد اللطيف ثيكان والأب أنستاس ماري الكركلي وغيرهم . ولا نشك في أن هذه الصفوة من العلماء قد شاركوا مشاركة جادة في خطبة العربية القصيدة قبل اهتمامهم بهذه العامية .

لقد تناول هويلاء ألوان العامية بالبحث والمقوس من شعر ومثل وأسايب وألقاظ . ولقد بلغ من عناية أحدهم وهو عبد اللطيف ثيكان أن صنع معجماً للألقاظ العامية البغدادية . ثم خلف من بعد هويلاء نفر استأنفوا العمل منهم : الشيخ جلال الحنني وعبد الرحمن الكركشي وغيرهما .

ولستطيع أن نلمح في العامية العراقية ثلاثة أقطار هي :

الخط الجنوبي والخط الأوسط والخط الشمالي . وفي كل واحد من هذه نقيض أنه يشتمل على لون حضري وهو ما يعرف به أهل الحواضر ، ونمط ريفي قروي . ولا تغفل أن يكون في الخط الجنوبي لون بدوي يتكيس في السادية الجنوبية التي هي لصق بمشارف القري -

والأرياف الجنوبية . ومثل هذا واضح كل  
الوضوح في الخط الأوسط والخط الشمالي :  
ولعل من السبر علينا أن نصل إلى شرائط  
واضحة في الأطلس القوي الذي يبرز هنا  
التوزيع الجغرافي ، وذلك لتدخل هذه المواد  
من حيث الخصائص اللغوية أصواتاً ودلالات .

ومن المفيد أن أشير إلى أن لغة بغداد  
العامية شيء لا يمكن وصفه وضبطه لأن هذه  
المدينة الواسعة قد التفت فيها عناصر شتى من  
حضرين من الحواضر العراقية المختلفة وقرويين  
وبدو وعناصر أخرى غير عربية . ولا أريد  
أن أهمل ذكر النواصة التي صنفها المستشرق  
الفرنسي لويس ماسيون ونشرها بالفرنسية  
مط أكثر من خمسين سنة ثم ترجمها قبل أكثر  
من عشر سنوات الدكتور أكرم فاضل  
المراق ، وهذه الدراسة القديمة قد تكون غير  
وافية بالنظائر العلمية في عصرنا هذا . إنها  
تفصّر في كثير من الضرورات اللغوية :

ثم إلى أستطيع أن أقول : إن جبهة هذه  
الأنماط تميل إلى التخارب ، وذلك بفضل  
الاتصال بين أهل هذه الأقاليم بسبب شيوخ  
وسائل النقل المختلفة وبسبب تداخل أطماع الحوة  
الجديدة التي تخفف السفر والتنقل . ثم إن  
هناك ما ندعوه بـ ١ وسائل الإهلام ٢ -  
وما تفرضه من نمط لغوي يميل بهذه الأنماط  
إلى أن تكون متخاربة بعضها من بعض .

ولا نعمل حامل التعليم فالمدرسة قد قربت  
بين هذه اللهجات وجمعت بها إلى القصيحة .  
وقد دخلت بلغة من طلابي وهم من يثبات  
مختلفة في الشمال والوسط والجنوب من العراق

وطلبت إليهم أن يصيغوا الألفاظ القصيصة  
التي دخلت في لغات المدن الصغيرة والقرى  
والأرياف . لقد انتهوا في استقراءهم إلى  
نتائج مفيدة كل الفائدة : وحسبك أن تعلم أن  
كلمات كثيرة نحر : البرنامج والحفلة  
والاحتفال والاجتماع والهاجير والهاجيرة  
وغيرها من ألفاظ أهل القرى الجنوبية مثلاً  
وهم سكة الأهوار . ولقد كان هؤلاء قبل  
أربعة عقود من السنين متعطشين كل الانقطاع  
عن كل ضرب من ضروب الحضارة :

وربما كان من السبر على الموصلي مثلاً أن  
يتفهم ساكني الأهواز ما يريد ، كما لا يفهم  
الموصلي نفسه ما يدورج به هؤلاء الجنوبيون .  
ثم ما حال العربية القصيصة اليوم مع هذه  
العامية ؟

أقول إن القصيصة . كما يعلم الأصاندة  
الأجلاء ، قوة تجعل منها أداة فاعلة لا تنكسر  
بالقاومة والوقوف ، فهي لا تنحصر أسماء  
العامية . ولقد رأينا أن العامية قد اتصلت  
الكثير من المصيح وما زالت تأخذ منه كل  
يوم . وقد يكون هذا المصيح مفروضاً عليها  
ضراً أن القصيصة تعاني من مشكلات كثيرة  
أهمها أن ما زلنا نجعل الكثير من وسائل تعلم هذه  
اللغة ولا سيما نحرها . وكأنّ النحر مادة  
لا علاقة لها باللغة يقرؤها الطالب فيصير بها  
نحراً فلا تدخل في سلوكه القوي . ومن ثم  
يشيع النحر والخطأ ويصبح هذا النحر والخطأ  
كأنه اللغة القصيصة ويتردد هذا الخط من  
الخطأ المسروع ، وكان في أنفسنا ميلاً إلى

الأخذ به بل نهم" إلى هذا الأخذ نحن الذين ندعو إلى التصحيح .. وبذلك تكون لغة جديدة هي العامة الصحيحة، أو عبارة أخرى هي العامة الجديدة .

أليس من العامة أن تشيع النسبة إلى الحياة فتكون « حياتي » وتسود حتى لينيل إل حضور مجسمي من أساتذة الأدب أن يكتبها في مقالة له نشرت في الجزء السادس والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة وتسميت بـ « الحركة الانتقالية الأخيرة في نظام الشعر العربي » .

لقد قال في الصفحة الثامنة والستين :  
« ..... أول الحالات الحياتية » .

كان هذا المصممي المرجوة له الرحمة بجهل « الحيوية » وهي النسبة الصحيحة الصحيحة إلى الحياة . ولا أريد أن أقف على قوله في أول هذه المقالة « لفرض الرئيس » ، كان « الرئيس منسوب إلى رئيس من الرؤساء وقد فاته أن « الرئيس » وهو وصف هو الصحيح المطلوب، وبذلك يعني من هذا المنسوب خطأ إلى الرئيس، وذلك أن العربية تحولت الاسم إلى صفة إذا أريد الوصف فتلحق بالاسم بـاء النسبة : نحو فلان المصريّ وفلان البغداديّ .

ومن نماذج هذه الأوهام الجديدة التي وُسمت بها فصيحتنا الجديدة التي كادت أن تكون نصيحة عامة ما يشيع من كلمات

منسوبة إلى المفرد وحققها أن نسب إلى الجمع ؟ يقال : الصراع الطيّق وهو صراع بين الطبقات والقانون الدولي والعلاقات الدولية ، وهو القانون الدولي نسبة إلى الجمع والعلاقات الدولية نسبة إلى الجمع أيضاً .

والمراد هنا الجمع ، فالقانون يسرى على الدول جميعها لا على دولة واحدة ، والإشارة إلى الجمع هي المطلوبة :

وكان هذا الذي استباح هذا الأسلوب نسب إلى المفرد قد اعتمد على كتب النحو النحوية فلم يتجاوزها إلى استعمال النحهاء ، وقامه أن ليست اللغة محكومة بقاعدة صرفية ، وقد اقتضت الحاجة أن ينسب إلى الجمع واللغة يسر لا عشر . ثم يشيع في كتب الرجال : فلان الطوايقي وفلان الجلودوي وفلان الأنماطي وفلان التكنوري وفلان الإبري . وعلى هذا جرى أبو الفتح عثمان بن جني فسمى كتابه « التصريف الملوكي » ، ومما إذا يقال في استعمال يذهب إليه هذا القوي الكبير ؟

ثم أليس من العامة الجديدة أن يؤث « البلد » و « الرأس » وهما مذكران ؟ وقد سمعتهما أمس الجمعة في خطبة الصلاة . قال الخطيب : « يحطون البلد ويذمونها » .

وقد نسبت الجملة التي وردت فيها كلمة « الرأس » مؤنثة . أليس هذا من زحف العامة المصرية على النصيحة ؟ وبذلك نبأ لنا نمط جديد هو التصحيح العام .

لعل القارئ يقول : إن هذا في لغة مصر  
العامية المعاصرة وليس في العراق .

والجواب عن هذا هو كالأني : إن شيئاً  
مثل هذا يكون في العامية العراقية ، وقد قرأ  
النصيح أيضاً ومنه « البطن » مؤنثاً وهو  
مذكر ، و « السوق » مذكر وهو مؤنث .  
ومثل البئر والساق وغيرها كلها صارت  
مذكورة في اللغة المحكية وفي النصيح البحاري  
على ألسنة المتكلمين وفي كتاباتهم .

ولابد من رجعة إلى النسبة ، إلى أسمع من محطة  
الإذاعة في بغداد اقرأ في الصحف كلمات هي :  
« التنمية » نسبة إلى « التنمية » والصفوية  
نسبة إلى « الصفية » ، ثم قالوا : « التسوية »  
نسبة إلى « التسوية » . وقد كان للناس شيء  
من هذا في مطلع هذا القرن درجوا عليه  
ففسهروا مثلاً إلى « التربية » فقالوا : « علم  
القبس التربوي » :

أقول : إن في العربية سعة وفنونا من  
الاستعمال فإذا تعمّر بناء من الأبنية أو نقل  
أسلوب من الأساليب صار المذهب إلى شيء  
آخر . أليس سهلاً أن نلجأ إلى أسلوب الإضافة  
فنقول : « أنظمة التسوية » بدلاً من « الأنظمة  
التسوية » ، وإضافة لؤي مائذيه أسلوب النسب  
وبذلك نتخلص من الفضل البغيض الحاصل من  
اجتماع اللغتين في حشو الكلمة الواحدة وهو  
« التسوية » .

ومن سطوة العامية وجودها على النصيحة  
الجديدة أن قانوناً صدر في العراق لاحتساب  
مدة الدراسة التي يقضيها الموظف الذي ترك  
وظيفته بسبب الالتحاق إلى معهد أو كلية  
وبعد أن أنهى الدراسة جاء إلى وظيفته .  
فكيف تحسب هذه المدة في الخدمة التقاعدية ؟  
وماذا جاء في هذه المادة القانونية ؟

قد جاء فيها : « تحسب المدة الأصغرية .  
التي يقضيها الموظف في الدراسة للحصول على  
شهادة من الشهادات » . أي أنهم احتسبوا  
أصغر مدة تتطلبها الشهادة مطروحة منها أشهر  
المنطقة الصفية الأخيرة مثلاً .

أقول : إن هذه « الأصغرية » وهي صفة  
إلى المدة تظهر من مظاهر العجمة بل غيبة  
النصيحة . لقد لجأوا إلى النسبة حتى يتألم  
منها أن تكون الكلمة صفة ، وغافهم أن الصفة  
النصيحة المطلوبة في هذا الاستعمال « المدة  
الصغرى » مؤنث « أصغر » مفيدة للتفصيل  
المطلوب ، ولا حاجة إلى هذه النسبة التي  
أضاعت الاستعمال إلى نكح عاين أصحى . ومثل  
هذا ما يقوله كبار السياسيين وينشره قولهم  
في الصحف : « لقولتان الأحظم » غاين  
حكم الصفة ؟ أليس هذا من الجهل باليسير  
من النحو العربي في موضوع مطابقة الصفة  
للموصوف ؟

هذه عامية جديدة ما أريد لنفسى أن  
أزيع فيها . ولولا حرصى على الوقت لأضمت

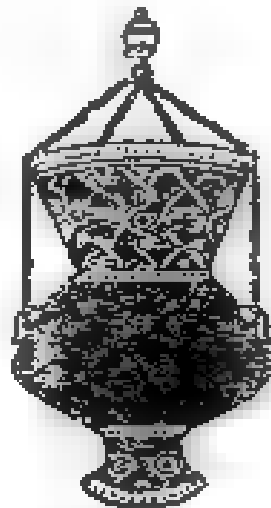
فيها أيمًا إقليمية وبذلك يتبنا في معجم صهير  
أدعوه : معجم النصيحة العامة .

ولا أواني شديدة؟ أنجبر على العرب  
وأضيقت عليهم ، ولما وحدثنا ، نحن أهل  
الحفاظ على النصيحة ، في سلوكه هذه  
السهيل ، ولنا في خبرنا من الأم الغربية أسوة  
حسنة .

لقد صنو في العراق قانون سلامة اللغة  
الغربية للحفاظ عليها من حالة العامية . وما أظن  
أن غير العمل اتحاد المتظم حاصم هذه اللغة  
الكريمة .

ولئن أظنت عليكم فأعرفت ، المعبر  
سياسة وكرم فيكم ، والسلام عليكم .

أبراهيم السامرائي  
عضو القجمع التراسل من العراق



# موسوعة

## أعيان القرن الثاني عشر الهجري

### للكبير إسماعيل بن موسى الحسيني

**استرعى**

نظري ظاهرة خفيفة  
بالتأمل من ثلاثة جوانب :

الأول : تعاون عدد من علماء القرن  
الثاني عشر للهجرة في تصنيف «موسوعة»  
لترابيم معاصرين :

الثاني : دحض زعم سمعناه مفاده أن  
المنزلة العربية فردية لا تعاون ولا تكاليف ؛  
الثالث : نزول التراث الإسلامي الذي  
مازال محجورا عنا .

وهذه الأمور حزنني إلى تقديم هذا  
البحث إلى مجسمكم للوقر .

تطبع الرعي في هذه الموسوعة محمد  
خليل المرادي دمشق صاحب ١ سلك  
الدرر في أعيان القرن الثاني عشر :  
(١١٧٣ - ١٢٠٩ هـ) .

وتجب المرادى في أن يشترك عدد من  
علماء الأمصار الإسلامية في تصنيف  
«موسوعة» تضم تراجم الأعيان من شعراء  
ولقباء وعلماء ، كل في بلدته وفي حدود  
ما يصل إليه علمه .

يقول الجبرتي «كان - المرادى -  
مفرغا يصيد الثوراد وتفيد الأولاد واستلام  
الأخبار وجميع الأكلر وتراجم المعصيرين  
على طريق اللوزجين . وراسل فضلاء البلدان  
البعيدة ووصلهم بالهدايا والبرقيات العديدة  
والنفس من كل جميع تراجم بلاد . وأخبار  
أعيان أهل القرن الثاني عشر (١)»

وكرر هذا القول عبد الرزاق البيطار  
(١٢٥٠ - ١٢٣٥ هـ) في كتابه ( سيرة  
البشرى لتاريخ القرن الثالث عشر ) الذي  
طبع أنخيرا في دمشق بمناية المرحوم الشيخ  
بهجة البيطار ، ولا يستطيع أن يجزم بمن بدأ

(٥) انظر التفصيلات على البحث في مصادر جلدات الدرر للراية والأدبي (مجلة المتن ١١ من دمج الأعر  
سنة ١٩٦٩ - ٢٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م)

(١) وردت نسخة في جوامع سنة ١٢٠٩ هـ ترجمة المرادى في وآلها الإدارة إلى التاريخ بدلا من صفحات  
الكتاب بعد طباعه .

المرادى بالمراسلة : لما أخرجني المؤلفين  
فالمسائل التاريخية .

رأسل السيد محمد مرتضى الزبيدي ،  
صاحب تاج العروس ، في أثناء مقام السيد  
في القاهرة التي قضاها سنة ١١٣٦ هـ سنة  
مولد الجبرتي . فواتس منه أن يصح  
تراجم المصريين والحجازيين ومن للأستاذ  
الوقوف على ترجمته وحاله من أهل الأمصار .  
فأجابني الزبيدي لطلبته وشرح لي جميع  
المطلوب بمحبة تيسله المقرب إليه .  
عبد الرحمن الجبرتي - وكان يومذاك في  
في العقد الثالث من عمره أو نحو ذلك .

ونجى المرادى السيد الزبيدي بمراسلات  
وأنجسه بالصلوات لثراذقات كى يسجروعه .  
ومن تلك رسالة مؤرخه في آخر ربيع  
الثاني سنة ١٢٠٠ هـ ألقيها الجبرتي في كتاب  
( صحاب الآثار في التراجم والأخبار ) في  
حوادث سنة ١٢٠٦ هـ .

وكانت جمعية ماجمعه الزبيدي عشرة  
كراريس وفيها على حروف التهجى وسماها  
( المعجم المختص ) ذكر فيها شيوخه ومن  
أخذ عنه أو جالسه من رفيق وصاحب من  
أهل الروم والشام والحجاز والسودان

وتوفي السيد الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ .  
وكانت أوائمه مخدوما عليها . وعندما وصل  
نبيه إلى المرادى بأمر إلى إرسال كتاب إلى  
الجبرتي على يد التاجر القباقي يستلحق تحصيل  
ماجمعه الزبيدي من أوراق وضم ماجمعه  
الجبرتي نفسه وإرساله إليه . وسبب كتابته  
الجبرتي ما عليه من أن الزبيدي ترجمه وذكر  
أنه أعانه على جمع التراجم .

وجمع الجبرتي الكراريس ونظر فيها  
وجدناه ناقصة وفيها بياضات كثيرة وقرأ  
التراجم فلم تتركه "لأن غالب ما فيها آفاقيون من  
أهل المغرب والروم والشام والحجاز والسودان  
والهين ليس لهم شهرة ولا كثير بضاعة من  
الأحياء والأموات ، وأهل من يستحق  
أن يترجم من كبار العلماء والأعظم وتحرهم" .

وهذه الجبرتي بالعمل ، فجميع ما كان  
سوقه وراد فيه ، وهم تراجم فقط دون  
لأخبار والوقائع .

وفي أثناء ذلك ورد عليه من المرادى ،  
فتمرت همه وطرح الأوراق في زوايا  
الإهمال مدة طويلة ، حتى كادت تنثأثر إلى  
أن حصل عنده باعث من نفسه على جمعها  
مع ضم الوقائع ، والحوادث المتجددات  
على هذا النسق .

وذكر الجبرتي أمرين عظيمين بالتنويه :  
الأول أن المرادى : هو السبب الأعظم  
الداعي لجميع هذا التاريخ على هذا النسق .  
والثاني أنه لم يعرف ما فعل البحر بتاريخ  
المرادى - سلك الدرر في أعين القرن الثاني  
عشر - بعد وفاته : الأمر الذي يهمه منه  
أنه لم يطلع عليه لغاية سنة ١٢٠٦ هـ . يقول  
ذلك لأن D.B. Macdonald

كاتب مادة الجبرتي في دائرة المعارف  
الإسلامية يذكر أن الجبرتي نقل من كتاب  
سلك الدرر . وعجالة الجبرتي وردت في  
الجزء الثاني من كتابه عند ترجمة المرادى



في حوادث سنة ١٢٠٦ هـ. ويذهب إلى نقل النقل ، اللهم إلا إذا حدث بعد ذلك التاريخ .

ويقول Macdonald أيضا . ولعل هذا الكتاب - سلك الضرر - أوحى له بالناحية الخاصة بتراجم الوثائق ، ونقول : ثبت أن المرادى هو السبب الأعظم الداعي لجمع عجائب الآثار ، فإما كان الأمر إجماعا وإلما هو تكليف كما ذكر الجبرتي .

ومن الإنصاف أن نثبت للجبرتي ما نرى : الأول أنه لم يقلد المرادى في منهجه ، فلم يقتصر على التراجم وإنما أرخ للحوادث مدخلا التراجم في إحصائها التاريخي . وهو وإن لم يكن مبتكرا في هذا المنهج السليم فقد طعن إلى قائمة الربط بين الحوادث والتراجم . ويزيد في ضعف التراجم المتصلة عن التاريخ توقيها بأجنديا بدلا من أن ترتب حسب الطبقات ، كما فعل بعض مؤرخينا القدامى :

والثمة الثانية استقلاله في الرأي ونقده شيخه الزبيدي في تراجمه - كما أسلفنا القول - وإن كنا لا نستطيع أن نثبت من صحة نقده .

بقيت مسألة ينبغي أن تنبها . هل أراد الجبرتي من تراجم شيخه أو من بعضها ؟ إن قوله : « غالب ما فيها آفاقيون » يدل على أن بعضها للغير الآفاقيين . ويلاحظ أن الجبرتي لم يذكر مصادر ، ولولعل لتحقنا

من الجواب . ولكننا لا نستبعد إقاده من نقد جميع أوراق شيخه ونقل بعض الرسائل التي جرت بينه وبين علماء عصره ، مثل الشيخ محمد بلخير والمرادى .

وثالث المؤلفين الذين عرضهم للمرادى على التأليف الشيخ حسن بن عبد القطين الحسيني مفتي القدس . فقد ذكر الحسيني في آخر مخطوطة ( أحيان القدس في القرن الثاني عشر ) أنه كتب استجابة لطلب المرادى .

وقد عثرنا على الرسالة التي بعث بها المرادى إلى الحسيني في بيت المقدس . وفيها يذكر المرادى أنه كتب شخصا آخر بكتابة التراجم ولكن ما كتبه لم يف بالمراد ، فعهذ بالكتابة إلى الحسيني . ولم أثبت من تاريخ الرسالة سبب ما أصلها من عطب .

وكتاب الحسيني على جانب كبير من الغلظة في تاريخ بيت المقدس ، لأنه يأتي بعد ( الأئمة الجليل في تاريخ القدس والتحليل ) لقاضي القضاة مجير الدين الجلي الذي وقف عند سنة ٩٠٠ هـ .

ترجم الحسيني نحو ستة وأربعين رجلا من أحيان بيت المقدس ، من شعرائها وفقهائها وقصائنها . ومع أنه لا يرقى إلى مرتبة سلك الضرر أو عجائب الآثار ، مادة وأسلوبا ، فإنه يقيم في موضعه .

وبخير بالذكر أن الحسيني درس على الزبيدي عند رايته القدس . من ١١٦٧ هـ في

طريقه من الحجاز إلى القاهرة . ويذكر الجبرتي أن الزبيدي ألف الحسيني أرجوزة في الفقه . وربما كانت هي الباحث على عنايته بالفقه . وقد كان له فيه باع طويل حقا . وعندما فتواهم كاملة ، وهي تلك على اطلاع واسع وحسن نظر ، حتى أن شيخه محمد بن بدير كان من جملة من استفاد . وتولى الحسيني الإفتاء في الديار المقدسية نحو ثلاثين عاما . وشاركه في الإفتاء أحيانا الشيخ محمد التتلاقي صاحب المرتبة العالية في الأدب والفقه والمنطق .

ونسأل . هل أرسل المرادي رسائل إلى علماء العراق والمغرب العربي حاضيا على ترجمة أعمالهم ؟ أرجح ذلك ولأن كتابنا لا يملك البينة . أما هو فقد ذكر أنه كاتب العلماء في البلدان التي لم يرها . لذا سماه « أخبار الأعصار في أخبار الأمصار » ، ثم شاع باسم « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » .

ولعل صلة غير مباشرة وجدت بين وبين الشيخ أن ولد محمد بن أحمد الناصري الحزائري المتوفى قبل الجبرتي بقليل .

فقد درس الناصري على الزبيدي في القاهرة ، وألف كتابا سماه « السيف المنبسط في ملوكيته بأسانيد الشيخ مرتضى » ، وأجازه الزبيدي ووصفه بالمحافظ ، وألف أيضا

كتابين هما : « عجائب الأسفار ولهذه الأخبار » و « إقبال التأسيس بما وقع . سبق مع الفرنسيين » . إن لمسي كتابين قريبان من لمسي كتابي الجبرتي . لكن للمدحش أنه لم يذكر الجبرتي ولا الجبرتي ذكره (١)

ونسأل : ما الذي حفز المرادي إلى التفكير في هذه الموسوعة مع أنه كان أصغر الأربعة سنا ( ١١٧٣ - ١٢٠٦ هـ ) ؟

ينمو عن لفظة الموجزة في صدره من البرور . أن الباحث الأول كان « ينشأ » إذ ذكر أنه وألف في التاريخ الكبار من العلماء المؤلفات العديدة المثل ، لأن الفكرة في عقل أصول الدين على البحر والتصيل . لذا صرفت المرادون منهم إلى جمع الأخبار ونقل المناقب وحفظ الآثار . وينمو كذلك أنه كان مولما بالتاريخ منكبا على جمع المؤلفين الأخبارية فاجتمع الباحث الديني إلى الخافض الشخصي . ولما رأى أن معاصريه قد أهملوا تراجم حصرهم نهض هو بالمهمة وجمع التراجم من الكتب ومن أفواه الناس واستكتب العلماء ليأخذ التاريخ شاملا الكثير من الأمصار الإسلامية .

على أن نهج المرادي والحسيني والنهي قبلها يرحى أهم أرادوا رسم الصورة المثالية لرجال ليكونوا قدوة حسنة للناس . ولو كان

(١) اختلني في هذا على بحث لأي مناسبه الله استاذ التاريخ الحديث بمجلسه الجزائر نشر في كتاب ( صورة عبد الرحمن الجبرتي وعصره ) صادر عن مجلسه عن خمس سنة ١٩٧٩ .

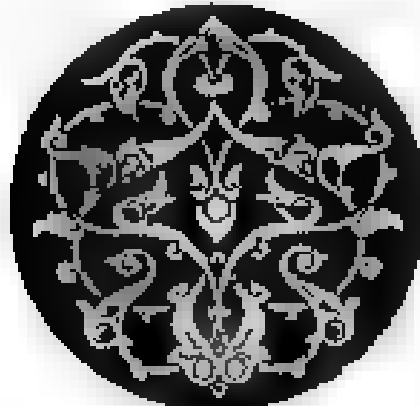
القصد ترجمة الملك على ما هو عليه لوجب  
أن تكون الصورة أكثر انطباقاً على الواقع ،  
ولوجب كذلك أن توضع الصورة في إطارها  
التلويحي ،

وعلى كل فلان فقد كتب التراجم ينبغي  
أن يوسع حتى يشمل مؤرخي المصور الساجدة  
وهو علم انفصله في هذا البحث .

وحسبنا أن تظهر التراجم بين هؤلاء  
المؤرخين واشتراكهم في تصنيف أول  
موسوعة في تراجم الأعيان ، الأمر الذي يدفع

سمة الفردية ويؤكد أن العمل الجماعي ضروري  
وغم صحوة الأسفار وعصر الطباعة ، والبرية  
في الموسوعات الفردية قيمتها الثانية :  
ولا يضير أحداً من علمائنا القدامى أن تكون  
له همة « جماعة » من الناس ، كما نرى في  
تاريخ الطبري ، محيط الفيروز آبادي ولسان  
ابن منظور وتاج الزيلعي وطبقات السبكي  
وتاريخ ابن عساكر ، وأنصارها من الشوامخ  
في تاريخ الفكر الإسلامي قاطبة ، لاقى تاريخ  
المسلمين وحدهم .

استطاع موسى الحسيني  
معه المجمع



# اللغة والواقع

للدكتور محمد عزيز بختي

## غرض

هذا الغرض أن يقدم  
لخبراتكم الجزء الأول  
من معجم فلسفي يسمى : « المبدأ في مصطلحات  
الفلسفة والعلوم الإنسانية » ورجائي أن ينال من  
قدركم قدوماً صيغاً من رضاكم ، فالرغبات تشجيع  
محفز بالاعتماد إلى الاسترسال في العمل .  
أما لماذا فغير غرض حل المؤلف أن يراجع  
المنهج ويصلح الاوجه ؟

استعان « المبدأ » بجهود جميع اللغة الحرة  
بالتفاهة وجميع عشق المؤرخين ، ويود  
أن يستمر في مهمته ، مسترشداً بخبراتكم  
ونصائحكم ، خدمة للأجيال الآتية .

\*\*\*

اللغة منظومة ضرورية للحياة ، وإن  
كانت مستعصية على الفهم ، تلك هي  
الإشكالية التي دفعتني إلى المطالبة التي  
سأحدثكم عنها اليوم .

هذا الشيء للفلسف المبسر الذي نطلق  
عليه لفظ ( لغة ) ما هو ؟  
تيسر علينا إذ يريحنا حل أن نتحدث ، وأن نتحدث

طبقاً لإطار وقواعد انضمت في غيبة  
عنا . نتعامل معه وبه ، رغم أنه نسق  
مفروض علينا من الخارج ؟

يبد أنه يقال : ( كاتب ) ، و ( شاعر مبدع )  
و ( صحافي جدد ) وكلها أفعال تقضي  
مسبقاً ، حرية التصرف في الوسائل التعبيرية  
التي يحصل بها الابتكار والإبداع والتجديد ؟  
إن اللغة أداة ، وفي نفس الآن سر ومنظومة .  
وهذا هو الإشكال الذي يزعزع العقل ،  
ولذلك هي الإشكالية التي ينطلق منها التفكير ؟

إن التجار لا يفكر أن يفعل بالطريقة  
إلا ما صنعت من أجله ، أي الذي حل  
رووس المسامر ، فلا يمكنه أن يلشز  
الخشب بالطريقة . لكن بما أن التجارة  
الحديثة قد دخلت عصرها الذهبي المائل  
لأنها جذبت أشكال الأدوات لتكييفها مع  
الحاجة الشخصية الحالية ( أصبح التجار  
أكثر قدرة على الابتكار والتجديد في  
مهامهم واتسع نطاق صناعته .

(\*) انظر التعليقات على البحث في محاضر جلسات الدورة الرابعة والأربعين ( جلد ١ ) من ديوان  
الأمم المتحدة ١٩٩٨ - ٢٠ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٩٨

البومية :

فاللغة التي نمت بالمرونة والدقة تفتتح  
على ضرورة الحياة ، وبالتالي تسهم في تقدم  
الحضارة فالإنسان يتحضر باللغة ، واللغة  
تسهم في الحضارة بفصل الإنسان .

إن الإنسان في المجتمع العربي للعاصر  
إنسان مكبوت محاصر في مجتمع متخلف  
مجتمع الحرمان والاستلاب ، ولئن نستطيع  
التغلب على التشبث ، إلا بتغيير المجتمع العربي  
من فكر الاجترار إلى فكر الفعل بلغة  
تساير التاريخ ، لذلك يجب أن ننسى  
وحنانا فقط قادرا على النقد الذاتي ،  
فالقد الذاتي سيطلق المختصون المواضيع صريحة  
الاهتمام ضد الذين يماكسون حيوية اللسان  
العربي ، يجسدونه في حلم كل ما فيه  
يتحول ويتطور فهاهم الميام بالغة العربية  
يعانقونها حتى يضفوا عليها الأنفاس .  
لقد أدخلوها في غيبوبة «ومن الحب ما  
قتل » . إن كل حديث كلام عن قضية  
وليس مجرد حركة لسانها . فلا كلام دون  
قصد ، والكلام المادف الغيد حجم يأخذ  
حقا من المكان ومن الزمان يجب ألا  
يصداه . إن الحشو يتزل بالكلمات منزلة  
الترك ، فتلا كلمة «أستاذ» عندما تطلق  
باللهن على كل من يتأبط جريدته ، بل نسمع  
داخل الحاشية قاطع التذاكير يحاطب

كذلك نحن المتعلمين لسان العربي ،  
إننا مطالبون بأن نعي الأوضاع المتغيرة .  
فأمامنا قضايا مصيرية نضخم ، يوما بعد  
يوم ، المسؤولية الملقاة على ضميرنا .

فكيف نطورها لنجعلها واحة ؟ كيف  
نستطيع معارعتها بالعدة الجمالية والمادية ،  
بجندين القوات الشعبية بصميم التطعيم ؟

فإذا أن يكون اللسان العربي عونا أساسيا  
في المعارك ضد التخلف نحرره فتصحر به ،  
وأما أن نتركه طريقا صعب المرور ؟ فإذا لم  
نقصد حاجلا لإصلاح ما يجب إصلاحه  
بقيت المشاكل في تكاثر مستديم ، فما العمل ؟  
جوابا على الأسئلة نقول :

يجب أن نحرر اللسان العربي بوضع  
الحركات على الحروف ، يقال عن اللاتينية  
وعن الإغريقية القديمة إنها لسانان ميثكان .  
نعم ، الواقع يؤكد ذلك ويرفض أن نلصق  
الموت باللغة العربية : ألا نكتب بها بل  
نصحدث بها في بعض الحالات ؟ إنها  
إذن حية ، ولكن بنوح نحاص من الحياة  
فالمرضى في حالة التبيح هو أيضا حي ،  
وإن كان في غيباب بلا حضور فعل :

اللغة ، كل لغة ، على مستوى المتعلمين  
بها ، فقلسان العربي أمجاد وجولات  
في تاريخ الفكر والفنون والحضارة الإنسانية  
لا كما كان يحصل رسالة تسهم في الممارسات

الراكب بالاستعداد، بما يفرغ اللفظ من محو الحقيق ويحطه خفضاً ، بلا هوية ؟

من المسؤول عن هذا الموضع ؟

إن قوة اللغة وحيويتها تكمن في شيوعتها مع أقصى ما يكون من الدقة . يبلغ سكان العالم العربي ١٥٠ مليون . كم منهم يقرأ أو يكتب أو يتكلم بالعربية ؟

دور اللغة أن تعكس حالات الناس بالواقع . فالحدث من أي شيء يتحدد من ... إلى ... من متحدث إلى قارئ أو سامع . فلننزل الكتب ونطبع الصحف ؟

إن نسبة القراء من العرب ضئيلة ٧.٨٥٪ من الأميين ، ومن الباقى نسبة أقل من التخليد تلج عالم القراءة الشعبية ، هذا هو الوضع . إننا لا نرغب في الاستحيل ، وإنما نطالب بقليل من الشجاعة : فما أن اللغة تغرب عن الواقع وتقرب منه ، بلزماً أن تعمل ؟

كل ما يلرب من معايرة لساننا للواقع العربي ، والواقع الحضاري ، دون حجب أو ضباب ، وأول عملية تمهد السبيل إلى ذلك هي أن نضع الحركات على الحروف .

الحروف إشارات مركبة ، ومن تركيبها تكسب الدلالة . لذا فعمل صنعا لكتب بلختنا العربية ؟ إننا نعطي نصف إشارة أو شيئاً يوحى بإشارة ، فبلا (ب) ، غير كاملة ، عند تكون (بة) ، أو (ب) ،

أو (بي) ، أو (ب) ونجوز إضافة الثنتين أو الثلاثة مع كسر أو فتح أو ضم . فكل حرف يبرز في حقل من التخصيصات . إن

١١١ تفترض إمكانية على وجه التفرير ويجوز أن تقول إن كلمة من أربعة أحرف ضح فلفظ ٤٤ سؤالاً على الأقل . من هناك لتقلب الأوضاع : فالطفل ، والقارئ ، عموماً ، حريصاً أن يتعامل مع المعاني بالألفاظ ،

بعد نفسه هو المسؤول والألفاظ هي المسألة . يمكننا تبديل الوظائف . وهناك ما هو أنصح من كون اللفظ بصيح لثراً ، يجب على القارئ مكنه ، وأن كل حرف من حروف اللفظ يتحول بدوره إلى سؤال : إلى لفر . فالقنطرة الإشارية للحرف تعدم كلما جاء أبتر : أي بلا نقط أو بلا حركة . ذلك هو المعنى الحقيقي للإعراب الذي هو أساس العربية . فلأمر ما سميت الفصحى والضميمة والكسرة والسكون « حركات » و « علامات الإعراب » ؟

إن التعليم الحركة العنصرية هو الذي يعطل الجهد ، فاختل الوظيفة العاميات تنقوى إلى حد يصعب معه التعليل على الأمية . وعلى « رائق التعريب الصحيح »

ليعلم الأطفال اللغة من طريق السمع قبل الكتابة ، إذن دور الأذن والذاكرة دور مهم جداً . فلما يجب لفت النظر إلى التأثير الحاسم الذي تتمتع به الإفاضة والظلمة والأشربة السيئانية . فلنسمع إذ

تعليق على مباراة لكرة القدم، بالفاهرة مثلا،  
بين الأهل والزمالك فكثيرا ما تعددن في  
أذاننا ألفاظ مثل (كول) و (كورلر) و  
و (يناتي) و (أو فساي) ... مع أن  
هذه ليست ألفاظا تقنية نصب ترجمتها :  
فأنا يعوق للبيع من استعمال (حارس مرى)  
(وركنية) أو (زاوية) أو (شرو) كنا أمام الشدة  
مرة لصاح أبي : انظر يا بابا هذا (كورلر)  
فصيححت له غل : وكنية : فكان جوابه  
(إن الطفرة تستعمل (كورلر) وهل أنت  
أعلم من المبيع يا بابا ؟ طبعاً لا ، أنتي  
مجرد أب ، أما الآخر فملاحر مبرهين على  
جهاز يتخذ ، مباشرة ، إلى الشعور والاشعور  
والإلذاكرة حين يصادف وعاء محالاً  
فيمسكن !

إن اللسان العربي لقادر ، ومطواع  
إلا أن أغلبية أصحابه عاجزون ، منهجياً ،  
ومخالفون من التطور ، أي من دينامية  
الحياة . فأحسن الكلام ليس الألفاظ  
المنمقة ولا يحمل القصيدة بل إنه ، كما  
يعرفه الجاحظ « ما كان قلبه يهنيك  
عن كثير مما يشاهد في ظاهرك لفظه » (البيان والتبيين) .  
ولكن فصل إن «أحسن الكلام» أي  
إلى كلام خال من الخشو ، الكلام الخفيف  
الرائع ، يجب أن تحدد المصطلحات

في كل ميدان من ميادين المعرفة ،  
فهو لنا معاجم تعاصر الأوضاع الحالية ؟  
نعم ، إلا أنها دون الحاجة ، فهي وإن  
كانت صفة أحياناً ، بما فيها من مواد ،  
لبن ناقصة من حيث المنهج ، حقاً ، هناك  
محاولات وتجارب لتعطي هذا التفصيل ولكنها  
لم تعط بعد أكلها ناضجاً : والبرهنة على  
ذلك مستتصر على مثال واحد هو ميدان  
الفلسفة ، التي هي موضوع « المبدع » :



أول ما صدر في هذا المجال ، كتبت  
من مائة وعشرين صفحة ، يحوى على  
مصطلحات بالفرنسية وأماها ما يقابلها  
بالعربية ، وقد أجهزناه عام ١٩٦٠ (١)  
بيد أنه لا النجم ولا الطريقة للجنة كانا  
ملائمين للحاجة : ومن هنا التكتيب نطلق  
« المبدع » الحالي ، متجنباً أكثر ما يمكن من  
من المقاربات السابقة (٢) :

بعد ذلك صدر « المعجم الفلسفي » ليوسف  
كرم ومراد وجبة ويوسف شلالة : هذا  
المعجم أخصم من سابقه وأكثر تعميماً للشروح  
ويضيف إلى العربية والفرنسية ، المصطلح  
بالإنجليزية (٣) . لم يعط هذا المعجم مددا هاما  
من المصطلحات الحيوية ، وما أوردته ليس  
مشكولا ، أي بلا حركات .

(١) « مصطلحات فلسفية العرب ١٩٦٠ .

(٢) م.ج. الخبازي ( المصطلحات الفلسفية والعلوم الإنسانية ) ( فرنسي إنجليزي عربي ) ، ج ١

١٩٧٨ طبع الكتاب ، دار الفكر .

(٣) « الفلسفة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٦ . وفي سنة ١٩٧١ ، أصدر مراد وجبة الطبعة الثانية موزعة مطبوعة ،

في ٢٥٩ ص .

ونشر المرحوم جميل صليبا معجمها في جزأين (١) ، إنه عمل قيم ، كمعجم مراد : نوجه إليه نفس الملاحظين السابقين : المصطلحات العربية غير مشكولة وتوجد فيه معاجم معاصرة :

وقام بجمع اللغة العربية بالقاهرة بنشر دفتار المصطلحات الفلسفية ، انطلاقاً من الإنجليزية اللاتينية ، ومن هذه الدفاتر سيتحقق معجم هام ، نشئ أن يصلو قريباً ، لما سيقدم للباحثين من عون ثمين .

اعتمد « للمعين » على المراجع السابقة وعلى غيرها ومع تقارير جهود أصحابها عمل على تجنب ما جاء فيها من أخطاء منهجية ، أو ما ظهر له أنها أخطاء وهذا لا يجتنب من أن تصرح وتؤكد أن « للمعين » مليء بأغلاط وأخطاء أخرى جمة ، فأكمل الجهود التي بذلتها سوى مراد سيعملها كثيرون في تأليف المعجم للكمال .

انطلقنا من أن الفلسفة وظيفية مجسدية تواصلية : بقدر ما هي تأملية ، فباللغة والوضوح ، ويتجنب الحشو ، يمكننا أن نقوم بدورها اللغوي المعرفي من جهة ، وبدورها المختص من جهة أخرى . ٣ فكلاً " تركزت اللغة على الفضائل الثلاث السابقة ( اللغة ، والوضوح ، وتجنب الحشو ) ، أصبح

الحديث الفلسفي التزاماً ، أي صار قادراً على الخروج من الاضطراب في الضبابية التي تعزل بعض الفلاسفة عن مواطنهم ومعاصريهم . فبدون ذلك ، لن يستطيع الفيلسوف توظيف طاقته الذهنية التأملية ، والتزامه المختص ، كأعمال تربط الأصالة بالمعاصرة ، والمعاصرة بالشعور الإنساني :

أيها الأماجد . بعد أن عرضنا عليك بانتصاب الإشكالية التي انطلقت منها « للمعين » والغاية التي يرى إليها ، يسرنا أن نضع تحت أنظاركم :

إننا متيقنون أنه مادة غام لمن سيقومون بتأليف معاجم فلسفية مكتملة ، لغة ومنهجاً وطباعة :

إن المعجم الفلسفي التوفيقى المنتظر في نظرنا هو الذي سيقوم على قواعد منهجية منها :

- وضع الحركات على الحروف :
- أن يحدد لكل مصطلح إحطو الذي اشتق منه .
- أن يورخ له ، لأن اللسان ليس إنجيدية أو مجموع لهجات ، وليس هو ما في القواميس . إن اللسان تاريخ وجد أن أمة عبر تطورات التاريخ ، إنه إنسية الأمة في مظاهرها التي تتحرك على الدوام .

(١) المعجم الفلسفي ( مريد - فرنس - الإنجليزي - لاتنى ) بيروت ( دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢ )



لقد آتينا بأن ترجمة مصطلحات علوم الطبيعية إلى العربية أسهل من ترجمة مصطلحات علوم الإنسان ، فهذه الأخيرة ليست بسيطة ، فبرغم أننا بلدنا نغريها منذ قرن ونصف ، ورغم أنه وضعت معاجم وفوائدها ، لم تغلب بعد على فوضى التعبير في البيكولوجيا والوسبيولوجيا ، والفلسفة والسياسات ، لعل الشكل في عدم توحيد المصطلحات وهيئتها ؟

لا نطن ذلك ، لأن الجامعات العربية قد أسست : المكتب الدائم لتحقيق التعريب في العلم العربي ، وقد مرت سنوات على هذا التأسيس ، ورغم حسن النية ، والجهود المبذولة ، والمطالعات والإمكانية التي جمعت في هذا المضمار ، لم تصل بعد إلى النتيجة المتوخاة ، فما سبب هذا الوضع إذن ؟ لاشك أن النقصان في المنهجية ، أولا هناك أسباب أخرى ، منها أن النشوق يفترض الانطلاق من أعمال تامة جاهزة ، لكن الواقع أن الأعمال التي ألفت لم تصل بعد إلى التوضيح : فهي إما غوام باللفظ عربية وما لو تامة الموثقون مقابلها بالفرنسية أو بالإنجليزية ، وإما غوام لألفاظ أجنبية وما يظهر أنه يقابلها بالعربية. هذه الطريقة تعارض مع البيداغوجيا المعاصرة

إنها تكتفي بوضع لفظ أمام آخر ، دون تحديد كاف ودون تفسير وتعليق بين المعاني المختلفة للفظ الواحد فلفظ معنى أصلي ومعنى ( أو معاني ) اصطلاحية مثلا

(B) adaption (F) adaptation

ترجمتها بعضهم : تكيف ، وهي ترجمة صحيحة لكنها غير تامة (1) فيجري أن تكون الترجمة هكذا :  
تكيف  
تكيف

لأن (adaptation) مصدر ، إمال (adaptee) وإمال له B'adaptee

« نقص » و « تناقص » ، وعلم و « تعلم » ، فلا بد من مصدرين ،

إن adaptation تدل على عملية بذاتها . أو على عملية يراد منها نتيجة ، فإن اصبرنا العملية في حد ذاتها لزم استعمال تكيف أما الحالة الأخرى فالصواب هو تكيف .

بالإضافة إلى المشكلة السابقة ، قد يرتد على « الفوائدها » أنها تعطى أحيانا أكثر من لفظ لترجمة مصطلح أجنبي ، دون أن تكلف نفسها الاهتمام بالقرينات الدلالية (as nuances) أي بالتفروق الموجودة بين معاني اللفظ الواحد ، أو لألفاظ يظن أنها مترادفات .

(1) انظر هذا المصطلح في الفقرة 1 من المبحث الثاني الذي يشرح « سجع اللغة العربية بالمعاصرة ».

نتيجة لما سبق : من الطبيعي أن تأتي القوائم مدحاة للالتباس والغموض ، على أنها دائماً ناقصة ؛ ولتوضيح ذلك فلنصفح قائمة صدرت عن المجلس الأعلى لرواية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وقرينة العهد بالصدور . فلنصفح الصفحة الأولى من تلك القائمة .

ليرغم الجهود الطيبة التي بذلت لتبسيط القائمة بعض الملاحظات ( كان من المتوقع أن تكون ، لأن مجال القوائم ليس هو مجال المعاجم ) .

— أول مصطلح هو ( abduction ) . أصلي في مقابله بالمرية « قياس احتمالي » دون شرح أو أمثلة تفسيرية ، وأضللت القائمة أن القياس الاحتمالي توحيان : معنى عام ، وهو قياس مقلدته الكبرى يثبية في حين أن الصغرى ليست إلا عشوية . وأما للمعنى الخاص فهو ما جاء عند Petros الذي جعل من abduction كل استدلال تكون نتيجة احتمالية فحسب .

ملاحظة ثانية : إن المنهجية لا تسمح بأن نكتب بداية كل الكلمات الفرنسية أو الإنجليزية بحرف تاج ،

من المعلوم أن أسماء الأعلام هي التي تبدأ بحرف تاج وكذلك بعض المصطلحات التي لها معان خاصة مثل : histoire و Histoire

فالأول تاريخ ، وهي عملية تدوين الأحداث بعض قرصتها ، إنها مهنة المؤرخ أما Histoire لمجموع الأحوال المتغيرة التي تمرى الكائنات أو العالم ، وبالتحديد مجموع الأحوال التي تمر بها المجتمعات البشرية .

وتواجهنا في القائمة لفظ ( abhase ) وترجمتها بالمرية « أبهزا » .

ولم يصاحب ذلك نصير أو شرح لها هي المعادلة من إيراد اللفظ ؟

— المصطلح الذي يلي هو : abduction وترجمتها أصحاب القائمة بـ « أبهلا » ، وبعد الترجمة يأتي التفسير بين هلالين : ( فلسفة عقلية ) . هذه العبارة غير كافية لأنها بلا تحديد وبلا شرح . . . والقارئ لا يشم المعاني في أظفاره . فما غائبة قاموس لا يبين على أنهم ؟ ثم إن اللفظتين الأخيرتين غريبتان عن الميدان الفلسفي العربي ، وعن الفلسفة الإسلامية العربية .

ولنعز إلى مصطلح آخر في اللاتينية Absolute ( مطلق ) . ألم هذا المصطلح تصاب بحيرة ، لأن أوله مكتوب بحرف التاج ، في حين أن الحرف الفلسفي يفرق بين Absolute و absolute ثم إن أصحاب القائمة لا يفرقون ، كذلك بين l'Absolute و absolute .

ولم يأخذوا بعين الاعتبار أن أداة  
التعريف تصاحب الأسماء إذا قلت  
هذه على مذهب أو على جماعة ، فتشير عن  
الصفات - ( المطلق ) يخالف مطلق ،  
فلايد ، كذلك من التمييز بين  
absolu كمت ، absolu كاسم ،  
ومن جهة أخرى ، يأتي لفظ absolu اسما  
يكون إما صفا ( adjectif ) وإما  
( adverb ) أي حالا أو مفعولا  
مطلقا

ملاحظة أخرى : الباحث الذي  
يدفعه القبول إلى مراجعة معجم فلايد ،  
مثلا يجد أن : absolu : اثني عشر معنى ،  
في حين أن المجلس الأهل لرعاية الفنون  
والآداب لا يعطي إلا معنى واحداً وغير  
دقيق ، لأنه قابل لأن يصدق على أي واحد  
من المعاني الاثني عشره

لقد أشرنا إلى أن هناك فرقاً بين  
absolu و Absolu فالأول مطلق ، أما الثاني  
( بحرف التاج ) فهو الكائن المطلق الذي  
يتمتع بمطلقية مطلقة ، أي الله .

ونقف لحظة نصيرة مع مصطلح آخر نستخدمه الأمثلة  
absolus تكتب القائمة بالمعنى المنطوق  
« حلف استنامية لمعنى المستحدث عند الوجوديين  
وعنده ألبير كامو » - ص ٥٥ وقد راجت لفظة

العبث وغزت ميادين كالمسرح ، فهناك انجاء  
« مسرح العبث » .

تقف عند هذه الأمثلة التي مضاهها كتب  
من المصنفات الأولى بالقائمة ومن حرف  
( ٥ ) .

إن القوائم ، ما صدر بلندشرق قولاً لمرب  
عن مكتب تسيق التعريب ، قد تبين عن  
بناء المعجم ، ولكن في حدود ضيقة لايسرى  
دخلها الجهود والمطالعات المدفوعة .

في عام ١٩٧٧ صدر عن مكتب تسيق  
التعريب قائمة تحت اسم « مصطلحات  
الفلسفة في التعليم العام » أربعون صفحة كتبها  
بعض المهج وبعض النتائج .

فني يصل إلى المنهج القويم كي يحق  
البايات المنشودة ؟  
أسألني الأجيال :

فرق حائفا جميعا ما جندتم في  
سبيل إتقانه ليستشعره العرب أجمعون ،  
إن فرق رؤوسنا عالما يتموج بالأمثال  
تضطرب وتهدأ ، تتموج وتشرق ، تلطم  
وتشرق . ألفاظ التزامم لاقتناص للمعاني ،  
والمعاني تلوح إلى أن تغلبها التماهير الناصبة .

وفى الله خطاكم في هذا الصراع المستمر  
وما توغبتنا إلا بالله ، وعليه تتركز  
محمد عزير العجاوي  
عضو المجمع المراسل من المغرب

# من أسرار الزيادة في القرآن الكريم للاستاذ علي النجدي ناصف

## يقول

التحويرون فيما يقولون  
عن الحرف الزائدة: إنه

يكسب الكلام الذي يحل فيه فضل تركيد،  
ثم لا أراهم بعد ذلك يقتنعون بالبيان  
معاني التوكيد التي يفيدها هذا الحرف في  
مواقع من أساليب الكلام، مع تنوعها،  
واختلاف مراتبها، ولا أدري كيف يتوكل  
التوكيد الذي يفيد الحرف الزائد هكذا  
على حاله من العموم والإبهام، كأن ليس  
له سوى معنى واحد يؤديه ولا يحيد عنه  
في كل مقام.

لقد قالوا: إن «من» الزائدة في مثل  
قوله تعالى: «ما جاءنا من بشير»<sup>(١)</sup> تنص على  
عموم النبي صلى الله عليه وآله، لا استثناء منه، ولا  
تخصيص فيه<sup>(٢)</sup>. ولكني لم أراهم مثلاً يبينون  
معنى التوكيد الذي يفيد «من» حين تواد  
بين الحار والمبرور في نحو قوله تعالى: (فما  
رحمة من الله لنت لهم<sup>(٣)</sup>).

على أن العنصري - رحمه الله - قد  
عرض في الكشف لبيان المراد بالتوكيد  
الذي يفيد «أن» الزائدة بعد «لما» قوله  
تعالى في سورة العنكبوت: (ولما أن جاءت  
رسلاً لوطاً يسئ إليهم وضاق بهم ذرعاً<sup>(٤)</sup>)  
فقال: «وأن» صلة أكدت وجود الفعلين  
متربطاً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين  
لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء  
واحد من الزمان، وأنه قيل: لما أحسن  
بمجيئهم فاجأه المساءة من غير ريث،  
خيفة عليهم من قومه<sup>(٥)</sup>، وثبته في ذلك  
أبو عن المشلطين، وقال مثل مقالته فيه<sup>(٦)</sup>  
لكن أباحيان - كتابه في تعقب  
العنصري، وتبع آرائه بالتفنيد في أكثر  
الأحيان - لم يرمه هذا الرأي، ولا وقع منه  
موقع القبول، ثم لم يجد ما يلجأ به - في  
يذكره ابن هشام - إلا أن يقول: وهذا

(١) انظر التلخيص على البحث في محاضر الدعوة القرآنية والأدبية (جلسة الثلاثاء ١٢ من ربيع الآخر  
سنة ١٣٩٨هـ - ٢١ من مارس (آذار) سنة ١٩٧٨م)

(٢) سورة المائدة: ٦٩

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩

(٤) التلخيص: ٢: ١٧٩

(٥) المتن: ٢: ١٥

(٦) سورة العنكبوت: ٢٢

(٧) المتن: ١: ٢٠، ٢: ٢١

التي ذكرها - يعني الزمخشري والشلوبين - لا يعرفه كبار النحاة<sup>(١)</sup>، كأن القول في النحر واجتهاد الرأي فيه وقع على من يراهم كبار النحاة ، فإذا حزب عنهم حكم ، ألوحهم عليهم وجهه - لم يجز إلا لمن كان مثلهم أن يتداولهم فواتا ، أو يوضح مبهما .

ولم ندر من هؤلاء الكبراء الذين لم يشأ أبو حيان أن يذكر أسيانهم لو اسم أحد منهم ، ولا أن يبين لنا ماذا حدثهم من الرأي عن تركيز الزيادة عامة ، وزيادة (أنه) بعد بناء خاصة ، لتكسب الصورة ، وتكمل الحقيقة ؟ ، لعلنا لنحهم نيا يقولون .

هل أن الحق - فيما يجهل للناس - ينصر أمه أبدا ، ولا يعلمه أن يجتمع صفا يشد عمله ويعمل كلمته ، لهذا رأينا ابن هشام ينسب لأبي حيان في المتن فيرد قوله ويكشف ما في نقله عن الزمخشري من لبس وتخليط<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان أصحاب أبي حيان من كبار النحاة لا يعرفون ما حترف الزمخشري والشلوبين من دلالة (أنه) بعد (لما) في آية التنبؤ - على ما مررد له ولهم آيتين أخريين ريلت في كليهما (أنه) بعد (لما) ، ودلت على مثل ما قال الزمخشري وصاحبه : إنها لذل عليه .

فأما أولى الآيتين فقوله تعالى في سورة يوسف : (اذهبوا بقمصين هذا فالتصروا على

وجه أبي يأت بصيرا<sup>(٣)</sup> ، وتخصي ما الآيات إلى قوله تعالى : (فلما أن جاء البشر الفاء على وجهه فارتد بصيرا)<sup>(٤)</sup> ، فإذا أن أمزيدة في هذه الآية بعد هذا وفي مقام لا يحصل أناة ولا بطا ، لأن القرى التي يحملها رسول يوسف إلى أبيه ليست مما أليف الناس أن يستبشروا به ، ولكنها الأمر لا يعلم له نظير سابق ، ولا يرجى أن يكون له نظير لاحق ، إلا في طيف خيال أو حلم متام .

سيرته يعقوب بصيرا ، وسيرى يوسف قرة عينه - يا معلما نهي إليه ، فحزن حتى أبيضت عيناه من الحزن عليه ، وسيراه على حال لا كحال أحد من الرعية ، بل سيراه أميرا قدولى حكما ، وأوقى سلطانا ، وسيتقبله أهل الأسرة بعد تحرق وشحات ، ويستقبل من أمرها بسرا بعد صر ، وسعادة بعد شقاء .

فمن غير حامل هذه البشرية يحق له أن يتحد في رحلته الإسراع بطئا ، والقرب ببعدها ويورد لو جاء أباه طيرا لا سميا ؟ ومن ذا يكون أسرع منه جريا بل أشد منه وثيا حين يبلغ طيبه ، ويدنو من أبيه ليلقى على وجهه القميص ؟

وأما الآية الأخرى فقوله تعالى عن ليه موسى في سورة القصص : ( ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين

(١) المص ١ ٣٠ ٢١

(٢) سورة يوسف : ٩٣ ، ٩٦

يقتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ،  
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ،  
فذكره موسى فقصي عليه <sup>(١)</sup> ، ونقصي بنا  
الآيات إلى قوله تعالى : ( فأصبح في المدينة خائفاً  
يترقب ، فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه  
قال له موسى : إنك لغوي مبين ، فلما  
أن أراد أن يبطش بالذي هو عدولهما قال :  
يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً  
بالأمس <sup>(٢)</sup> ؟ ) وهذا أيضاً زيدت ، وأن ، بشذوذاً .

فأما امرئ يرى مصرع المصري ، وكيف  
قصي موسى عليه ، لا بضربة من سيفه ،  
ولا بطعن من رمحه ، ولكن بوقعة من  
يده - حقيق إذا كان يرمي بوقعة مثلاً  
أن يكون أسرع من لمح البصر إلى ملاقاته ،  
وتقاء يده إذ يلمح في وجهه أثارة من حمية ،  
أو بادرة من عزم على البطش به ، فلا يسهو  
إلا أن يشجأه بصرخته للفرجة ، ويقذف في  
وجهه بقوله للهولة ، يخلوه ويذكره :  
( يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً  
بالأمس ) ؟

لم ينفون الزمخشري إيدن على كراه  
التحريين في مقاله عن « أن » بعد « لما »  
ولا كان مقصراً عن شأومهم ، بل لقد حرف  
ملم يعرفوا أنها عراء إليهم أبو حيان .

ويريد « رأى » الزمخشري قوة إلى قوله أن  
للاحتكاك اللين « يناموا لوطاً » كانوا قد جاءوا

إبراهيم من قبله . ونلاحظ أن آية عبيهم  
إبراهيم لم تذكر لها « أن » بعد « لما » ،  
كما زيدت في آية عبيهم لوطاً ، ذلك بأن  
الحال التي كان عليها إبراهيم كانت غير  
الحال التي كان عليها لوط . فقد كان إبراهيم  
راضياً مطمئناً لم يتعد ينكر من لومه منكراً ،  
أو ينص عليه حسداً بعد ما لجأ الله منهم ،  
فرحل عنهم إلى أرض غير من أرضهم . وكان  
عليه السلام جواداً مضيافاً ، فلما رأى  
اللائكة لم يدركه إلا أنهم أنصاف ، مثله  
في ذلك قتل كل جواد مضياف ، حين  
يقدم عليه قادمون لم تكن له سابقة بقاءهم ،  
أو لقاء أحد منهم ، فتأملت لذلك أحداث  
قصته معهم بلداً وانتهاء ، كما تتكاثر قصص  
الضيافة على سبيلها وفي سبيلها للعتاد : ثمة  
وسلام ، فحفاوة وطعام ، ثم كان أن  
استجاب بهم إبراهيم حين رأى أيديهم  
لا تصل إلى طعامه ، وأن حجب منهم حين  
يشرؤ بهلام عليهم .

أما لوط فكان ضالفاً يقوم ، شديد  
السطو عليهم ، فلما رأى اللائكة حسهم  
بشراً ضربه أكرهم ، وتسلح إليه القاني  
والخنز ، خوفاً من قومه أن يفتضحوا فيهم ،  
وهم ضيعة ، ولم عليه حق الحماية والكرامة .  
ثم كان من مقاصد القصة هنا تصوير السرعة  
التي صاحبت لستياء لوط من قومه وطريق  
فراره بهم تصوير إشارة لاهياره ، فكانت

الزيادة لذلك هي الأداة المختارة لما ، لعبرت  
عنها هنا للتعبير بالبارع الذى يتميز بالدقة  
والطيف للتدخل :

بقى أن قصة لوط قد ذكرت مرة ثانية  
في سورة هود ، ومرة ثالثة في سورة الحجر ،  
وصُورت في السورتين بلا الحينية ، ولكنها  
لم تُكتب فيها بأن كما أُثبت بها في سورة  
العنكبوت مع أن موضوع القصص الثلاث  
واحد ، وهو لوط والملائكة ، فما سر هذا  
التكرار بينهما في التعبير ؟

إن الذى يضع نسخ القرآن الكريم في  
قصصه - يمكن أن يترك هذا السر ،  
فانقرآن لا يلتزم سورة واحدة القصص  
التي يعيدها فيها كانت مرات إعادتها ، ولكنه  
يعيدها في قليل أو كثير من أوجه التوزيع ،  
قارة بالذكر أو الخلف ، وأخرى بالإجمال  
أو التفصيل ، وثالثة بالتصريح أو التلميح ،  
وهكذا ، فإذا لما من ذلك جنة ، وعليها  
حلاوة . والناس بالحديد أحمل ، وإليه أميل ،  
لذلك تأخذ كل قصة مُعادة بعض ما  
تأخذ به القصة التي تقدمتها ، وإنها لتتفق  
مع ذلك على جوهر الموضوع واحداً في  
كل مقام تذكر فيه .

فصورت قصة العنكبوت ما سكنت من  
تصويره القصصان الآخران ، وهو سرمة  
الأحاسيس التي جاشت بها نفس لوط  
حين رأى الملائكة مقبلين عليه . وقد ذكرت  
قصة هود ما وصفت به لوط يومه فذلك ،

فقال : ( هذا يوم نصيب ) ، وهو  
وصف يشير إلى أحاسيسه تلك ، ولا يصرح  
بها ، ولكنه لا يترك على تسارعها إليه ،  
وأسكت قصة الحجر عن حليث الأحاسيس ،  
ووصف اليوم بما ، واجتزأت من ذلك  
بارتياب لوط في الملائكة ، إذ قال لهم :  
( إنكم قوم منكرون ) ثم راحت قصص  
بقية القصص ، منذ أبله الملائكة سبب عيبتهم  
إليه ، إلى أن قصص الله قضاءه في الحجرين  
من نومه . ذلك إلى أمور أخرى ، اختصت  
بها كل قصة من بين أخصيا ، ذهبنا إلى التوزيع  
والافتتان :

والآن ، هل لنا أن نقبس « ما » حين  
تراد بعد « إذا » على « أن » حين تراد  
بعد « ما » فيكون لها في جعلها مثل « ما لأن »  
في جعلها ؟ لا ترى أن ثمة ما يحول دون هذا  
القياس ، فاللفظان سواء في الحرفية والزيادة  
والموقع ، وكل « ما » و « إذا » ظرف  
ليه معنى الشرط :

لاحينا إذن أن نقول : إن « ما » إذ  
تراد بعد « إذا » تؤدي معنى أن إذ تراد بعد  
« ما » ، أي : فزيد أن جواب « إذا »  
وشرطها يضمن في زمنين متجاورين ، حتى  
كأنهما مقترنان في زمن واحد :

ولحين إذ نرجع بعد أن انخلص لنا هذه  
النتيجة - إلى القرآن الكريم ، نتحسس من  
آياته ما يحسن أن للمع فيه أن « ما » الزائدة  
مذكورة ومعلمة - لنسجد في سورة الشورى

آيتين متقاربتين في الذكر ، ولها مشاركة مع آيات أخرى في تعداد أوصاف المؤمنين الذين هم على درجهم يحوكون :

فأما الآية الأولى فتذكر من أوصافهم كظم الغيظ ، وخرمان النساء ، وهي قوله تعالى : ( وإذا ما غصبوا هم يَغفرون <sup>(١)</sup> ) ، وأما الآية الأخرى فتذكر مقاومة البني والانتصار من البغاة ، وهي قوله تعالى : ( والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون <sup>(٢)</sup> )

ونلاحظ أن إذا ، الشرطية مذكورة في كلتا الآيتين ، لكنها أصبحت في الآية الأولى بما الزائدة ، ولم تلحق بها في الأخرى . وإذن يمكن أن يقال إن العنصر المذكور فيها ليس عنصرا مرسلا ، لا يخصه وصف ، ولا يحده وقت ، ولكنه عضو المبادرة والقدرة ، يملك صاحبه عند الغضب ، ويُنزله على حكمه ، فيُغضب غير مثليث به ، ولا متردد فيه ، فذلك عضو الترفع والقوة . وفي الحديث الشريف : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . ورواه ابن حنبل في السنن <sup>(٣)</sup> .

والقوة للمنية هنا هي قوة العزم والإرادة ، لا قوة البنية ومثاقفة التركيب ، فهذه وحدها

مع فضلها وحاجتها الحياة إليها - لا تمنع أن تكون سرايا خادما ، أو رثيا كادبا ، يولري غور العزم ، وسقوط المنة ، وانكسار الذلة . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُشيد بقوة النفس ، ويحكم لها على قوة الشخص ، يقول : « ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . رواه الإمام مالك في الموطأ <sup>(٤)</sup> ، والديلمي في المطالع الصغير <sup>(٥)</sup> .

ذلك - والله أعلم - ما أعادته زيادة « ما ، بعد إذا » في الآية الأولى ، إذ تذكر البغى عن المسوء .

أما الآية الأخرى إذ تذكر البغي والانتصار من البغاة - فالأمر فيها مختلف والحال غير الحال ، لأنها نطقت من زيادة « ما ، بعد إذا » . فلهذا إشارة إلى أنها تدعو إلى إزاء البغي ومناهضة البغاة دعوة مطلقة ، لا تقسني لها أجلا ولا تجعل لها موقفا ، لأن أحوال كل من البغاة والمجاهدين ليست سواء ، فقد تكون المبادرة خيرا في حال ، وشررا في حال أخرى ، وإنما الأمر كله بيد أهل الحن والعقد من المجاهدين ، هم الذين يملكون أن يقتضوا الأمر بتقلده .

(١) سورة الفرقان : ٢٧ + ٢٨ + ٢٩

(٢) السجدة : ٢٢ + ٢٣

(٣) المطالع الصغير يفرج السراج المنير ٢ : ٢٠٨ .

(٤) الموطأ : ٩٠٦



حجة وريثا ، على نور من كتاب الله وصلة  
وصوله ، ومن المحلوس المصحة ، والعلم  
بأحوال الحياة القائمة .

والذي يجب أن يلتزمه على كل حال  
ألا ينفروا إلى الجهاد إلا بعد أن يُعلِّموا له  
الجنة ، ويحكوا الكيد والتدبير ، فيهوا  
ولهم على رجاء في النصر صادق ، ووعد  
من الجنة به خير من كنوب . وإلا كانت

الغاية وبالا جائحا ، وشرا مستظيرا . وهم  
بعد عصاة متمرنون ، لا يرحمهم راحم ،  
ولا يذكرهم أحد بخير :

أقول قولي هذا ، وأعوذ بالله من سوء  
الفهم وضلال الرأي ، رأيا إليه ...  
سبحانه ... من التكلف لما لا أحسن ، والمعرض  
قيا لست له بأهل .

على الشيخى ناصف  
عضو المجمع



# كتاب ابن عسكرو ابن خميس : في مشاهير مالقة للأستاذ محمد الفاسي

مع

المغرب شرقا وغربا في  
أدب التراجم ووضعوا في  
تاريخ المشاهير مؤلفات تروى بها لشرارة  
الحرية، وفي أول هذه الكتب البيرة النبوية  
وعلى غرارها تصيح للورثون . فكانت التراجم  
الشخصية أي التي تبنى بشخص واحد هي كلفة  
بالنسبة للتراجم الجماعية ، أي التي تخص  
بجماعة من الرجال ، إما أن يجمعهم رابط  
الاكتساب إلى مدينة أو إلى علم أو فن  
أو إلى المذهب ، وهي التي يطلق عليها اسم  
الطبقات . كطبقات المقرئين والمفسرين  
والشعراء والأدباء والنحاة والأطباء وطبقات  
الملكية والشمالية والحنابلة والحنفية وغيرهم .  
أما تراجم المتفنين إلى بلد بعينه فحدثت  
من البحر ولا سرج ، فلا نجد مدينة  
كبيرة أو صغيرة في الشرق أو الغرب  
إلا جمعت تراجم مشاهيرها ، ويطلق عادة  
على هذا الكتاب اسم التاريخ ، يقال : تاريخ بغداد  
وتاريخ الشام وغيرها . ومن هذه المؤلفات  
ما يختص بمدة معينة كالقرن أو القرنين

وهي كذلك كثيرة ، ومنها بالمغرب مثلا  
كتاب نشر الثاني في تراجم أهل القرن  
الحادي عشر والثاني ، القادري . ومنها  
صفوة من انتشر في رجال القرن الحادي  
عشر ، ومنها نزهة الحادي في تراجم أهل  
القرن الحادي ، وكلها مطبوعة .

وتحتوي هذه الكتب زيادة على معرفة  
أحوال المترجمين وأخبارهم على معلومات  
في غاية الأهمية من حيث تاريخ الحضارة  
وعطاط المدن والحالة الاجتماعية والاقتصادية ،  
ونجد فيها كذلك فوائد تاريخية محضة لا  
ترد في كتب التاريخ المختصة .

وقد اخترت أن أحديثكم من هذه الكتب  
عن مؤلف لريد وضع في  
القرن السابع الهجري ( الثالث عشر  
الميلادي ) من مشاهير مدينة مالقة ، وقد  
كانت أحد مراكز الإشعاع الثقافي في  
شرق الأندلس الحثوي كما كانت أحياء  
قاعدة للحلافة بين حدود الإدارة

( ٥ ) انظر التقييمات على البحث في محاضر جلسات الدورة الرابعة بالأوسني ( مجلة الهلال ١٢ من ديس  
الامر سنة ١٣٩٨ - ٢١ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٧٨ م )

وكنك لبني هود الجلابين من موك الطوائف .

وهذا الكتاب مؤلفان وذلك أن واضعه الأول توفي قبل إتمامه فأتمه ابن أخيه . ولا يعرف له عنوان خاص وإنما يطلق عليه اسم تاريخ مائة ، والنسخة الفريدة الموجودة منه بالمغرب تتدنى هكذا : « كتاب جامع فيه بعض أخبار قهواء مائة وأربابهم ، بما ابتدأ تأليفه الفقيه المصنف محمد ابن علي بن محضر بن حارون الغساني المشهور بابن عسكر ، وقد كنهه ولد أخيه محمد بن محمد بن علي بن عيسى لما حاجته منجيه . ويعد هذا التصحيح مباشرة «ورد : منهم محمد بن عثيل الحاملي .

ومعنى هذا أن هذه النسخة الفريدة التي وصلتنا هي تقديم ابن عيسى ، أما الأصل الذي وضعه أولاً ابن عسكر فلا يزال ضائعاً ، ومعنى هذا أيضاً أن ابن عسكر كان وصل في كتابه إلى المحسنين في حرف الميم ، فيكون أنجز الحروف الالية حسب الترتيب المغربي : ا - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - ط - ظ - ك - ل - ن - أول الميم ، أي نحو النصف من التراجم وحيث أن باعتبار ما بقي لنا منها وهو اثنان وستون ومائة ترجمة يكون مجموع الكتاب أكثر من ثلاثمائة ترجمة .

وقبل أن نصف الكتاب وما اشتمل عليه يحسن أن نسرف على ترجمة مؤلفيه : ابن عسكر وابن عيسى :

### ترجمة ابن عسكر :

كان هذا المؤلف من علماء مائة الأساب وأدبائها اللامعين ، واسمه الكامل ، كما كما ورد في الترجمة الحافلة التي عظمها له ابن أخيه مؤلف هذا التتبع الذي نص بعده ، هو محمد بن علي بن محضر بن حارون الغساني المشهور بابن عسكر . وقد ترجم له كثير من المؤرخين كابن الخطيب في الإحاطة والقاضي النباهي في المرقية العليا وابن الأثير في تكملة الصلاة وغيرهم : وكانت ولادته بقرية قريبة من مائة سنة ٥٨٤ هـ ودرس غائبة أعملاً عن شيوخها ، ومن جعلهم أبو الحجاج ابن الشيخ صاحب كتاب ألف بآء المعروف والمطروح قدما بالقاهرة ، كما لجأه محمد القرطبي وأبو علي الرندي وأبو الخطيب بن واجب وغيرهم وكلهم من مشاهير علماء الأندلس . وقد تصدر للتدريس وصار من كبار علماء مائة وأخذ الطلبة من الأندلس وبلاد المغرب يرحلون إليه للأخذ عنه ، وعين نائباً للقاضي مائة ثم عين مستقلاً ، لمرجعاً من الأمير أبي عبد الله بن نصر أن يعقبه من هذه المسؤولية فأبى عليه ، وكان ذلك سنة ٦٣٠ هـ : فاضطر للترشح . قال ابن عيسى : « وظهرت في أيامه الحقوق وسار من السيرة الحسنة ما لم يسرها أحد قبله . » وقد ألف كتاباً في العلوم الإسلامية وغيرها وهي كما في التتبع « حجية متداولة بين أيدي الناس » . نذكر منها ترجمة الناظر في مناقب عمار بن ياسر ، أهلاء لبني سعيد أصحاب قلعة بحصب المشاهير ، وهم ينتسبون

لهذا الصحابي الجليل، ومن تأليفه الجزء  
المختصر في السلوك عن ذهاب البصر.

وكان ابن عسكرو يترضى الشعر ويكتب  
الشعر أيضا رائعا، وقد أورد له ابن عديم  
نماذج من شعره ونثره.

لما الكتاب الذي أذاع ذكره وعول  
عليه جلّ الذين ألفوا في رجالات الأندلس  
بعدده، فهو تاريخ مائة الذي أدركه المية  
سنة ٦٣٦ هـ وهو يحمره. وقد توفي عن  
سن تهاجر الخمسين رحمه الله.

### ترجمة ابن عديم:

وإذا كنا نعلم كل هذه التفاصيل وغيرها  
عن ابن عسكرو فإن ابن عديم الذي  
يتميمه لكتابه حافظ لنا على ذكره لا  
نعرف عنه إلا القليل، وهو أنه كان يسمى  
أبا بكر محمد بن محمد بن عيسى وأنه  
ابن أخت ابن عسكرو.

ومن شيوخه الذين يروى عنهم في  
في كتابه أبو عمرو بن سالم: ونعلم كذلك  
أن ابن عديم كان يعيش في النصف الأول  
من القرن السابع، وآخر تاريخ ورد في  
تتميمه هو سنة وفاة أبي عبد الله محمد  
ابن عيسى المومنانى وهي سنة ٦٣٨ هـ. ومن  
بعد وفاة عماله. ولا شك أنه عاش بعد  
ذلك، ولكن لا نستطيع تحديد سنة، إنما  
باعتبار أن عماله توفي في السنة الحادية  
والخمسين من عمره. يمكن أن نقدر  
أن ولادة ابن عديم كانت في حدود  
سنة ٦٠٥ هـ ويكون عمره عند تأليف تكميم  
تاريخ عماله نحو الثالثة والثلاثين.

ويبقى أن نقف إلى وجود مؤرخ مغربي  
آخر يدعى ابن عيسى وهو محمد بن أحمد  
ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي  
ابن علي بن أبي بكر بن عيسى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ  
وله تاريخ الجزيرة الخضراء، وكان خطيب  
مسجدها الجامع كما له تاريخ مدينة سبتة، وقد  
تولى كذلك الخطبة بجامعها. ويحمل كذلك  
هذا الاسم شاعر مشهور من أهل تلمسان.

كما يوجد ابن عسكرو آخر من أهل  
المغرب له تأليف في التراجم أشرنا إليه  
من قبل، وهو صفوة من أشر في رجال  
القرن الحادي عشر.

### كتاب تاريخ مائة:

قد بينا أن هذا الكتاب ليس له اسم  
خاص وأنه لا يعرف إلا باسم تاريخ  
مائة أو تاريخ ابن عسكرو وعمل ابن  
عديم يسمى التكميم: ولكن ابن الخطيب  
الذي يغفل عنه كثيرا في الإحاطة بسمه  
الإكمال والإعلام بمحاسن الأعلام من أهل  
مائة الكرام. ونحن نعلم أن أبا العباس  
أصبح بن عباس الثاني المتوفى سنة ٥٩٢ هـ  
كان ألف كتابا في رجال مائة لسمه الإعلام  
بمحاسن الأعلام، فيكون الإكمال هذا  
فيلا عليه: ثم إن ابن الخطيب نفسه  
يقول في الترجمة الرواية التي خص بها  
ابن عسكرو إن هذا الكتاب يسمى كذلك مطلع  
الأنوار ونزهة الأنظار في ما احتوت عليه  
مائة من الرؤساء والأعلام الأخيار، وتتميم  
المنقب والأكابر. ومما قلر الثالثة باسم آخر  
وهو نزهة البصائر والأبصار: ومن يجب

أن هذا الكتاب الذى نسب له ابن الخطيب ثلاثة أسماء لا يعرف بواحد منها مطلقا .

والآن بعد هذه الإيضاحات فما نحوى عليه الصفحات ٢١١ الباقية من التتبع أنها اتقان وسنون ومائة ترجمة لعدد من الخلفاء والرؤساء والأدباء والشعراء والفقهاء والوزراء، ممن كانوا من أهل مالقة وعدددهم ١٠٤، ومن أهل مدن الأندلس والمغرب المستوطنين أو الزاردين على مالقة .

وهذه التراجم مرتبة على حروف المعجم على الطريقة المغربية، وقد تقدمنا أن ما بقى لدينا يتجنى في وسط حرف الميم بالطريقة ابن خيس في كتابة هذه التراجم أن يذكر أولا الاسم كاملا، ويذكر الكنية لاختلاف المخلوطة بها، كما يعنى المشاركة باللقب المقسوب لارتق الذين كثر من الدين وبلد الدين وصلح الدين ونحوها، ثم به عن بلده، أى يصرح بأنه من أهل مالقة إن كان منهم وإلا فيذكر البلد الذى جاء منه، وإذا كان مجهله يقول مثلا : ورد علينا، أو عبارة أخرى نذكر بأنه ليس من أهل مالقة .

ثم يأخذ في ذكر بعض أخباره وهو لا يطن في هذا مع الأسف، ولكن يأتي بالمهم، وإذا كان المترجم شاعرا أورد نماذج من شعره. نستغرق بضع صفحات أحيانا ويذكر في الأخير تاريخ وفاته إن كان يعرفها، وأحيانا أخرى قليلة تاريخ ولادته . ومن التراجم القليلة في هذا الكتاب ترجمة أبي عبد الله محمد بن حسن

ابن محمد بن صاحب الصلاة الأنصاري ص ١٢ من أهل مالقة .

ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز عبد الله بن عباس ص ٩٤، كاتب المنصور الموحدي، وكثير من رسائله المرسلة مشهورة في كتاب الرسائل الموحدية، من أهل مراکش .

ترجمة محمد بن عبد بن حبيب بن عيسى الكلبي ص ٧، وكلكت جماعة من فقهاء بيت بني حسن قضاة مالقة .

ترجمة خاله مؤلف الأصل محمد بن علي بن خضر بن حسكر ص ٧٧-٨٩ ولقد أورد له نماذج متعددة من شعره في شعره في عشر صفحات

ترجمة أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي الشاعر الملقب بالشهيد ص ١٠١-٧٢ وقد أورد له كثيرا من شعره في عشر صفحات كذلك ص ١٠٨-٧٢

ترجمة أبي الحسن مقدم بن ماني صاحب الفولنج ص ٥٩ إلا أنه لم يورد له شيئا منها - وهو من أهل مالقة .

ترجمة أبي بحر صفوان بن إدريس المرسى تزيل مراکش وأقام بمالقة ص ١٠١ وهو من شعراء شعراء المغرب والأندلس وقد وقع برأئنا ترجمته، إذ نقصنا صفحات كان فيها تمام ترجمة وابتداء ترجمة شخص آخر لا تعرفه اسمه .

تراجم بعض بني عباد أصحاب إسميلية  
ومن يمثلهم المتعبد بن عباد ١٤٤

ترجمة عبادة بن عبد الله .. بن ماء  
السياء، وهو كذلك من أصحاب الموشحات  
المعروفين، ولم يورد له كذلك شيئا منها ص ١٤٥

ترجمة عبد الأعلى بن موسى بن قنبر  
وهو ولد القاتح الكبير موسى بن نصير . وفي  
هذه الترجمة معلومات عن فتح القاتح  
الشاب عبد الأعلى لما لاقى التي كانت تسمى رية.

ترجمة عبد الله بن عبد الملك بن سعيد  
القاتح مع الكلام على هذا البيت الشهير بن  
سعيد أصحاب قنبر بحصب، التي صلت  
تسبب إليهم وتسمى الآن عند الإسبان  
Alcala la Real أي القلعة الملكية ص ١٤٦

ترجمة عبد الله بن علي بن زنون  
وخبره من أفراد هذا البيت الذي كان له  
غزو كبير في مائة أيام بن هود . ص ١٤٧

ترجمة أبي الحسين محمد بن أحمد  
ابن جبير الكتاني الرحالة الشهير . ص ١٤٨

ترجمة عبد الجبار بن المتعبد بن عباد  
الذي لار على المرابطين بعد أسر أبيه  
ص ١٤٩ .

ترجمة الإمام أبي زيد عبد الرحمن  
ابن عبد الله السهبي دفين مراكن، وأحد  
رجال السبعة وهو صاحب الروض الأنيب  
رحمه الله . ص ١٥٠

ترجمة الشاعر الكاتب عبد الرحمن بن  
محمد بن خلفن القرازي من أهل المغرب كاتب  
الأمراء والخلفاء المرشحين . ص ١٥١

ترجمة السيد عبد العزيز بن أمير المؤمنين أ  
يعقوب يوسف الموحدي . وألفه  
السيد في اصطلاح الموحدين، منهاها الأمير  
ص ١٥٢

ترجمة علي بن حمود بن ميمون الإفريسي  
الحمودي من أهل سبتة، وهو مؤسس  
الدولة الحمودية بمائة . ص ١٥٣ مع  
تراجم جماعة من بني حمود .

ترجمة عمر بن حفصون بن عمر بن جهمر  
القائر الإسباني على بن أمية وفي ترجمته  
معلومات عن هذه الثورة التي أفضت  
مضاجع حلقه بن أمية حتى قسى عليها  
الخليفة الناصر لدين الله

ترجمة أبو الخطاب عمر بن حسن بن  
حبة الكلبي السبي الحديث الكبير، وشيخ  
للكامل هنا بالقاهرة ، وقد بنى له مدرسة  
الحديث الكاملية . ص ١٥٤

ترجمة أبو حصص عمر الفهتاني الدائد  
الموحدي الشهير، وقد بنى مائة ثم تونس  
وهو جد الملوك الحميين بتونس . ص ١٥٥

ترجمة أبي الفضل عياض بن محمد بن  
عياض البحصي السبي وهو حفيد القاضي  
عياض . ص ١٥٦

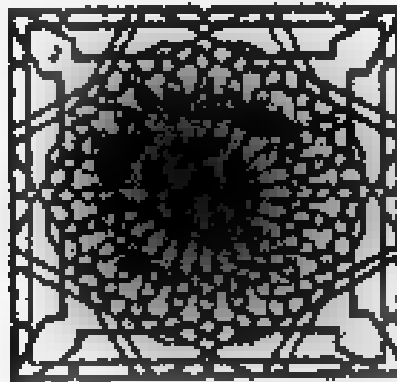
ترجمة سليمان بن عيسى بن يحيى بن  
 أحمد بن داود الحارثي، مع الكلام على هذه  
 الأمرة المأقية للجيله بن عيسى بن يحيى  
 الكتاب تراجم لأسماءهم ص ١٩٠

ترجمة أبي المصاح يوسف بن أحمد بن  
 عبد الله بن يحيى البليوي المعروف بابن  
 الشيخ، وهو مؤلف كتاب ألف بالشهير .

هذه مماذج فقط من عشرين التراجم  
 اشترى عليها هذا المؤلف القيم ، وإلا فـ

كل ترجمة من التراجم الأخرى فوائد  
 جمة ، يوسف لضياع قسمه الأول ، وعسى  
 الأيام أن نوقنا عليه ، إذ لا تزال في  
 كل سنة نكتشف ذخائر جديدة في خزائنا  
 بالمغرب ، مما كنا نعتبره مفقوداً ، وحتى إذا  
 لم تكن تعلم بوجوده . والمولى تعالى يوقنا  
 إلى العوالم والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد الخامس  
 مدير المجمع



العربية في تونس :

# بين الفصحى والعامية

للكاتب الشيخ محمد الحبيب بن الخوجه

أشار

العلامة ابن خلدون

منذ القرن الثامن

للحجرة إلى طبيعة هذه اللغة التي  
تكتب بها وتحدثها في جبالنا التونسية .  
فقال في القسم السادس والأخير من  
مقدمته في الفصل التاسع والثلاثين حين  
تكلم على لغة أهل الحضر والأمصار لهذه  
وتمييزها عن لغة مضر :

« اعلم أن حرف التخاطب في الأمصار  
وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة  
ولا بلغة أهل الجيل ، بل هي لغة أخرى  
قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن  
لغة هذا الجيل العربي الذي لمهلتنا ، وهي  
عن لغة مضر أبعد . فقلنا أنها لغة قائمة  
بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من  
التغاير الذي يعد عند صناعة أهل النحو

لغة . وهي مع ذلك تختلف باختلاف  
الأمصار في اصطلاحاتهم ، فلهذا أهل  
المشرق مبالغة بعض الشيء لغة أهل  
المغرب ، وكلنا أهل الأندلس معها .  
وكل منهم متوصل بلفظه إلى تسمية  
مقصوده والإبانة عما في نفسه وهذا  
معنى اللسان واللغة . وفلذلك الإعراب ليس  
بخاصة لهم . وأما أنها أبعد عن اللسان  
الأول من لغة هذا الجيل فلأن أبعد عن  
اللسان إنما هو بمخالطة المعجم . . . واعتبر  
ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس  
والشرق . أما إفريقية والمغرب فخالطت  
العرب فيها البرابرة من العجم بوغور  
عمراتها هم ، ولم يكن يخلو عنهم مصر  
ولا جيل . فقلبت المعجمة فيها على اللسان

(٥) انظر المصنفات على البحث في علم جملات النحويّة والادب ( جنة اللغات ، ١٢ من  
ربيع الآخر سنة ١٣٩٨ هـ = ٢١ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٧٨ م )



العربي الذي كان لهم وصارت لغة أخرى  
مترجمة . والمعجزة فيها أغلب لما ذكرناه .  
فهي عن اللسان الأول أبعد .

وهذه الفقرة التي اقتطعتها من المقدمة  
هي أقدم نص وقعنا عليه يتعرض لموضوعنا  
ويحدد معالمه فلا بدع إذا كان المرجع  
والمنطلق لأكثر من درس هذه القضية من  
المستشرقين . فهو يضع الأصول الثلاثة  
للبحث :

أولاً : قرب اللسان الأول لأهل الحضر  
والأماضر من فتحها وبعده بقليل من  
لغة حضر .

ثانياً . اختلاف العربية عربية الحواضر  
والأماضر بعد ذلك عن اللسان الأول  
واختلافها بعضها عن بعض في اصطلاحاتها .

ثالثاً : اختلاف لغة أهل إفريقيا عن  
اللسان الأول بسبب الاختلاط بالأعاجم .

وهذه الأصول أو الجوانب الثلاثة  
أو قل هذه النتائج أو الحقائق التي انتهى  
إليها وأقرها ابن خلدون في مع اختلاف  
الأسباب والطبيعة فيما بينها جد هامة قيمة  
بالبحث جديرة بالشرح والتعليل ولونتاولها

الدراسات كل واحد منها بعينه مستقلاً  
عن غيره لما كان ذلك كثيراً بجانب  
ما يمكن أن يكشف عنه من عوامل تاريخية  
وأسباب اجتماعية وسياسية . وعناصر  
اقتصادية وحضارية وظواهر عقلية ولغوية ،  
وليس مثل ذلك بوسعة في هذه المجال .  
ولكننا نكتفي بالإشارة إلى جملة من ذلك  
عند تعرضنا لتلك الأصول والجوانب  
كلها ، ونحاول قبل الحديث عن العربية  
بتوس بين القصص والطبيعة أن نحدد  
لذلك بكلمة قصيرة عقلية نتعرض بها  
إلى لغة أهل إفريقيا قبل الفتح العربي  
الإسلامي ليتبين لنا بالتحارنة الدور الجليل  
الهام الذي لعبته العربية بإفريقية خاصة  
وبالمغرب عامة ، والاختيار الكبير والمنزلة  
الرفيعة التي كانت لغة الضاد في نفوس  
البربر كافة ، حضريتهم وبدويتهم من سكان  
المدن والسواحل والقرى أو من سكان  
النجاد والجلال والبرادي .

وبالرجوع إلى المصادر المختلفة المتعددة  
مجد أن البربر الذين انتشروا في البلاد  
المستقلة من طرف النيل بواحة ميوا بمصر  
إلى المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى كانوا

يشكلون لهجات بربرية متعددة تنحدر في جمعتها من أحد الأصول النوميدي أو الليبي لغة ماسينيسا وبوغرطة . وأن هذه اللهجات وإن اتحدت جنسًا مشابهة فيما بينها بحيث لا يحصل التخاطب بواسطة منها ولا التفاهم عن طريقها بين من يسكن جبال نفوسة بطرابلس وبين من يحسر بلاد الريف بالمغرب . والبربرية وإن كتبت قليلًا في القديم كما تشهد لذلك بعض النقوش فيها لم تكن لغة حضارية . ولحروفها شكل خاص كانت تتميز به . وربما وجدنا أثره مائلًا في أبجدية التولوث «التفينق» . ومما يشهد بضيقتها ومطبيتها وعدم وفائها بما يحتاج الإنسان للتعبير عنه من مشاعر وأفكار ويكون ملك (نوميديا البربري) ياميسال إلى اللغة الفينيقية لتحرير كتابه ، واعتماد الملك البربري الآخر يوبا الثاني اللغة اليونانية في رسائله ومؤلفاته .

ومما يمكن من أمر غيان عامة المواطنين من البربر المغاربة كانوا معزولين أو في حكم المنحزلين عن الحكم والسادة اللذين ملكوا بلادهم وحكموها في الجعلية من

فينيقيين ورومان وغندال وروم بيزنطيين ولكن هذا لا ينفي البتة أن الطبقة - الأرستقراطية من الحكام ورجال الإدارة والبيعت كانوا يشكلون لغة غير لغة البربر هي الفينيقية في عهد قيام دولة قرطاجنة واللاتينية في عهد الحكم الروماني .

وقد تصالح ولهم علمي عما يمكن أن تكون قد وجدت اللغة العربية من صراع مع بقايا الفينيقية واللاتينية بإفريقية والمغرب . فمرض للاختراص القائل بأن الفينيقية بسرت انتشرت العربية في بلاد البربر لاشتراكهما في الأصل السامي . ورد هذا القول لخصته وعدم قيامه على حجة ثابتة وتحدث عن اللاتينية التي موّه بها كلغة حضارة وديس ، واعتبر أن سلطتها كان في هذه البلاد عظيمة ، فبلاد المغرب أصبحت لروما إمبراطورًا كبيرًا هو سيفير سيفير SEPTIME SEVERE ، وكتابًا فائقًا هو أبولي APULEE ، كما أخرجت للمسيحية قديسين عظميين هما تروتوليان TERTULIEN وأوجستين AUGUSTIN ؛ ولكن ذلك لم ينم عن الاعتراف بأن اللاتينية زالت وانصهرت من ربيع

إفريقية والمغرب بهجوم القسطنطين فلم تبقى إلا في النقوش وما تكشف عنه الحفريات وأنها أخذت في التقلص والفتنة من منتصف القرن الخامس للمسيح . ورغم شهادة الإدريسي في القرن الثامن عشر بوجود اللاتينية بالجنوب التونسي وأنها كانت مستعملة بصفة خاصة لأن عمالا شك فيه أن هذه اللاتينية البربرية كانت ضعيفة محزنة لا تنسب إلى لغة أوفيد OVIDE وفرجيل VIROILE وسيسارون CICERON وأوجوستان AUGUSTIN . فهي لم تعد ولم تبقى لغة حضارية تستطوع أن تثبت أو تصمد أمام لغة الفزاة العرب التي تحصل معها أدباً وفكراً وحضارة وديناً .

وما أن تم فتح إفريقية والمغرب وحمل الناس في حين الله أفواجا حتى قطع البربر كل صلة لهم بهم غرب البحر الأبيض المتوسط ، وولوا وجوههم شطر الشعوب المشرقية العربية بمكة والمهنة ، ودمشق ، وبغداد ، والقسطنطين . وقد كان هذا التحول رائعا وقويا سرعان ما شمل إفريقيا بأكملها من المغربين الأوسط والأقصى وبلاد الأندلس . وامتزج العرب بالبربر وأورثهم

لغتهم ولقنهم عقيدتهم وأشركوهم في حضارتهم وأسباب عزهم : ومن بعد إلى المصادر التاريخية يلاحظ أن التعريب إفريقية تم على مرحلتين : الأولى ابتداء من زمن الفتح في القرن الأول للهجرة ، والثانية في المائة الخامسة عند زحف بني هلال وسلم .

ولم يكن التوطن والاستقرار للعرب الفاتحين في المرحلة الأولى بغير المدن القديمة التي وجدوها بإفريقية أو بالمدن المستحقة التي بنوها لأنفسهم مثل القيروان التي قال بشارها مؤسسها عقبة ابن نافع : مدينة تكون للمسلمين قيروانا وحزا للأبد ، وهكذا فإن الجنود التي أتت من الشام ومصر إلى شمال إفريقيا في عهد الأمويين وأوائل دولة بني العباس ، والتي لم يكن عددها يقل عن مائة وخمسين ألف نفر مع من يتبعهم من نساء وأطفال وموظفين ودعاة استقرت كلها في المدن كما لاحظ ذلك ابن خلدون حين قال : لأن الملك الذي حصل لهم بمنعهم من مكاني الصحابة ويعدل بهم إلى المدن ، والأمصار . وبالطبع أصبحت هذه المدن

أهله بمن دخلها من مصريين وقيصيين  
وعربيين وبمن وفد إليها من مختلف القبائل  
اليمنية إلى جانب الفرشيين والأنصار  
وعدد من جند خراسان . وعلى مدى قرن  
وتنصف انتشر العرب في مراكز إفريقية التي  
اتسمت فشلت من الجنوب نصف طرابلس  
ومن الغرب ثلث قسنطينة . وتحولات  
المدن البيزنطية في شمال إفريقيا مثل بلجة  
ومدينة تونس وحتى قابس في الجنوب  
إلى مدن عربية . وباتت هذه وأمثالها  
خاضعة لحركة تحريك جماعي امتد إلى  
المراكز الحساسة المتصلة بها والتي تحكم  
البؤر سياسياً واقتصادياً وتوجهها اجتماعياً.  
وأصبحت العربية بها جميعاً لغة الحوار  
وأساس الحضارة وأداة التعبير عن كل  
المشاعر والأفكار . وراح البربر الذين  
اغتزلوا بالعرب إلى حد الانسراج ما بلغة  
الضاد من دواع وما في القرآن من إهتزاز.  
واتخذوا من نماذج الأدب الإسلامي والجاه  
أشبه وصوراً يحاكونها ويتأدبون بها ،  
وجرم الإنتاج الأدبي والعلمي واعتلوا  
به تراثاً فخماً . وحصلهم التفكير للعرب  
والرغبة في الانسحاب إليهم ولو دلاء إلى

تعلم العربية والتخرج على طرائقها وحنقها ،  
ثم التزامها وسيلة أداء ، والتمرام ما يرتبط  
بها من مجموع الأثراني الجمالية والاتجاهات  
الشعرية العادات وأساليب التفكير  
ساعده على تحقيق ذلك النهضة والمعلمون  
والإرساليات الموجهة إليهم من المشرق قصد  
تعليم اللغة والدين . وقامت المدارس  
والمساجد بهذا المهام في العاصمة الجديدة  
القيروان التي أسسها أول مسجد بإفريقية  
والعرب وكذلك بالمدن الإقليمية مثل  
تونس حيث ازدهر البربر والرومان  
والخراسانيون بها مع العرب . وجرى  
الحدث بينهم عربياً غريباً ، ظهر في  
عديد من المدن والأمصار الإفريقية جماعة  
من الشعراء والخطباء والعلماء والفقهاء .  
وشد ألسنة إفريقية الرحلة إلى المشرق  
للاتصال بمالك ابن أنس إمام دار الهجرة  
رضي الله عنه ، أو للأخذ عن تلميذه ابن  
القاسم بمصر ، وذهبوا إلى البصرة وبغداد  
والشام وغيرها . وسعقت العربية لسان  
الدولة والدين وأصبحت لغة الشعب الذي  
يقطن المدن والأمصار وما يتصل بها من  
الصوامع . وهي وإن انحلت أحياناً إلى

الحوار عن اللغة المكتوبة في المصنف من  
 المركبات والتسكين غالباً لأواخر الكلمة.  
 ونحن وإن استطعنا الرجوع إلى كثير من  
 النصوص والشواهد للمؤنة المكتوبة نشين  
 بها حقيقة انتشار هذا اللسان وظهوره ظهوراً  
 كاملاً على غيره في هذه الديار فيما جمعه لنا  
 المحفور له الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب  
 في كتابه "الورقات والمنتخب التونسي"،  
 والشيخ محمد التيفر من قبله في كتابه  
 عنوان الأريب فيما نشأ بإفريقية من عالم  
 وأديب، أو حدثنا إلى ما دونه العلامة  
 والفقهاء والخطباء والكتاب والشعراء من  
 آثار تطلق بحذق ألباء إفريقية أهلها  
 العهد خلقاً تاماً للسان العربي فلما لم يلف  
 على ما يشهد بمثل ذلك للحوار اليوم  
 المادي الذي كان يبرز بين السكان  
 الأصليين وحاكمي البلاد ومسيحيها من  
 العرب، بين التجار والموظفين والسوداء  
 من السكان في المدن والأصبار بإفريقية.  
 وقد ذهب غير واحد من العلماء والمؤرخين  
 إلى أن الفرق بين لغة الحوار واللغة  
 المكتوبة في ذلك الوقت لم يكن كبيراً  
 ولا بعيداً.

أما تخرج المدن والأصبار في الحلال  
 والشجاد والبرامى والمناطق البعيدة من  
 لكم المراكز فإننا نعتقد أن العربية كانت  
 معجولة جهلاً تاماً، أو على الأقل كان  
 الحوار والحديث يشير بها بين البدو وأهل  
 الريف من البربر ومن انضم إليهم من  
 غير العرب من بقايا الأمم والشعوب التي  
 كان لها بالسكان الأصليين ارتباط.  
 ومن هنا يتضح لنا أن التعريب في القرون  
 الأربعة الأولى لم يشمل أطراف البلاد  
 وكان على الأعراب الذين زحفوا على  
 إفريقية في القرن الخامس أن ينموا ذلك  
 ويضطربوا به على الوجه الذي اقتضاه  
 تفرقهم وانتشارهم في كامل أنحاء إفريقية  
 وخارجها.

قامت بها الزحف لبيضان قيسية  
 هما سليم وحلال جاك من مصر إلى المغرب  
 قصد الإطاحة بالنظام الزيري والدولة  
 الصنهاجية التي خلعت عنها طاعتها  
 رتبعتها للدولة الفاطمية بالقاهرة. وقد  
 كان ينو حلال الذين دخلوا إفريقية  
 يعملون غزواً لبلاد هي زغبة وألباج  
 ورياح. وقد انضم إلها هؤلاء وأولئك

الأعراب فلول من حدى وجشم وعزفوه عند من  
 اليمينيين يستسيون إلى عقل . دخلت هذه  
 القبائل بأكملها يتبعها النساء والشيوخ  
 والمولدان . وكان عندهم يبلغ مليون نسمة  
 فعاثوا فساداً بالقهروان . وبعد أداء مهمتهم  
 التي جاهدوا من أجلها لم يستمرو بالعراصم  
 والمدة ولكنهم انتشروا في أعراب البلاد،  
 ومنها تسربوا إلى كثير من أنحاء المغرب  
 وخلال فرون ثلاثة تم تعريب البلاد  
 التونسية كلها على أيديهم ونحن لانعرف  
 على التحقيق ولا سكاك بحرم بأن العربية  
 الحديثة التي دخلوا بها وأشاعوها قيسن  
 حولهم هي تلك العربية المكتوبة التي  
 تحدثنا عنها أم من عربية أخرى تمثل  
 في لغة هذه القبائل والناصر المختلفة في  
 لهجاتها وألسنتها ولو صنفنا الروايات  
 الشعبية التي تحكى لنا مغامرات بنى هلال  
 ورياح لوجدنا بينها وبين العربية نسباً  
 ولكنها بدون شك ليست هي العربية التي  
 عرفناها في نصوص الأدب والشعر وكتب  
 العلم والفقه .

ومن ذلك العهد لما تحسب اختلفت  
 اللغة العربية بـالفريقية بين العربية المكتوبة

المسوبة أو الفصحى وهي عربية التدرس  
 والتعليم والإنتاج الفكرى والثقافة وبين  
 العربية الخارجة العامة التي يتحدثها عموم  
 الناس ويتكلمها حتى الخاصة في غير  
 شئونهم العامة ومواقفهم الرسمية . وربما  
 سميت العربية الأكثر انتشاراً بين السوا  
 من العامة « البربري » لأن المتكلمين  
 بهذا اللسان في الأصل من البربر لم يبدعوا  
 في النطق بها واستعملوها منبغ المتكلمين  
 « بالعربي » أي باللسان العربي من  
 الفقهاء والعلماء والأدباء والقضاة والأئمة  
 والعلول والعلميين وشيوخهم وبما يؤكد  
 ذلك إطلاق عامة أهل تونس إلى عهد  
 خير بعيد وصف « الفصحى » هكذا بـ  
 اثناف على اللسان العربي الفصحى مقابله  
 له بالبربري أو العامية والدرجة قلده  
 لغوار .

ومن الملاحظ أن العربية الفصحى  
 كانت وما تزال هي بين كل الأعطاس  
 والأصناف في البلاد العربية . فهي لغة  
 القرآن ولغة الدين يتداولها الناس كواحد  
 ويبحثون قوانينها والتصرفات القولية  
 فيها مع ما يروونه أو يكتبونه من روائع

الأدب والشعر بها . أما الممارسة العلمية فهي مختلفة اختلافاً كبيراً من قطر إلى قطر ومن مصر إلى مصر . ف لغة الحوار بالمغرب تباين مبهنة واضحة لغة الحوار بالمشرق لحضوع كل مجتمع للهجة فخره بحسب اختلاط العربية فيه ببقايا اللغات أو اللهجات التي كانت مستعملة به . وفي الحوار بالمغرب وإن انصقت في الجملة لكتتها متأخرة بين أهل ليبيا وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الأقصى والأندلس وذلك بقدر خفة المعجمة على اللسان وتمايز العناصر في البيئة المشكلة بالعربية فيها . فيحسب الهجرة والمزامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يكون فاعل الأكنة، ويظهر أثر ذلك وإن اختفى في الأكثر في اللغة المكتوبة لما تتداوله الأكنة ويستعمله العامة من كلام تعبيراً عما في نفوسهم وتصويراً لخواطرهم وآرائهم

ونحن بالمغربية أو تونس بعد أن شهد التعريب الكامل أطراف الهللا في نهاية القرن الثامن أي بعد ثلاثمائة سنة من الزحف الهلالي تعرضت البلاد إلى

حملات من الموحدين، وفلقت عناصر من المهاجرين الأندلسيين آوهم . أو من الموحدين والمستوطنين كانت لهم مفرأ وكان لتلك وهؤلاء أثر واضح في لغتنا وما تجرى به طرائق الاستعمال حينها

فالمهاجرون الأندلسيون وما انتقلوا به إلى إفريقية من صاعات وعادات وتقائيد والاحتلال الأسباني وما تركه من آثار في لغة الخطاب والحوار والفتح العثماني وما صاحبه من أنظمة وأوضاع وترتيبات وأحوال . والمصر الإيطالي أو الصقلي الذي تقرب الدار كان يتردد على الشوارع والعراسم ويعمل في المزارع وصيد البحر وصناعة البناء . والحكم القروسي الذي هيمن بنفوذ وملاوسه ومؤسسته وتغذيه على البلاد ردياً من الزمن كان لهم جميعاً أثر أي أثر في اللغة الخارجة وفي الحياة المستحقة المستجدة والمتطورة ، وكانت تلك القشت والأجناس المختلفة والمتعددة مع البقية القنبلة من العصر البربري دخل كبير في تشكيل العربية العامية بتونس بصورة يخلط فيها اللسان العربي

انضمم بالوان الرطانات والاستعمالات  
الغربية التي تطلق كلها بتلك النسب  
والملامات التي كانت وما تزال للمصر  
العربي الغالب أو المستعرب من السكان  
بحيره من العناصر المعيشة له وللمشجرة به  
ومن المناسب أن نلمح هنا إلى آثار  
هذه الألسن الأعجمية في لغة الحوار  
التونسي .

أما أثر البربرية التي لم تكن كما سبقت  
الإشارة إليه لغة حضارة وحلم وأدب والتي  
كتبت غليلا وبأحرف عربية من عهد  
تومرت الذي استعملها لنشر عقيدته  
ومبادئه السياسية والإصلاحية بين عامة  
البربر في بلاد المغرب، فإن التجمعات  
السكنية المتحددة بها لا تكاد تذكر  
بالبلاد التونسية وبالمقاطعة الغربية من  
الجزائر وهران، لأن نسبة الباقيين من  
البربر بها لا تتجاوز ١ / من عامة السكان .  
وهذا الوضع يختلف بالطبع من النسبة  
المرتفعة لهم ببقية بلاد المغرب إذ تبلغ  
تجمعاتهم بطرابلس ٢٣ / من السكان  
وبقسنطينة ٢٧ / - وبالجزائر ٣٤ / -  
وبالمغرب الأقصى ٤٠ / . فلا بدع إذن  
إذا كانت الكلمات البربرية المستعملة

في العامية الطرابلسية والقسنطينية  
والجزائرية والمغربية أكثر من التي نجد  
بندرجة وهران أو تونس . ولا بدع أيضا  
إذا كانت بهجاء نفوسة وحيال أوراس  
وببلاد القبائل وبالريف من بلاد المغرب  
وبهجاء الأطلس جماهير متميزة نتحدث  
إلى اليوم اللسان البربري . وإن اختلف  
هذا اللسان اختلافًا كبيرًا من جهة إلى  
أخرى، بحيث لا يكاد أصحاب المناطق  
المتباعدة المتكلمة به التوصل إلى التفاهم  
عن طريقه وإن شربوا بكونهم يتكلمون  
لغة واحدة وينتمون إلى أصل واحد .

واللسان البربري بتونس كنا نسمعه  
من ثلاثين سنة بين اللبرية من  
المستوطنين للعاصمة وضواحيها، أو بتراطن  
به الخوئس من الجربة كما يقول في  
تونس وهم أهل جربة من الخولرج .  
ويمكننا بسهولة أن نحدد المناطق المتحددة  
بالبربرية فيما بينها وبالبندرجة مع بقية  
اللسان في جنوبي البلاد شرقي مدينة قلمصا  
بمناقرت والسند وشالي عطاطرة بزرارة ،  
ولموزت ، وبجزيرة جربة باجم وللالا



ووصلون إلى وادي ومعه بين وسفريان .  
ومازلا إلى اليوم في اللسان التونسي  
يستعمل استعمالا شائعا كلمات بربرية  
مثل :

أبريز - حد زاوية وبجاية - جراد .  
بوتريز - عند الشاوية - حصرصر  
تبروري من التبروري ويقال : تبريرو  
برد .

علوش من تملاش ، أعلوش ج  
يعلوشن - خروف ، خرمان .

قرطاس من أمرطاس من أصابه القرح -  
أقرع .

قرططو زمال بومرطلو وأمرططو -  
عراثة .

لكرون - الكثر ، أبعكر ج أكران ،  
أكر الماء ، أكر الصعري - ملصاة  
قرطجومة أكرزوم تكرومت - تكرومت .

مقدم الحق

قطوس - قنوس - أقطوس ، باطوس -  
قط .

كر كز - كز كز - كتلة من الحجارة  
المقدمة بجنوب المغرب ، وتسمى بها

قرية بالساحل التونسي ، وهي أيضا لقب  
عائل

أما الكلمات الأسبانية التي نقلها  
المهجرون الأندلسيون إلى إفريقية في عهد  
القرلة الحفصية فهي على نوعين : منها  
ما هو عام وهو كثير يذكر منه على سبيل  
المثال الألفاظ التالية :

باله Pala مجرفة - دغش .

روشكة rocha لونب .

شجرة من شربيل Servilla حذاء  
نسائي على شكل « بلة » صغير . جميل  
الصنع - ويصنع من الجلد الملون من  
القطيفة مطر .

شربل Ceraja قمل .

قجر Cayon درج .

كرملة Carreta عربة - مركبة تجرها  
رابة

كنساس Compas آلة خيط . موصلة  
ميزان موسيقى ، فكر يفود ويغير .

كياس Calleas طريق معبد . شارع .  
ومنها ألعاد اصطلاحية تستعمل عند  
العمال المحصين بمصناعة الناشية لم

يتم بعد حل الكلام الموافقة لها في اللغة رقيق تثبت به اليومات الخمس  
الأسبائية مثل .

ومنها وهو كثير الألفاظ الاصطلاحية  
شمار يسمى به شوكة الكرصور  
التي قطعت من فصلها .  
كبيوتشي عود من الكرصور اليابس  
دقيقة أصولها الإسبانية وذلك مثل

أباكار	Acabar	إنعام - إكمال المرحلة الثانية من تدف الشاشية بالكرصور
أفيتار	Afinar	إحكام - المرحلة الثالثة والأخيرة من تدف الشاشية وتكون بكرصور خاص - وكلمة أفيتار وصف يلزم حالة واحدة معرّدة وجمعا تقول شاشية أفيتار، شواشي أفيتار .
د رويلا	Bazilla	حفنة خشبية صغيرة تجعل قاعدة تقطع الكرصور الخاص التي تشد إليها في تماسك الواحدة فوق الأخرى في شكل أسطواني .
باطان	Batan	معمل التليد ، تغسل به الشواشي بالماء الدافئ - والصابون وتوضع في قوالب خشبية
بانكو	Banco	مكان لصانع الشاشية يجلس به ويصنع أمامه الآلات التي يستعملها في عمله .
بنتور	Baldor	حصا كحصا الشرطي وأطول منها قليلا تصرب بها الشاشية لتنظيفها .
بترون	Patron	قطعة من الجلد المسبك على شكل الشاشية توصل هذه عروقها عند الصبح وتطبخها الشكل المطلوب
بغير	pared	جائط الشاشية - ارتماعها .

<p>قطعة من جلد المأخر ملبوغة تحفظ بها الشاشية بعد صنعها وقاية لها</p> <p>السلك الحديدى الذى تثبت به الأجزاء التى يتألف منها البصاطوروش ، وهى الشاوش والهزويلة والشصنة أو حود الثناب .</p> <p>مكبسة خشبية بها ألواح كثيرة يسمى الواحد منها تبليقة ومغزلان . وتشد بأوليين بأعلاهما ثقب يدلل بقروطى .</p> <p>مشط ، آلة تليس شعرة الصوف بعد مدف الشاشية بواسطة الضبيشة .</p> <p>مجموعة الشوائب التى يحتوى عليها الباطان .</p> <p>مجموع ما يفصل من أشعار الصوف أو ما يقص منها عند صنع الشاشية وشنيار البوردى ، وهو ما يحصل بالنقص من حرف الشاشية بعد صيغها وحتمها .</p> <p>حرف الشاشية .</p> <p>المرحلة الأولى من مراحل تدف الشاشية</p> <p>ولى القطع الخمس من الكرميون الذى يتألف من البصاطوروش وأكرمها حبياً . والواحدة من القطع تسمى بوحدة .</p> <p>ملقاط .</p> <p>واحد الأكرام الموجودة داخل البرهشة</p>	<p>Pergamino</p> <p>Bronca</p> <p>Prensa</p> <p>—</p> <p>Blaba</p> <p>Borra</p> <p>Borda</p> <p>Botar</p> <p>Psé</p> <p>Pinzos</p> <p>Tablla</p>	<p>برغمينو</p> <p>بروكة</p> <p>برهشة</p> <p>بصاطوروش</p> <p>بلادا</p> <p>بووة</p> <p>بوردى</p> <p>بوطار</p> <p>بى</p> <p>بينسج</p> <p>تبليقة</p>
--	--	--

القطعة الرابعة من الكروضون .	Trémédou	تريميدو
مقوس خاص يقطع به الكروضون والشسبار .	Téperilla	تكيليش
ثقب بأعلى اللولب الذي يشد الميسنة	Tubro	تواركو
القطعة الثانية من المقطع الحس من الكروضون وتسمى أيضاً الثانية .	Dosmeda	دوسيدو
مرشحة زيت يلعب بها حبلتنا المقص .	Hilopo	شوبو
المكان الخاص بالصانع الواحد ويكون أمامه	Ascientfo	شيشو
مايقين للصانع عمله في وقت محدود . وهي في هذه		
الصناعة مجموعة ١٢ شاشية .	Tarca	طريجة
ورق مقوى يوضع على يلير الشاشية لوقايتها من الخرم .	Fonda	فوندا
مصنط .	Garroto	قورطو
خصلة شعر - وها خصلة من حرير تثبت بوسط أهل	Copeto	كبيطة
الشاشية ، ويشدها كبيتلن وهو فتيلة صغيرة من حبل		
صوف ملبد .		
العلم والقطعة الخامسة وهي العليا من الكروضون - كبيسة		كبيسة
بالكو Cabeza-Busco رئيس الصانع		
قطعة من حلد بها مسامير معدنية يتغنى بها الكروضون	Cardia	كرديجة
من البورة .		
تبت بأعلى سوقه شوك تتخذ منه سادات لإثارة شعرات	Cardo	كرضون
صوف الشاشية بعد تلييدها . والكلمة عامة مستعملة		
في اللغات الرومانية كلها .		
حرف نصف الشاشية .	Cruzar	كروصان

الكاشية بعد تسيدها باليدان وتقبل صنعها الكلمة وصف يلزم حالة واحدة لإفراداً وجمعاً مجموعة الشواشي عددها ٧٤	Crudo	كروصو
الجرة الواقع بين البير وحرف الشاشية	Carril	كريل
قطعة من جلد صائى صقيل توضع في الشاشية بعد إكمال صنعها لتكون ملصاة ماعمة .	Cuatro	كوانرو
مقعد الشاشية	Caartel	كوارتيش
قطعة من الجلد يصنعها العامل على وكتبه بمساعدة من صنع الشاشية بعد صيغها .	Cornilla	كورنبلة
داخل الشاشية .	Cojel	كوكان
آلة تشبه المبرد ينصب بها الكرصون .	al envés	لميديش
مطرقة خشبية تليده بها الشاشية .	Laminilla	لمينة
القطعة الثالثة وهي الوسطى في الكرصون	Mazo	ماسو
الجانب الخارجى للشاشية .	Mécho	ميلو
	Haz	ماس

روشن Ruca المكان البارز القسم

رغبراك : داعم يصنع من المعدن

صارحية : رأس مال .

طارمة Tâcm قبة ، سقف ، يستعمل

في تولوس للدلالة على نوع من الحرائر

أو التخرج المثبتة بالجدار

ككار : حاشية النسيج .

أما الاستعمالات التركية وحتى الفارسية

التي تجعلها مشتركة بين البلاد العربية

التي خضعت قديماً لسلالة الخلافة العثمانية ،

مما يكلف منها بقولس على مجموعة من

الألفاظ قد يكون رسمها والنطق بالكثير

من بينها مختلفين بعض الشيء عنها

في مصر والشام ونحوهما ومن أمثلة ذلك .

ومن التركية الألفاظ التالية :

أخا Ağa الأسرة. لقب عائلي بهوس.  
آلاى Alay قوة عسكرية والقائم عليها  
ميرالاي Miralay من مير الفارسية من  
العربية أمير .

نطًا : أو شقة Uşa المأوى من الصنّاع  
وأهل الحرف . نستعمل الكلمة بكثرة  
بمدينة عنقوس .

أونباشى Unbashi كلمة مركبة من  
باش بمعنى رأس وأون بمعنى عشرة رأس  
العشرة .

بازين - بازية : نوع من الطعام  
يصنع من اللبني والزبدة والسكر .

باش Bas رأس - وثمن - آمر .

باشا لقب تركى ملكى ، عسكري عظيم  
كانت الكلمة معروفة عن باشه Basha الأخ  
الكبير .

بالك : بلكية - أخذت من الفارسية  
وتتكون من بل العربية وكبه التركية التي  
تعتبر أداة احتفال ومساها لى الاستعمال  
للبادى ليله .

براسيا : براسية : كرات .

برقندان : فى التركية باللام تكلم  
بالحروف القديمة يورثقال - فاكهة من  
الحوامض كانت تصدود من البرتقال  
فسميت به .

بريك ، بوراك ، نوع من المعجن  
محمشو باللحم والبصل أو بصيرها يقدم  
فى أول الطعام .

بشرف : Pesherv معروفة عن الفارسية  
وهى اصطلاح موسيقى يطلق عليها ما يعرف  
بالـ والتقسيم ، وتعمل الفصل الأصلي  
والسابع ، الأخير

بيشقى : بيتقى - حطبة يستعملها  
الحذاء لقطع الجلد وحطبة يقص بها  
نوع من العشبش . و نوع كان يزرع  
بتونس يعرف بالسكرورى والكيف .

بشملو : معروفة عن برشيان وبرشم  
وهى كلمة من أصل تركى فلابى برام  
بها الطرز الحريرى الذى يكون بالجملة  
أو البرنس .

بيكباشى . بكباشى وبشباشى dinbazi  
كلمة مركبة عن بياك أو بين بمعنى ألف  
وباشى وباشى ، رأس الألف أو تسعة  
الألف .

بلوران . بهران - شجاع مصارع قوى  
البسمة .

بهر : نوع من الثوبان .

بوسطاجى : بوسطة + جى - موزع  
البريد .

بوغاز Bogda الموضع الصيق من كل  
شيء ، يطلق على المسر الصيخ بحرا المضييق .

بى : باى - بك : Bey لقب تركى  
يطلق على الوالى - الحاكم للبلاد : وللرأة  
يقال بيكة . وفى الأصل بايا ، وهما بدل  
الهندي وخاتم .

تورزى : تورزى - من الفارسية درزة  
خياطة . الخياط لقب عائلى بتونس .  
تورمان : Turman محرقه من العربية  
دار الصناعة .

جهاز : جهاز - جهاز Genbar  
اللاعب بحياته المجازف بروحه : نوع من  
الرياضة البدنية .

خازونى : kazik الوند . كلمة تستعمل  
لى الدماء على الإنسان بالشر .

خردة : Hurda من كل شيء أصغر ،  
ما صغر من السلع ، مقصورة فى الكونسية  
على الأشياء المستعملة القديمة .

خزندار : خازندار Hammedar أمين  
المستنوق . لقب عائلى بتونس .

خشاف : خوشاف - شراب الزبيب  
الجاف - وبتونس شراب السفرجل .

خوجة : Hoca خواجه - المعلم -  
المدرس - الأستاذ من رجال الدين القاري  
للقرآن - لقب عائلى .

ذخرى : الذهب وآما - صدق .

رقيقة : Rique شبكة نوع من السبك Heras  
سربية : سراى : القصر المكنى القصر .

ريشة : Halka الزجاج ، القارورة .  
والقارورة الخاصة بتدخين التبناك .

سادة : سادة - بسيط - غير مركب  
غير مزوق - بلا سكر عند الحديث عن  
القهوة .

طالم : مجموع آلات وأدوات .

طاوة : طاوة - مقلاة

طرشى : Tarbi الحسونة ، يطلق على  
المخللات .

عنبر : من العربية نبر - أنبار ،  
مكان تحفظ فيه المواد العطائية : يمت  
التاجر Amber .

فيسال : في التركية منقولة من الفارسية يشكان الكأس المخصص للقهوة أو الشاي .	قيش : قايش : جلد يسن به الحلاق موساه .
غازان : gazan غمر كبيرة واسعة من السحاس يطبخ فيها للقادير الكثيرة من الطعام .	كاهل : kahl من الفارسية Kahl ورق .
غازين : gazin نفس كلمة غازوق ولكنها تستعمل بهذه الصورة للمعنى المجازي النسبة القليلة ، الحيلة ، الخدعة .	كراكوز : kraz : قرة كوز - وأصلها فارسي krazan العين السوداء - الشخص الأول في لعبة الشطرنج .
غريف : maks - الإدلة التي تدور فيض المكس .	أما اللغة الإيطالية فإن أكثر ما دخل سها في الاستعمال في اللسان التونسي ألفاظ الحرف والصناعات التي كان يشارك الإيطاليون وأهل صقلية فيها ، أو الكلمات التيومة ، المتصلة بالتقاليد وأنسواع الطعام وليبيان ذلك عرض المجموعة التالية :
فقطان : fectan فهرارطي : fharati ما يتناول الصباح مع القهوة .	

بالإلانسى	Balance	بانجرة صيد .
بالانكو	Balanco	حاملة الأثقال ... رافعة .
قالب الطور	Palto	مطبخ .
برودو	Brodo	سواء .
بيشي ليموني	Pesciolimone	نوع من السمك أصفر اللون
جرمان	Germano	جرمان - كلمة من أصل جرمانى تعني بط .
جرمانلة	Germana	اليوم - ما يطلع من أجرة اليوم عن العمل .



الأثواب أو الأغطية القليلة .	Robavocchia	روباليكا
طرق بالإبر وشبك مطرّم .	Sticapo	نكاسو
جزمة .	Stivall	ستيفالي
سلم - تنظر إلى الأصل التركي ، أسككة ، يستعمل للدلالة على خشبة توضع جسراً للنزول من البانخرة إلى البر .	Scala	سقالا
نوع من السمك الأزرق يسمى بالفرنسية ماكرو	Sgambri	سكمبري
مرق بعد من عصير الطماطم .	Salsa	مبالصة
ملقحة مرتفعة - منضدة .	Tavola	طاولة
شهرة - فروع صيت .	Fama	فاما
زهو مبيه التميز بأنواع من الثراء الفكري أو المادي	Fantasia	فانتازيا
واجهة .	Facciata	فطشاطا
ورق .	Carta	كارطا
مضدة صغيرة توضع بجانب السرير بغرفة النوم	Comodino	كومودينو
آلة إضاءة تستعمل في الصيد البحري .	Lampara	لُتبارا
مصباح - سراج .	Lampada	لُتبا
أكلة إيطالية معروفة .	Macheroni	مُقرودة

أما اللغة الفرنسية فقد كان امتصاصها أكثر، وليس تأثيرها محصوراً في ميدان واحد من الميادين، كغيرها من اللغات الأصلية أو النخيلة . وسوف نحاول

الحديث عن ذلك مفصلاً . ولكننا مع هذا نشير إلى أن اللين لم يدرسوا الفرنسية ولم يقرأوها نجرى على ألسنتهم كلمات كثيرة انتقلت إليهم بحكم الممارسة

اليومية أو العمل في بعض المصانع أو القطاعات  
ويمكن أن تمثل لذلك بالاختصاص الواردة في  
القائمة التالية وهي مفردات اخترناها من  
الكلمات المتصلة في قطاع السيارة عند  
عامة الناس، بشقهم وعلمهم الطرف  
بالفرنسية منهم والجاهل بها .

آربر	Arbre	جذع .
أكس	Axe	محور .
آكسيلراتار	Accelérateur	دواسة البنزين - محرك - مضرب .
أمبرياج	Embrayage	ناقل الحركة .
أمورتيسار	Amortisseur	رادع .
أنشان	Antenne	مناوية .
باتري	Batterie	البطارية - المصحن الكهربائي .
بانس	Flanc	مقبض .
بريكة	Brigue	مفصّل .
بلوك	Bloc	الجهز بأكماله .
بوانا فيناس	Boite à Vitesse	مشتوق السرعة .
بوبين	Bobine	ملف كهربائي .
بوسيارو	Pompe A eau	مضخة الماء .
بيستون	Piston	مكبس .
تانبور	Tambour	طبل .
تركتور	Tracteur	جرار .
لروفيزور	Rétroviseur	مرآة يرى فيها الناظر خلفه .
تولا	Tôle	صفحة حديد .

آلة تجميع الكهرباء .	Débo	ديبكو
مطلق .	Démarreur	ديمارار
الدينم .	Dynamo	دينامو
المبرد المشعاع .	Radiateur	رديتار
خزان البنزين .	Réservoir d'essence	ريزرفوار
مطلق ذلق أو ثقلي .	Starter	سترنار
وعاء الرماد .	Cendrier	سندريا
تطبيق .	Suspension	سبسانسيون
قطعة الدائرة .	Segment	سيفما
هيكل السيارة .	Chassis	شاسي
قميص .	Chemise	شاميز
الإطار الدخلى لعجلة السيارة - الأنبوية .	Chambre à Air	شمبرلو
الوهاج .	Phare	فار
مروحة .	Ventilateur	فانجيلاتار
كلمع	Frein	فران
مقود .	Volant	فون
تخلية - لفريق .	Vidange	فيدانج
لولب مصفح .	Vis Platine	فيس بلاتيني
مصفاة .	Filtre	فيلتر
آلة الإضاءة الخافتة .	Vallonné	فيلانو
الوان من الموصل	Garde-Boue	فركيو

كبوط	Capote	غطاء .
كربيراتار	Carburateur	المبخر .
كوروا	Coverole	سير - ج - مبيور .
كريلك	Crie	مرفع
كلينياتار	Clignateur	الإشارة الضوئية .
كتاو	Compteur	عداد .
كوبراسار	Compresseur	ضاغط .
كوتشو	Caoutchouc	مطاط .
كولاس	Colasse	ملاقي - قنسوة المحرك .
مال لويار	Maille-Arrière	منعوق المؤخرة لنقل الأمتعة .

ولأنكم صعبة دراسة العامة التونسية في هذا الخليط من الكلم والاستعمالات المختلفة الأصل والجنس، بقدر ما تظهر كبحرة في تحديد طريقة النطق عند أهل تونس وأهل المقرب عامة . وأول من جالسته بهذا هذه الصعوبة المستشرقون . فقد كان الفرنسيون اللذين يرغبون في الاستفراغ بشمال إفريقيا أو زيارته أيام الاستلال الأجنبي، ويوجدون الاحتكاك بأهله والعامل معهم بعد حفظهم لمجموعة من

الكلمات تزيد أحياناً على خمسمائة لفظة يتعذر عليهم في أحيان كثيرة التفهم والإقحام، بسبب صعوبة النطق أو تشابه أوتشاكله لما يكون بين الألفاظ من اشتراك مرة وتجانس أخرى . ولما يسبب من المعاني بسبب الخطأ في الترتيب والتصحيح لبعض الحروف . وقد مثل بعضهم لهذه الصعوبة بالكلمات التالية :

أمان - من الأمن ، وأمان بتشجيع الميم = كيف يمكن ؟

أمين - عبيد ، وآمين ما يقال عند  
الاستعاذ .

بابا - مفتحاً أبي ، مرقماً بابه .

باش - سرو ، باش : كساء  
سميك تغطي به مختلف الأمتعة .

بيرد - أحسن بالبرودة ، وبيرد من برد  
أى استعمل المبرد .

بلاً - أمر بوضع الشيء في الماء ،  
وبالك : قسم .

تاب - من الثوب ، وخاب - نضج .

حرام - يتتلىق الرء نطعة من السج  
توضع على الرأس وتسلك من الطرفين  
وحرام - ممنوع شرعاً .

قوا - قواء ، ضوا - ضياء

راجل - رجل واحد ، وراجل - معنى بها  
جنس الرجل .

رهي - إلهي ، ورهي . حبر اليهود .

ريث - أصرع ويثرب - مرض بالثرب  
- الثرب : المرض .

سوم - صبر ، وسوم أمر بالصوم .

يرز - امته ، وقرج - العظمية ،

فرش - بسط الثوب ، وفرش -  
سريع .

مكراً - أجرة ، كره - لم يرض .

ككلاً - أكل ، وكلا - قلى .

ليابا - هو وسط الخير الخير الناضج  
ليابا - لأبي . الأولى بترقيش الياء والثانية  
بتفليسها .

للاً - ما يقال عند هذه السيلة ،  
ولله ما ينسب لله .

مركة - للواحدة ، ومركة ضد العذب .

مسا - جمع امرأة ، ومسا : جنس .  
مسا : نهي .

وقى - بمعنى ألو ، وواقه - قسم .

ومن ثم أقبل المستشرقون ومن تبعهم  
من أبناء تونس وسائر بلاد المغرب من  
أصحاب الدراسات الأتنية على تحديد  
الكلم وضبط طرق النطق بها بحسب  
الأقاليم والجهات والمدن والقرى . وهم بعد  
القرارهم بما بين اللغة العامية بالشرق  
واللغة العامية بالمغرب من الاختلاف والتباين  
الذي يبرز بصورة واضحة في فئة الحركات  
أو اختصارها ، كما في عرج وسمعت وكتب  
وتفضل . فهي عند أهل المشرق مسكنة

الأواخر في الاستعمال ، حركة بحركاتها الطبيعية في بنية الأحرف كما في الأصل الصحيح . وهي لدى النظرية مسكنة الأوائل بنوهم حركة سابقة في الأكثر كسرة ، وتشريك الحرف الأول بعد السكون الظاهري عليه في الحركة مع الحرف التالي له فنقول : **مُتَخَرِّجٌ** و**اسْتَمَعْتُ** و**اَنْكَبِ** و**اَنْتَقِلْ** . وكذلك بعد إيرادهم الكلمات المشتركة بين أهل المغرب ، والمشملة خاصة بشرقيه ، والمتداولة فحسب بالبلاد التونسية تعمقوا دراسة اللغة واللهجات داخل القطر التونسي مفرّكين بين ما يستعمل من ذلك بالعاصمة أو بلادي والقوى المختصة بها ، وبين ما هو من خصائص الاستعمال والتعبير عند اليوس الرحل .

ويقصد إنارة الباحث وتمكينه من تصور ذلك ، أحيانا أن نعرض عليه نماذج وأمثلة لكل هذه الاستعمالات .

فمن الكلام المشتركة في الاستعمال بين عامة سكان المغرب كلمات متنوعة مختلفة الأصول مثل :

الزهر - الجاح

أَكْمَل - أسود  
لَزَعَر - أنشقر  
بَرَح - رطع صوته  
بَرَاد - إناء يطبخ فيه الشاي  
بَلَدَج - نوع من الطير  
بِشَر - فرع من الثين  
بَكُوش - أهكم  
بَزُولَه - ثدي  
تَرَأَس - أحزب - راجل  
تَبَرُورِي - برد  
تَبْرَقَاس - ثبت مثل البطاطس  
تَغَشَّش - غضب  
جُرَّة - ألبس الأقدام .  
جُرْكَان - خفدع  
جُنْمَة - جرعة  
حَلَّ - قنع

حَرْقُوس - مادة نبتية تحرق حتى تصبح

سائلا أسود . تزين بها المرأة بوضع نقط منها في وجهها أو عنقها أو على حاجبها .

مُحَمَّد	-	لَكَد	صُحْبَة	-	صُومَة
حَطَب	-	مَقْص	صَبَاط	-	حَلَا
خَلِيم	-	اِشْتَقَل	طَاب	-	نَضِج
رَوَى	-	نَصْرَانِي	طَلَب	-	أَمْضِج - طَرِج
زُرِبَ	-	أَسْرَعَ	خَلُوش	-	عُرُوف
زُرَا	-	الْمَحْصُور ، رَقَا	عَرَّشَ	-	فَحَذَ الْقَبِيلَة
رَابِلَة	-	دَابَّة	خَنُورَس	-	ذَكَرَ الْمَاهِر
رَوْدَة	-	مَائِيَة	لُثُوس	-	مَان
دَشْرَة	-	فَرِيَة	فَرَطَانَس	-	أَفْرَع
سَلَك	-	خَطَص	فَكْرُون	-	مَلْحَفَاة
سَبَقَ	-	أَرَانِي الْمَاءَ بِكَفَرَة فَصَدَّ	فَد	-	بَكِي
	-	التَّخْطِيف	فَرَجُومَة	-	أَوَّلَ الْعَمَلِ
سَابَا	-	سَدَّ	فَرِج	-	فَضَم
سَرَقُولَة	-	دِيلَك	فُطَابِيَة	-	ظَهْبِيرَة الشَّعَر
صَلُّوم	-	سَلَم	كَحَجَّ	-	سَحَل
مَسْحُون	-	حَار	كَاف	-	رَبْوَة
شَكَاكِرَة	-	كَيس	خَرَم	-	تَبَس
شَاكُودُ	-	فَأَسَ صَغِيرَة	كَزَمُوس	-	قَبِيَة
شَارِب	-	شَفَة	مَلَف	-	نَوَعَ مِنَ التَّمْشِجِ لَهُ ظَهَرٌ
شَلْغُوم	-	شَلُوب	وَيَعْنِي أَمْلَسَ	-	
صَبَّ الْمَطَرُ - بَزَل	-		بِشْمَاش	-	مَشْمَش
صَوَّرَ	-	حَصَل	هَلَر	-	تَكَلَّمَ ، صَوَّتَ الْجَمَل

مَجَافَة - أَرْمَلَة

بَرْقَة - مَكْبَر

وَلَّى - صَارَ

بِرْشَى - ... ولد للمعز

وَجَّهَ - طَلَّقَهُ قَارَ

بَرْكُوس - الوليد من الضأن دون

الكيش وفوق الخروف

ومن الكلمات المدخولة بشرى المغرب

والمشتركة في الاستعمال بين سكان

البلاد التونسية وطرابلس وقسنطينة .

بَرَّأ - أَذْهَبَ

بَحْجُوس - قَبِلَ

بُوشَى - قَارَخَ

بَم - نُبِّلَ في بعض الجهات

اللاء فاء فيقال : لم =

موجود

بَصُرَ - دَاعَى

بَرْقَمَكَان - يَرْقُلُ

مَاتَمَلَشَ - غير موجود

بُتْبَة - طَرِيق

حَفَّافٌ - للحمل الذي تركبه المرأة

وتستعمل في بعض

المجتمعات بحمل العروس

حالا ، عندما

خَنِبَ - سَرَقَ

خاصة

نَحَجَمَ - حَقَقَ - زَيَّنَ - حَسَّنَ

وَأَحَ - قَعَبَ

قُولَاش - تَجَوَّلَ

سَلَبِيَة - بَسْتَان

رُنَاحَ - اسْتَرَاخَ

سُوعَالِيَة - جَزَر

زَادَه - مَعَ ذَلِكَ

تَطْلُوس - قَطَط

سُكُوش - مَحْطَظَة

لِيْنٌ - حَتَّى

سُورِيَة - قَبِيص

نَعْرَ - غَضَبَ

شَعَّ - رَافَقَ

صَوْرَة - الْبَرِيَة

ومن الاستعمالات الخاصة بالبلاد

التونسية :



جديد = أسد

صبيوط = إبط

عزبوتنة = جيب كبيرة بأهل البرنس

خفير = طفل

فرخ = صغير، للحيوان وغيره

قديم = قديم

كندون = كساء من صوف بلبس

خاصة بالساحل التونسي

كرخبة = كراهب = سيارة سيارات

كرومة = قضا العنق

كنطلة = حمامة

مرشانة = حبل المتلفر وتطلق مجازا

على المال القليل

منفالة = ساعة

نوخ = قم

هششير = مزرعة

وزدة = نسيج من صوف يرتديه

الأعراب

وفا = انتهى

أما التفريق بين لغة سكان العاصمة  
ولغة القرى ولسان أهل البادية فلا يحتاج

إلى نظرة خاصة مزدوجة نرجع من ملاحظة إلى  
الكلم ومن أخرى إلى طريقة النطق بها .

فمن الكلمات المستعملة بعاصمة تونس :

آش = ماذا أي شيء . بلش بأي

شيء ، سوف ، علاش - لأي شيء ، كيفاش -

كيف ، لم لاش - لأي شيء . لو اش -

لماذا - مداش - من أجل ماذا

أولادك = قبيلة

إيجا + أكيل

بجيك ولا تفديك - أجاهد أمت أم تزل +

برشة = كبير

بالك = ربما

برشة = كفاية

بيشيف = قصيرا

بكرى = أول الوقت وقبل .

يللى = مهما

توا = الآن

حب = أراد

حوت = سمك

خزر = نظر بحدثة - حنق

خخل = دخل

راويزال = رلو

تاریخہ - بیانات

١٠٠

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ بِإِذْنِهِ ۚ فَهُمْ يَنْشُرُونَ الْفِتْنَةَ ۚ

شعبه - شماره

ثَانِيَةً - قُلُوبُ - غَطَاءُ الرَّأْسِ

— *—* —

مجلس = مجلس

Wt. 55

کیف = مثل ، حد

## نیلرچ - آیس

جُملہ = قول

هوٽل - ۱۰۰

پڑی = پجڑی - پکڑی

بـاسـم  
كثير، وتستعمل هذه  
الجزائر.

وقد يحصل الالطاف بكثير من الكلام  
لحق مساو اختلاف الكلام بها وجلا كان  
أم يقرأه ؟ في كل كلمة يثنى يثنى يردو

والتَيْنِ ، وَزَيْبٌ ، وَعَيْنٌ ، تُبَدِّلُ الْحَرَكَةَ  
السَّابِقَةَ لِحَرْفِ الْعِلَّةِ السَّاكِنِ قَبْلِهَا  
حَرَكَةَ نَجَاسِ الْوَلَوِ أَوْ الْيَاءِ الَّتِي تَصِيرُ  
مَدًّا لَكُلِّ الْحَرَكَةِ ، فَهَقُولُ الرَّجُلُ هَيْسَ  
بَيْنَ ، زُوجٌ ، اثْنَيْنِ ، زَيْبٌ عَوِيْنٌ .  
وَتَنْطَلِقُ الْمَرْأَةُ اثْنَوْسَبَةً وَكَذَلِكَ أَهْلُ  
عَدِينَةٍ صَفَافِسَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْوَجْهِ  
الْقَصِيحِ الصَّحِيحِ .

ولست في هذه المناهضة العارضة والزمن  
القصير بمقادير، بل أن نضع قانوننا يصبغ  
أشغال النطق والتصريف للكلم في العملية  
التوسعية، ولكننا نكتفي فقط في هذا العرض  
بالإشارة إلى مجموعة ملاحظات تُعين  
على تصور الأوجه المستعملة والطرائق  
للحمدة في النطق بمختلف جهات البلاد  
التونسية .

فسيكون للنمل والحيوانات والقوى يهدلون  
الجميع زائلاً في مثل : جوز : زوز : ثمرة ،  
وروز أيضا بمعنى يحمل والنان ، وفي جاز  
يقال ، زاز بمعنى دخل ، وفي جسن يقال :  
زسرس -

ويجهدون الألف من أداة التعريف  
 أو الجنس، وربما حذفوا الألف واللام  
 كليهما، يقولون: غُلِّمَرس على القرس -  
 مشططح . على السطح وثباب من  
 الباب ويُدلر . من الدلر .

وبهم بالنسبة للصائغ المتصلة كثناء  
 الخطاب الساكنة آخر الفعل الماضي  
 حالة واحدة للمذكر والمؤنث، تقول :  
 نزلتُ . أنتَ وأنتِ، وتستعمل التاء  
 ولواو الجماعة للمخاطبين ذكورا وإناثا  
 بصورة واحدة، تقولون : نزلتو : أنتم  
 وأنتنَّ .

وكذا الحال بالنسبة لواو الجمع مفردة  
 في مثل : نزلوا ، حالة واحدة : هم وهنَّ .  
 وتتحد الصيغة أيضا في الأمر للمفرد  
 مذكرا ومؤنثا، يقال انزل ، له ولها . أما  
 مع الصائغ المنصبة فإن ضمير المخاطب  
 المفرد حالة واحدة للمذكر والمؤنث :  
 إنسُو . وهناك حالتان مع ضمير المخاطب  
 المتصل إذا كان جمعا، ذكرا أو أنثى  
 يقال : أنتم وأنحنوا

أما ضمير اللغاب المفرد فهو يختلف  
 بين المذكر والمؤنث، يقال للأول . هو

والثاني هي وفي حالة الإضافة تقلب اليها  
 واوا في المذكر، فتقول : متاعو يبدل متاعه  
 وتبقى على حالها بالنسبة للمؤنث فتقول  
 متاعها، كما في النصيح . والضمير الجمع  
 صيغتان يستوي فيهما أيضا المذكر والمؤنث  
 وهما : هم وهوما .

أما كتاب الخطاب فإنها تكون بصيغة  
 واحدة للمذكر والمؤنث ، حالة الأفراد  
 متاعك ، وحالة الجمع متاعكم .

وفي أم الإشارة تفترون هاء التثنية  
 بلام ال ، أو بالألف ذلك ، يبدون ذكر الدال  
 فيقولون . هالكتاب ، في هذا الكتاب .  
 وهالكوليد . ويختلف هنا الاستعمال بالطبع  
 صما هو شائع بسائر بلاد المغرب عن مثل  
 قولهم هنا الولد - هاذك الولد - هاذيك  
 البنت - هادوك الأولاد - ذاك الولد  
 ذوك الأولاد - وذيك البنت .

أما شأنهم مع الفعل فإن لهم تصرفات  
 خاصة به في الماضي والمضارع والأمر

فهم يهملون صيغة انعمل للمطلوعة  
 ويعوضونها بصيغة فعل مقترنة بشاء لاجل  
 أوله ، تقول في فعل . حرق - حاز - يذل

البحرف والاحاز ، بحرف وبحرفت ، وئحاز  
وتحازت .

وبحولون صيغة فعل في مثل ابيض  
واحمر وفي مثلها في يمس إلى المفعول  
ابياض واحمر وابياض .

ولصيح الماضي في التوافق حالة واحدة  
إذا اقترن الفعل بصير الغائب الثالث  
للواحد وهو التاء، أو بعلامة الجمع وهي  
الواو، فإنك تقول في :

نسى	نسيت	نسوا
مضى	مضيت	مضوا
رني	رئيت	رئوا
قاسي	قاسيت	قاسوا
تعري	تعريئت	تعركوا
تلاي	تلاقيت	تلاقوا
استحل	استحللت	استحلوا

وتضعف التاء علامة التأنيث الساكنة  
آخر الفعل الماضي عند اتصالها بكاف  
الخطاب أو با الغائب المتكلمة أو بالتقول في :

صريت صريثتك = صريتك .  
سلمت سلميتك = سلمته .

وفي الفعل المضارع يبدلون حرف  
المضارعة للمتكلم الواحد وهو الهزة  
بحرف المضارع على الجمع ، ويضيفون  
حالة الجمع واوا آخر الفعل ، ويقولون في  
اخرج تخرج ، وفي تخرج : تخرجوا

وفي مضارع يستعمل الأجوف يقولون  
في مثل يستفيد : يستفيدوا ، وفي مضارع  
يستعمل الناقص يقولون في مثل يستحل :  
يستحلوا .

ويحذف المضارع الناقص وكذا الأمر  
بالألف أو الياء في آخره عند الترانة  
يووا الجمع يظهر ذلك في مثل :

مضى	يمضون	امضوا
رني	يرئون	ارئوا
قاسي	يقاسون	اقاسوا
نسي	ينسون	انسوا
تعدي	يتعدون	اتعدوا
تلاي	يتلاقون	اتلاقوا
استحل	يستحلون	استحلوا

أما فعل الأمر فإن الغاية التوسية  
لا تجري فيه على قواعد التصريف العربية  
تقول في :

ضرب يضرب إضرب  
ضرب يضرب أضرَب  
رمى رمى أرم  
رمى رمى أرم  
شرب يشرب إشرب  
شرب يشرب أشرَب

هنا نظرننا إلى الأسماء في الاستعمالات اليومية باللسان التونسي في المواقف والمدن والقرى وجدنا ما كان منها على زنة فَعَلَ أو فَعِلَ أو فَعُلَ يتغير النطق به إلى فَعَلْ وفَعَلْ ما لم يكن ناقصاً لقول في قَبْرٍ قَبِرَ وفي قَبْلٍ طُعِلَ وفي قُعْلٍ قُعِلَ: فَعِلَ، فإذا كان ناقصاً بقي على صورته العربية الفصحى كما في مَشَى وزَهَرَ وجَدَى .

والمصادر في النارجة التونسية تُلَى على وزن فَعْلَان كَفَحْلَان من دَعَلَ دَعْلًا يَدْعُلُون من جَلَى جَلَى جَلَى ، وَوَقِيَان من دَلَى دَلَى دَلَى ، وَطَوِيَان من طَوَى .

أما الجموع فإن منها ما يكون على أقلية كما في أَقْلِيَّة جمع قَلِم ، وَأَمْنِيَّة جمع مَنَص .

أما جموع الأسماء أو الصفات الثلاثة على حلة أو لون فإنها تكون على زنة فَعَلَ أو فَعِلَ

مثل بَيْض حُمُر مَكْمَل حُورٌ شَمِي طَرَش  
ونُتَى جموع الاسم الثلاثي المؤنث على زنة فعال ، كما في قصعة فصاحي - إبرة ، أباري - قفلة: قَلْبَالِي - كسوة: كَسْلَوِي - زربية زَرْبَالِي .

ومن الأوصاف ما يكون على زنة فَعُول مثل شَحُون لسانين ، وَخَشُوش لِبَش .

ويجمع حلو الذي مؤنثه حلوة على حَلَوَيْن يتشديد الواو .

ونلاحظ بالنسبة لأسماء الفاعلين والمفعولين ما زاد على الثلاث حالات خاصة بهذا اللسان . فهناك صيغة واحدة لاسم الفاعل والمفعول برهي مُمَعَّل تقول مَكْمَل ومتيسر .

وفي صيغ أسماء الفاعلين والمفعولين والمصادر التي من زنة فعل أو فعل ناقصين نستخدم في النطق بالكلمة حركة المقطع الأول مع حركة المقطع الثاني ، تقول في مَرَرِي مَرَرِي ، وفي مُتَعَلِي يَتَعَلِي وفي تَسْمِيَة تَسْمِيَة . فإذا اتصلت حركة انصاصة بحرف لهوي أو مفتوح فإنها تتقلب نسبة كما في مَرَمِي وولِي وفي تَنْفِيَة تَنْفِيَة .

ونفس القاعدة تنطبق على أسماء المفعولين  
النوالض ، تقول في مبل : مبل ، وفي مقل :  
مُقل وفي مصل : مُصل .

وإذا اقترن اسم الفاعل للمؤنث المفرد  
بكاف الخطاب أو هاء الغائب المتغلبة  
وأوا ضعت ناء التانيث من آخره تقول :  
قَاتِلْتُهُ = قَاتِلْتُو - مُحَابِلْتُكَ = مُحَابِلْتِكُ  
ومحاذيت = مُحَابِلْتَتُو = مُحَابِلْتَتُكَ = مُحَابِلْتَتِكُ  
- مقابلته - مُحَابِلْتَتُو .

ومن الأسماء والأوصاف ما يفترون في  
اللسان التونسي بلونين من أصل تركي  
تكون في أول الكلمة مثل باش ، أو في  
آخرها مثل جبر ، أو في الأول والآخر كما  
في الأمثلة التالية :

مُضَرَّجِي = مبلر .

كَافُورَجِي = شعيد الكفر .

قَرَبَاجِي = السالي الذي يحمل القرية  
ويقال في المغرب : قَرَاب .

بَلَاغِي = صانع البليغة = النعل  
ويقال في المغرب : بلایفی .

بَاش مَفْتِي = رئيس المفتين أو كبير  
أهل الشورى .

بَاش كَاتِب = رئيس الكتاب ،

بَاش قَمَّار = كبير لعب القمار .

بَاش زُوغُرِي = كبير السهترين أخلاقيا .

بَاش طَبِي = رئيس الطبعة  
المستعملين للملح .

وقد تحصل مفارقات في الاستعمال في  
المكان الواحد كما صحت تونس بين المتكلمين  
لللسان الواحد ، من أصحاب الطوائف المختلفة  
كالمسلمين واليهود ومن أجل الإنصاح من  
ذلك نعرض الأمثلة والاستعمالات الآتية :

(ف)	(ي)	(م)
جود	زربوع	جربوع
جرح	زرج	جرج
زلق	جلق	زلق
سرق	شرق	سرق

(م)	(ن)	(ف)
شرب	سرب	شروب
شرط	سراط	شروط
شطح	سطح	رطص
شنى	سنى	شنى
شُح	شُح	صلح
طُرْ	طُرْ	طرد
طُش	طُش	عطش
باسر - برشة	باسر	كثير

(م)	(ن)	(ف)
ضمير المتكلم المفرد المنفصل	أنت - أنتيا - أنتينا	أنت - أنتو
ضمير الغائب للجمع المنفصل	هو	هم
ضمير المتكلم للجمع المنفصل	أنتم	أنتم - أنتن
ضمير المتكلم للجمع المنفصل	أنا	نحن
ضمير الغائب المتصل	جاءوا	جاءوا به
الإشارة للقريب	هنا - هدايا	هنا
الإشارة للبعيد	هناك - هانوا - هانوا	أولاء أولائك
للاستفهام عن الشخص	أشكونو - أشكونى	أشكون
للاستفهام عن الشيء	أما - أ	أما

(ق)	(ك)	(م)	
مائة	مِئاً	مِئَة	العدد
مائتان	مِئَتَيْن	مِئَتَيْن	الطرف
ثمة	ثَمَ	ثَم - ثَم	السؤال عن المكان
أهين	وَاهِن	وِين	
آين هي	واين واينها	ويني - وينهي	
عروض	قِ عاوض	قِ عوض	كلمة
يق	يَق	عاد	
لم يبق	ما بقلش	ما عاقلش	
كتابان - بين	كتابين -	كتابين - مروحيتين	علامة التثنية
مروحتان	مروحتين		
مسلمون مسلمين	مسلمين	المسلمين	علامة الجمع
يلين	يليان	يلين	كلمة مختومة بيمين
عطاش -	عاطشين إلا في	عطاش - عاطشين	جمع الكلمة المختومة بيا
عطاشي	عار وجاهل فله		
	الصورتان للجمع		
صهايا	صبيات	صبايا	جمع صبية
اخوة وخيرها	خوات	اخوة ونحوها	جمع أخ
أموات - موي	مابتين	موي	جمع موي
أقلام	غير موجود	أقلمة	جمع على أقلمة



(هـ)	(ي)	(م)	
مشعب	عيان	عائى - عيان	كلمة
أول أمس	أول يارح	وقايلارح	كلمة
			الفعل التامع الياى لى
نمشى	نشيپو	نشيپو	المصارح للمشككين
أمر مر	املو	آمر	فعل أمر
امخل	زوز - زولوز	زوز	فعل
صير	صير - صيار	صير	فعل
ما أنطقه	مانظفرو	منظفرو	تعجب
ها آيا	غير موجودة	هائى	كلمة
ما آيا	غير موجودة	مائى	

ت تونس	ق قرية	ف فصيح
ما	ي	ماه
مشى	مشى	مشى
نسى	نسى	نسى

وأكثر ما يسمع ذلك بهجة الوطن  
القبلى .

وتقلب الياء ألفا لينة فى أواخر الكلم  
وذلك لى مثل :

فإذا تبارق التثنية لتطورات وأحوال هذا  
اللسان « الدارجة التونسية » بالعاصمة  
وخواحيها يذهب متوشلا فى القرى البعيدة  
عنها والمحدث المنتشرة بأنحاء الجمهورية  
لاحظ أن هنالك اختلافا بينا من جهة إلى  
جهة يومن منطقة إلى أخرى بلنى كثير من  
القرى تبدل الفتحة كثرة لى النطق  
بأواخر الكلم أسماء كانت الكلم أو أفعالا  
وذلك كما لى :

ث ثوبس	ق قربة	ه هصيح
التي	اللا	الدي
تقليها	تقلاها	تلقها

وهذا بهلاد الساحل كثير .

أما في اليهودي فقلت في أحيان كثيرة  
أسم الفانل جديدة وممور تمييزية مخالفة  
لا عهدته أو سمعته بالعواضير والمسنن  
والقوى ويظهر ذلك في مثل هذه الكلمات

ياوية	ثوبس	هصيح
آمن	الهاوح	آمن
بني	حب	أراد
تعال - أواح	ابها	تعال آمن
عش	دغل	دغل
دار - دما	عدل	عمل
رقا	طلع	مجد
شبح	شاك	هصر
ظهر	خرج	خرج
كبوس	شاشية	تلمسوة مابلسه
		الرجال لسوق
		الرأس

كراج	مباقي	للم - رجل
نشد	جمع	جمع
نؤ	شنا	نظر
من	هنا	هنا
هود - حتر	هبط	ثول
ولع	شعل	أشعل - أوله

وأشهر ما يتميز به اللسان في اليهودي .  
لثونية يختلف به عن أهل أسكنه  
واقوى النطق بالالفانل المتقدمة كما في .

أول - قول - قل .

قلب - قلب - قلب .

حقرى - حقرى - حقرى .

ويصير الابل تفرقاً والهبعا بين أكل ذكر  
والوث من هم وإن كسروا الهمزة من إمت  
الضمير المتفصل للمتخاطب يعتمون الغاء  
للمذكر ويكسرونها للمؤنث . ويميزون  
هذا الفرق وانصاعاً في الأفعال فيقولون  
شيت المتعملة للمذكر والمؤنث يتاء  
ساكنة في الآخر عند أهل المدن والقوى  
شيت يتسكين الغاء للمذكر وشيت .

بكسرهما للمؤنث وفي مثل الأمر من زاد  
يقولون للمذكر ريد والمؤنث ريدى وفي  
الأمر من كحبر تحيرو للمذكر وتحيرى  
للمؤنث .

وتلاحظ اختلافاً في استعمال الأفعال  
يبدو في مثل :

ملبية	بدو	فصيح
تشجاروا	تشجارو	تشجارون
نمقات	نمقت	نمقت
نيساو	نيسو	نيسو
نهار	نهنو	نهنوا
خلوا	خلو	خلوا
مشحلات	مشحيت	استحلت
مشات	مشت	مشت
مشاو	مشو	مشوا
سقبو	سقبو	نسق
يجير	يجر	يجهون سيقتون

ولهم في الأفعال الماضية وفي أسماء الأفعال  
المقتربة بهاء الغائب المتقلبة واواً صورتان  
في النطق ، وكذا المقتربة بكاف الخطاب

جاءت بك	جاءت بك	جاءت بك
جاءت به	جاءتو	جاءت
سلمته	سلماتو	سلمت
نعلت	نعلاتو	نعلت
مقابلة لك	مقابلتك	مقابلتك
مقابلة له		
مقابلته	مقابلاتو	مقابلانا

ويعود البدو إلى الصيغة الفصيحة في  
الأسماء الثلاثية التي على وزن فَعْل وفَعْل  
ويش وكذا في جموع الأسماء والأوصاف  
الدالة على الأمر والنهي والأحوال .

يَين - قير - قفل - حلو - حمر -  
حود - عى - يهى ويقولون في -  
التصغير :

كيش	كيش	كيش
رلس	رويس	رويس
مفتاح	مفتح	مفتح
كروحة	كروحة	كروحة

ومن جموعهم ما هو عربي فصيح كفتاح  
وحوانيت ودكاكين مقابل مفتاح وحوانت  
ودكاكن في لسان أهل الحضرة .

ومن جموعهم أيضًا ما يكون على زنة  
الموت السالم بزيادة الألف والثاء أو ما يكون  
بزيادة الألف والنون كما في قولهم /كباش  
تسينات - أيام يلسرات - جمال -  
ورحلان .

ولهم صيغ في الجمع لا تكاد تستعمل  
في المدن كصيغة ممل وفعل ومعل مثل  
قولهم سبق جمع سابق وشرف جمع شارف  
وجرم جمع جريم ويثيرة جمع يثيرة وغريمة  
جمع غراب وحقية جمع عقاب ويستعملون  
لجمع الجمع صيغة مختلفة كما في فرسان  
يقولون طرايس وطراسين وفي نسوان  
نساوين وفي تيران تولوين .

وطريقة التعلق باليوادى ليست واحدة  
هي أيضًا بل هي مختلفة بحسب اختلاف  
المناطق كالاختلاف في المدن والقرى الذي  
أشرنا إليه بحسب الجهات

وأبرز المناطق للقبائل و : العروش  
وهي بطون القبائل في البلاد التونسية  
الثلاث :

الأولى : تمتد لأوسط البلاد من شمال  
السط إلى مجردة وتشمل من القبائل  
الهدامة والفراشيش وماجر وجلامس وأولاد  
هيلر وأولاد هوغانم وحريد .

والثانية : تمتد في الجنوب صابرة  
للساحل إلى حدود ليبيا من جهة - وتمتد  
إلى حدود الجزائر متصلة بسوف جنوبًا  
وثافة شمالًا من جهة أخرى وتشمل هذه  
المنطقة الثانية عددًا كبيرًا من القبائل  
هي ورغمة والمرايف وبنزلوة وعكسرة  
والحسلونة وبنوريد وقاطنو واجات قايس  
والهوازية ، والمارية وتغلات والمثاليات  
والسواقي وأولاد سعيد وهقيل ومحمد  
ونعمر .

فيذا مررنا إلى أصحاب المنطقة الأولى  
(أ) ولأصحاب المنطقة الثانية (ب)  
أمكننا أن نلاحظ الفروق الآتية في النطق  
بين أهلها :

المصحح	(أ)	(ب)
آخِر	آوخر	آخُر
بقرة	بقرة	بُقرة
ربطت	ربطت	رُبطت - وِبطت
حبة	عزبة	حِبة
عربي	عربي	عُرَبي
فرسه	فرسو	فرما
قتلوه	قتلوه	قُتلوه
كلبه	كلبر	كلبا
امرائي	مرق	مرق ويرق
يأخذ	يؤخذ	يأُخذ
يأكل	يؤكل	يأُكل

ويأتي اسم الفاعل واسم المفعول بصيغة واحدة عند أهل المنطقة الأولى كما في مسمى لمسي وميسى ويفرق بين الاسمين عند أهل المنطقة الثانية الذين يقولون في اسم الفاعل من دعى مربي وفي اسم المفعول منه مربي .

وتفترون كلمة بعض أمام ضمير الجمع عند (أ) يقولون بعضهم وضمير الجمع

للثاني عند (أ) : هم وهوما وعند (ب) هم وهن ويفرق أصحاب المنطقة الثانية بين المذكر والمؤنث تفريقاً واضحاً كما في بيتك للمذكر وبيتك وضميرك وضميرك للمذكر وضميرك وضميرك للمؤنث وربما أبرز تونة النسوة كما يقول المرائيق بيتكن وبيتكن في بيتكن وهذا اللسان مع اختلاف اللهجات فيه قد مسه تطور كبير وكان مرة ضميراً بمنها مردوداً وأخرى مؤيداً محتغلاً به مقصوداً .

كان اللسان الدارج لغة العامة دون الخاصة . وكان هؤلاء لا يستعملونه الا في الحوار والضرورة . وإذا كانت الفصحى هي التي سادت في الأول لكونها لغة القرآن والدين والدرس والعلم والأدب والفكر ، وكثرت لكل وحدها بتونس لغة الحضارة والرق والحرقة فإن اللغة الدارجة إذاتها كانت بدون شك وفي نفوس المتحدثين بها لا تسمو إلى مكانها ولا تبلغ شأنها . ولاستطيع أبداً مزاحمتها خاصة بالمعاهد العلمية والمساجد مثل جامع الزيتونة ومراكز التعليم الديني الإسلامي ومجالات الوحد والتوجيه وعند الأئمة ولدى الدول والقضاة والمحامين وكل

الإدارة التونسية . كانت النخبة  
التي ميز الفارق بين العالم والجاهل والمقدم  
والمتأخر . وكان الحديث بها شرفا وكمالا  
يحاول كل التونسيين أن يتأله ويحصل  
عليه لو انتشرت المدارس وجمعت دور  
المعرفة والعلم أطراف البلاد .

لقد اذبح إبدان لم تكن تكسب أو  
تقيد إلا عند القليل وفي القليل من الأحيان  
والناسبات . ولم يكن يعنى بها غير  
طائفة من المربين والمستشرقين . فلما  
احتاج إليها الساسة إما لجهل بعضهم  
بالعربية وعدم ممارستهم السابقة لها ،  
وإما لتحقيق التوعية الشاملة ومخاطبة  
كل فئات الشعب باللسان الذي تفهمه  
واللغة التي تستطيع الحوار والمناقشة بها -  
وقد وقفت الدولة إلى جانب النخبة  
واحتجتها وسيلة لخطاب جماهيرى مقدرا  
فيها أقرب وسائل الإبلاغ . وهكذا  
أصبحت الاجتماعات الحزبية التي تنعقد  
لا تمضي إلى أكثر خير للامة ، وعظمت  
إلى جانب حصة نعمة الأنبياء والتطبيق  
عليها باللسان الدارج بهرمانج الإذاعة  
خصص الأدب الشعبي ، وصحيت وزارة  
الثقافة بشؤون لجان تجمع تراث الأقباط

من أوجال وأمثال ونحوها . وعقدت  
المسابقات بين شعراء المليون ، كما كانت  
تفقد بين شعراء القصص وحدهم . ولكن  
ذلك مما نما وزاد لم يكن ليكسب  
للدواجة نفرة وشرقا أو يحطها من عامة  
الناس ، وفي قرلة نفوسهم ، للملح الذي  
يريد لها دعاء القلبية الزاهون أنها لغة  
البلاد ، وأنه لا حاجة معها إلى القصص .  
العربية .

ولملاحظ مع ذلك أن تطور الحياة  
والأوضاع بعد الاستقلال :

أولاً : ينشر المعرفة وتكوين المدارس  
وإقامة المعاهد في كل مكان بالمدن  
وبالمراكز والقرى وبالمناطق الريفية النائية .  
وثانياً : باستعمال مختلف وسائل  
الإعلام وانتشار أجهزة الاتصالات لصيد  
الإذاعات .

ولثالثاً : بالبرامج الثقافية واسلاميا  
أو الشبكات التي تعمل جامعة من أجل  
تقريب الكتاب من القراء والمطالعين  
في كل مكان والتي يفرض عليها نشاطها أن  
تحدث أحيانا كثيرة بالنصحي وبالنصحي

لفظ خاصة في المناصب الدينية والوظائف  
الفكرية والأدبية .

غير من أحوال الدارجة فتفارقت  
لهجاتها ، وتبدل الكثير من ألفاظها وتبدلت  
مادة واستعمالا ، وانصرف العديد من  
الناس عنها بحكم التحول إلى استعمال  
أحد اللغتين العربى أو الفرنسية  
بما تميز اهتمامهم وارتقاء أوضاعهم  
ومشاركتهم لأوساطهم التى نشأوا فيها  
ودمجوا بها إلى أوساط أخرى تختلف  
وتتميز عنها تماما . وهكذا إلى جانب  
الطريقة المهنية الجديدة في الأكر  
والهجورة في الأكل يجد التونسي نفسه  
أمام مشكل لغوي أشد حدة من السابق  
تتداخله أسباب وتصوره دواعيه . فهو  
في صراع آخر في أكثر أوقاته وخارج  
المحيط العام الذى يضطره قليلا إلى استعمال  
الدارجة : إما منصرف إلى التكلم بلفظه  
القومية : العربية ، لغة دينه وقرآنه وبنى  
جلسته ، وإما إلى التحليث باللسان الفرنسى  
الذى يحصل إليه كل مستجد من الحياة  
وكل ماله صديق الأكر في نفسه من ألوان  
الثقافة والفكر والحضارة .

والتحقيق أن الناس وإن بدوا موزعين  
وموزعين بين اللغتين المحصرتين  
العربية الأصيلة والفرنسية الدخيلة في  
تونس منقسمون فئات ثلاث :

لما الأول لى لا تعرف غير  
الفرنسية . وهذه بحد الله صنف قليل  
من التونسيين لا يكاد يذكر . تخرج  
من مدارس الاحتلال الأجنبي التى  
أقيمت إثر انتصاب الصلبة بالبلاد  
التونسية فراهه ويهره باللغة القوى  
الدخيل من رواء وكمال وعزة . وذهب  
بطن أن هذه اللغة وحدها هى العملية  
وأما نستجيب دون غيرها لكل  
مقتضيات الحياة وتطوراتها وما يسا  
يوميا من تقدم آلى وثقى ورى حضارى .  
فهو يحضر العربية ولا يشكها لجهله  
المطبوع بها . وإذا تحدث إلى من لا يعرف  
الفرنسية كان مقصدا جد مقصدا  
يسعمل كلمات قليلة عامية على التميز  
ولم يبق . وإذا غلب من دواعى هذا القول  
عاد إلى تفاديه بغير العربية . كنت  
أجد ذلك عند الكثير من أفراد هذه  
الغلة وخاصة النساء والفتيات اللواتي

الكلال يجرح كرامتهم ويشين ذلهم  
للكلام بصير الفرنسية .

وأما الفئة الثانية فقد درست العربية  
والعربية وحدها . فوجهت إليها عنايتها  
وتصلحت بها وقامت عليها ، فهي المتسكة  
بشرف القصص الداعية لها المفارقة لغيرها  
وقد قصرت هذه الفئة عن مشاركة  
غيرها في أسباب التقدم الحضاري  
والفكري إلا أن بأنيتها ذلك من طريق  
الترجمات . وما ينقل إلى العربية عن  
روائع الأدب الغربي والفلسفات والآراء  
والأفكار الأوروبية .

وأما الفئة الثالثة فهي أكثر المتطهرين  
ببلادنا بالأسس القريب . تلقت معارفها  
وتخرجت من المدارس الفرنكو عربية  
ومن المعاهد الناصرية والمدارس العليا .  
كانت تلغى كل المواد بالفرنسية  
ولا يكون لها من حظوظ دراسة العربية  
إلا زمن قليل جدا وفي أوقات متميزة  
لهذا الغرض إلا من كان له منها بمحيطه  
الخاص أو يشتد من يمينه على إكمال  
ذلك النقص وتعمقه العربية . وهذا  
العنصر الذي تتكون منه اللغة الثالثة

في مجموعها وإن أدى معرفة اللغتين  
العربية والفرنسية بعيد جدا عن إتقان  
إحدهما ، فالقدرة على استعمالهما  
استعمالا سليما ونصيحيا . فهو كلما عاناه التعبير  
باللغة التي يتحدث بها ' ركن إلى ' الثانية  
مستجدا ومستعينا للوظائف بما يروم الإحزاب  
وه . ولذلك الملان الفرنسي على هذا الصنف  
كان أكثره لا يرى عن الفرنسية حولا  
ولا يرضى بها بدلا .

ومن هذين الصنفين الثاني والثالث  
تكون غالب المثقفين التونسيين طغرت  
عهم كتب ودراسات ومقالات وأشعار  
باللغتين العربي والفرنسي .

وكانت العربية التي يكتبون بها  
والتي تقرأها في الصحف والمجلات وما  
نشر قبل الاستقلال تنطق بحدّة ظواهر

منها استعمالات فصيحة مهجورة في  
غير تونس ككثاثير السلم وورود أين  
بغنى حيث

ومنها ألفاظ اصطلاحية خاصة ، كالتعبير  
للتعليب . والتسويخ للكرا ، والفصول  
للمواد ، والقرار للدائم .



ومنها استعمالات معنوية من الأصل  
اثباتت التصحيح كحجر بدل حجر .  
وأطرد بدل طرد ، واقتبل بدل استقبل  
وأبر محل جر ، وصلوحة مكان صلاح  
ورحومة موضع زميلة ، وشاح بدل جع ،  
والوسى عوض قصبير ، ونوريد بدل  
استبراد

ومنها ما يشهد للتأثر بالفرنسية وهذا  
كالذي شاع في الغالب عن أفلام المترجمين  
من مثل استعمال وقع في نحو قولك :  
المسألة التي وقع بحثها ، والجريدة  
الناطقة ، والمائدة السلم مكان من أجل  
السلم ، والنسبة لكونغو وطوجو والكثرون  
بنحو كنجولي وطوجولي والكثرونية

وسنن إلى جانب هذه الملاحظات  
للمتعلقة بالعربية المكتوبة اليوم بنحوس  
والتي هي كما هو الحال في كثير من  
البلاد العربية ، لعموم وضع وتفاوت وضع  
فتمثل الصراع الذي أشرنا إليه بين  
العلميين وبين الفئات المنتهية أو المتحصرة لها  
حالات عامة شعبية ومواقف خاصة صدر  
عنها مسئولون .

أما الحالات العامة فتظهر في الشعور  
القومي قبل الاستقلال بوجود الأخذ  
بالفرنسية والاعتماد عليها كلية لباء  
المستقبل ، ثم في التحول من هذا الشعور  
تدريجيا إلى وجوب إتقان العربية لغة  
الإسلام والعرب جميعا ، ولزوم استعمالها  
أكثر من الحياة اليومية والإدارية والعلمية  
ولفكرية من أجل بلوغ مراكز القيادة  
والريادة في القد الأفضل .

وأما مع المسئولين فقد لاحظنا لدى  
الفئة الثابتة القائمة على شرف النصحي  
وخدمتها تحويلا في برامج التعليم بجامع  
الزيتونة ومعهد الطندونية بنحوس ،  
وبالذخيرة بصفاقس . وذلك بإدخال  
العلوم المختلفة الرياضية والطبيعية ونحوها  
في مناهج الدراسة وتلقينها للتلاميذ  
والطلاب باللسان العربي الفصحى ، مقيمير  
بذلك الدليل للعمل على أن اللغة العربية  
ليست كما يزم خصومها صعبة معقدة  
لا قواعد التطور ، وتتميز من الوفاء  
باحتياجات العصر . وهكذا أمكن  
الكثير من الطلبة بعد حصولهم على شهادة  
التحصيل المصري أو شهادة البكالوريا  
العربية من الالتحاق بالكليات العلمية  
بالجامعات العربية في المشرق :

ولا حظنا إثر ذلك حركة رد فعل لدى ثاني وزير التربية القوميقي بتونس في عهد الاستقلال؛ فقد كان مع حبه العربية وتعلقه بها واحتراده بمقدرته عليها يسره ألا يتكلم بلسان خاصته ومن حوله إلا بالفرنسية ويرى بحكم إجادته للفرنسية - وهو أمر كما ذكرنا قليل جد قليل - أن الحاجة ماسة إلى ازدواجية اللغة «ازدواجية التعلم» وقد باحى بذلك «مخطط له في سياسة تونس التعليمية» وصرح به بعض الصحف قاتلا :

«إن الازدواجية في اللغة تظهر من الحاجة النفسية البيداغوجية نوعا متميزا عن التكوين» هو بدون شك أصعب ولكنه أثيري، إذ الازدواجية في اللغة تعني مصاعبة في الثقافة وفي نوعية التفكير وفي الشعور والتخيل وفي أبعاد الفكر، كما هي مصاعبة للشخص ذاته،

وأمام هذه الكاسب تقدم على اختيار الازدواجية لمواجهة كل الصعوبات ومتعلين بمهولة عليها ويتأكد أن مضيق إلى ذلك ألبالازدواجية في اللغة مثل للتكوين الصحيح، متى انتهت بصاحبها الآخذ بها إلى حصيله غنية من ثراء انشغاف والثقائنين، فهي لا تشكل أبدا عطر معر الشخصية القومية، بل التي على العكس تعطى تلك الشخصية كل أسباب التمدد والفتح والتطور في ظل العالم الحديث

ومضت متين على هذه التجربة التي انتهت إلى نتائج سلبية غير سارة ولا مقبولة ونادى كثير من رجال التعلم بالتحريب وتشكلت لجان من أجل توحيد المصطلحات بين أبناء المدارس في كامل بلاد المغرب ومنصرت أخيرا هذه السياسة، وبدأ التحريب عملا في المدارس والمعاهد والكلليات، بالاندراج للمصحي فوق ذلك مظهرا

محمد العبيد ابن الفوجة  
مترجم المجمع

## مصادر ومراجع البحث

---

- |   |  |
|---|--|
| المالكي : رياض النصوص                   | اللسان العربي ، مجلد ١١ جزء ٢٠٠ عام ١٩٧٤ |
| ابن خلدون ، المقدمة                     | محمد صلاح الدين الكواكبي :               |
| إبراهيم السامرائي : العربية التونسية    | الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة      |
| مجمع اللغة العربية بدمشق ، جاني ١٩٦٤    | مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق جويلية    |
| عبد العزيز بن عبد الله : معجم السيارة ، | ١٩٧٣ - جاني ١٩٧٦ .                       |
|   | محمود تيمور : معجم المصطلحات الحضارة .   |
-

**Bacrouche (T).** Un spécimen de contact linguistique : la langue des colonsiens R.T.S.S. 9. 1966.

Cahiers du C.E.R.S.S. serie linguistique 2 1969

Travaux de phonologie divers de Djerzmal, Gabès, Mahdia.

**Castelnau (J) :** Analyse phonologique du parler Arabe d'El Hammam de Gabès. Bulletin de la Société Linguistique de Paris T. 47, 1951.

**Cohen (D).** 1.- Etudes de linguistique Sémitique et Arabe.

2.- Le Parler Arabe des Jafis de Tule Etude Linguistique

T.2

**Dory (R)** Supplémentaux Dictionnaires Arabes.

**Garnedi (S).** 1.- Les problèmes de plurilinguisme en Tunisie - (Revue de la Revue du Monde Arabe).

2.- Quelques faits de contact linguistique Franco-Arabe en Tunisie R.T. S.S. 8 - 1966.

**Marçais (W).** 1.- La langue Arabe I la Diglossie Arabe

2.- La langue arabe dans l'Afrique du Nord

3.- Comment l'Afrique du Nord a été arabisée

4.- La langue Arabe.

(Articles et Conférences Paris 1901).

5. Les Parlers Arabes et Berbères.

in. Initiation à la Tunisie.

6. Quelques observations sur le Dictionnaire.

Pratique arabe - française de Beaumier.

**Marçais (W) et Parès (J)** Trois textes Arabes d'El Hammam de Gabès.

**Sarda (L)** Le Langage des femmes tunisiennes in mélanges Marcel Cohen.

# العربية أمس واليوم

لدأستاذ عبد الله كنون

من

الكلمات الحكيمية

التي كثيراً ما تجرى

على لسان عبائنا محرمين : « من كثر علمه قل اعتراجه » وتطبق هذه الكلمة على كل من يحشر نفسه فيها لا لإثام له به من مسائل العلم واللغة والأدب ، فيسوق إلى نفسه وإلى الناس بما يظهر من جهله وخطئه ، وما يشره من بلبلة في الرأي وخطأ في الحكم ، ومن هنا اتقيل الحملة التي يشنها بعضهم على اللغة العربية بأنها بالمتصور عن مجازاة التطور المصري الحاصل في العلوم والفنون ، حتى أصبحت في حداد اللغات الميتة كاللاتينية واليونانية القديمة. وللمعتدل من هؤلاء من يقول : إنها لغة أممية لا تصلح للعلم ، فعلى العرب أن يصطنعوا إحدى هذه اللغات الأجنبية التي برزت في مجال التقنية والحضارة الحديثة لكي يساهموا في ركاب الأمم المتقدمة ولا يثبت بدسلاهم بمسحزول من التطور والرقى المنشود . وأثرت هذه الدعاية في كثير من قادة الفكر ورجال

العلم عندنا ، فادعوا أن يتلقين العلوم بالعربية غير ممكن ، وأصرروا على بقاء المطبوعات في العالم العربي - وخاصة الكليات العلمية - منها مطبوعات أجنبية للغة إلا ما تندر منها ، ولديس لم يتجزؤوا على اتهام اللغة العربية بأنها بالتصور سلكوا طريقاً آخر للهدم والتشكيك في قدرتها على أداء رسالة التنوير والتثقيف للشعب العربي الأمي التي هي رسالة كل لغة حية ، فقالوا : إن حرفها بعيد كل البعد عن الاستجابة لهذه الرسالة ، فهو غير مشكول وبسبب ذلك يقع القارئ العربي في كثير من اللبس ولا يفهم المعنى المراد بسهولة وأن عليه أن يفهم قبل أن يقرأ فغرامة صحبة ، فصار الحرف غاية بعد أن كان وسيلة ، ومن ثم لما على العرب إلا أن يستبدلوا بحرفهم هذا الحرف اللاتيني المضبوط الذي لا يجد القارئ صعوبة في قراءته ، لأن الحركات التي تشككه هي من صميم كتابته وتخطئه .

( ١ ) انظر التطبيقات على البحث في محاضر جلسات ندوة قرابة والأدبين ( طبعة المجلس ١٤ م

بيج الآخر سنة ١٩٩٨ م - ٢٢ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٧٨ م )

ولعل هؤلاء - ولأنهم أجدنا - إنما يقومون بنور الطبيعة للأعربين في هذه المعركة الحاسمة التي يريدون أن يقضوا بها على اللغة العربية القصواء للبرم .

ومن غير أن أقول جديدا فإن دعوى تصور اللغة العربية عن مواكبة التقدم العلمي والحضارى في العصر الحديث ، جدير بها أن لا تسع لها قلبها للواقع ولأن ماضى هذه اللغة بكلها ... قالوا له أنه منذ انبثاق عهد النهضة بوطننا العربى في مطلع هذا القرن ، والعربية تزدى وعظمتها على أكل وجه في الميدان العلمى والأدبى على السواء ، فقد نكلت إليها روائع الفكر والفن من الأدب الأوروبي على اختلاف لغاته من فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإسبانية وإيطالية ، وغيرها ، ولم تصق فرعا بشىء منها . واطلع القارئ العربى من خلال الترجمة على الأعمال الأدبية لشعراء الكتاب والشعراء الغربيين وكذا على الكتب الرائدة فى الفلسفة والاجتماع والتاريخ لأعلام الفكر المعاصر ومن قبلهم من عصر النهضة الأوربية إلى الآن .

ولم يكن حظ العلم والمعرفة الصحيحة بأقل من حظ الفلسفة والأدب . فبعض جامعاتنا تدرس العلوم باللغة العربية . والمتكثرون من ههنا وضعوا مئات الكتب ، إن لم أكل آلافها ، فى فروع العلم

المتنوعة باللغة العربية ، وهذا إلى عشرات المعاجم المختصة بالطلب وفنونه والطبيعة وأسرارها ، بحيث يصح القول إن لغتنا الصادبة تسير مع نهضتنا جبا بحسب . وأنا لا أتقدم خطوة فى سبيل التطور الفكرى والعلمى إلا وتكون اللغة أمنا آمنة بزماننا لا تفتقدنا فى مرحلة ولا مجال .

ولغة هذا شأنها لا تكون ميتة ، والعربية لم تموت أبدا حتى يموت العرب كلهم لا قدر الله ، ولذلك فإن تشبيهها باللاتينية أو اليونانية هو من باب المغالطة . ذلك أن هاتين اللغتين غير متبتتين ، والدليل على ذلك أن اللغات الأوربية الكبيرة ما تزال مستند منها ، وترجع إليها لتفحص عندها أساليب النحو والحياة ، فإن أريد بموتهما أنها أصبحت غير مستعملتين فى التخاطب والكتابة ، فإن ذلك صحيح . والسبب بسيط وهو تحلى أهلها بهما ، فكيف يقال إن العربية لغة ميتة وأهلها لا يستخدمونها بدلا ، وهم يملكون فى سبيل نموها ولزدهاها النفس والنفس ، وقد حققوا من ذلك أغراضا بعيدة وما يزالون يعملون على إحلالها محل اللغات بهم بصفهم أصحاب رسالة وبنات حضارة وعبر أمة أخرجت للناس .

نعم إن ما يهدف إليه أولئك المصوم هو جعلها فعلا مثل اللاتينية واليونانية يحصل أهلها على نهجها واصطناع لغة

أجنبية عنهم كالإنجليزية في المشرق  
والفرنسية في المغرب ، يأمل التطور والتقدم  
وذلك إن أرادوا أن يسلكوا الطريق القاصد  
والسبيل الملاحب .

على أن دعوة أخرى مدسوسة كثيرا  
ما يروجها النظم بينهم ، وهي ترمي  
إلى التاية نفسها . ومن النوسف أن يجتأها  
بعض أبناء العرب ، وينساقوا في حيلها  
جاهلين أو غوليين بما تؤدي إليه  
من تقسيم الأمة العربية ، ولطم هذه  
العمدة الوثيقة التي تجمع بينهم ، وأضى  
بها الدعوة إلى إحلال العنصرية محل النظم  
وذلك هو ما حصل منه الثلاثينية بالضبط  
حين تحركت لهجات الشعوب المتكلمة  
بها إلى لغات فئات هذه اللغة موزة معنويا ،  
وحلت تلك اللهجات محلها فصارت الأمة  
الواحدة إنما ممتلئة ، وما يفرق بينها أكثر  
بما يجمع ، وأخصه اللغة .

ويشهد ما مضى العربية تراخى بالفتوحات  
العلمية والفلسفية والأدبية أنها لغة حية متطورة  
بإستطاعتها أن تحتوى جميع أنماط الفكر  
الإنساني ، وتستوعب كل قضايا المعرفة الكونية  
من علوم رياضية وطبيعية وتجريبية وتطبيقية ،  
وقد تفتحت على ثقافات الأمم والشعوب  
التي سبقها ، وحضاراتها ، فأخذت منها كل  
صالح تاليفها وأضافت إليها ما ابتكر هو أبرزت به على  
تراث العالم القديم لما قصرت ولا عجزت  
عن مطلب أو مرام .

بل كانت اللغة الأولى في العالم ،  
وكانت الأم والشعوب المعاصرة لها القيس  
منها ونشير بها ، وتعتبر أدبها هو الأدب  
وتفكيرها هو التفكير ، حتى أزعجت  
الشكوى في بعض بلاد العرب من إقبال  
شبابها على اللغة العربية وهجر لغتهم القومية  
هذا على حين أن الانتقال إذ ذاك كان  
من حرية مقصورة على بعض أفراس الحياة  
التي تقتضيها ظروف العزلة المفروضة على  
جزيرة العرب قبل الإسلام ، فكيف الآن  
والعربية تجر ورامعا هذا التاريخ الحافل  
بالهدى العلمي والأدبي ، وأبنائها يصلون  
ويكونون ليل نهار في خدمتها ودفع الضم  
صبا ؟

وإذا تبين أن دعوى تصور اللغة العربية  
في المجال العلمي لا نصيب لها من الصحة ،  
فإن دعوى أنها لغة أدبية غير علمية  
كذلك لا تصح ، ضرورة أن اللغة إذا كانت  
ناجحة أدبيا فلا بد أن تنجح علميا . لأن  
المادة الموضوعية للغة هي الأدب فهو الذي  
ينميها ويمدها بنسمة الحياة . وليست هناك  
لغة علمية لا أدب لها . ويمكن العربية  
دليلا على رسوخها في مجال العلم أن  
مبادئها ومصطلحاتها العلمية تشيع في لغات  
أكثر الأمم تفرقا في حلبة العلم والتكنولوجيا  
وهي بما اتجست منها في عصر النهضة الأوروبية  
ولم تجد عنها غناء حتى الآن . بل إن بعض  
العلوم إنما يعرف باسمه العربي في جميع  
الثقافات وهو علم الجبر ، ومن الغريب أن يدعى

هؤلاء حل اللغة العربية ما ادعوا، وعندنا من يقول: إن من المشكلات التي تواجهها العربية تعدد المصطلحات العلمية التي نشأت من اختلاف المذاهب الفلزية وأسئلة الجامعات مما يضطره من أسماء متصلة بالمصطلح العلمي الواحد، وهذا على ما فيه أعظم عجة تخص اللغة العربية وحملتها الجزيل، وقلت: وعلى ما فيه لأن أرى في هذا الدور مسألة كبيرة، فالعدد المزعوم لا يزيد على ١٠ إلى ١٠٠ من المصطلحات الموضوعة وهو علامة صحة أكثر منه علامة ضعف، فإن بعض المصطلحات التي يقع فيها خلاف تحتاج إلى فترة من الزمن تخضع فيها للتجربة والاعتبار. وعندنا يحرص المصطلح المختار منه، وعلى أي حال فواقع اللغة العربية ليس كما يتقول المصوم، بل هو في ازدهار مستمر بفضل الجهود المبذولة من أبنائها المثقفين في خدمتها، حتى إن بعض المصطلحات العلمية الحديثة تعدد وتكرر لاختلاف نظر واضعها. وهو أمر شبيه بما وقع لأوائلنا في عهد الترجمة الأسبق. فإن منهم من كان ينجح لتعريب ولو في الكلمات الواضحة الدلالة بالعربية، فيقولون: (أرتماطيق) في الحساب (وفيزي) في الطبيعة، وما أشبه ذلك، ولكن البقاء دائماً إنما هو للأصلح.

ونخلص للكلام على الحرف العربي الذي أنعم الله عليه، فإنه حسب نظر القنانيين الأجانب من الرسامين والمختصين في أعمال الزخرفة بعد من أجمل الخطوط أو أجملها على الإطلاق، حتى أنهم من فرط

الإعجاب بأوصافه وأشكاله المنسجمة مع المعمار العربي الرائع يحلوه محل التصوير الذي لم يمس به العرب لتحريم الإسلام له. ويحفلون بإبداعهم في النقش والكتابة مقابل ماقاتهم من الإبداع في التصوير والفنيل

هذا من حيث الشكل، وأما من حيث الفائدة فلا تنسى إشادة المستشرق الفرنسي «لويس ماسينيون» بالحرف العربي وتوصيته العرب بتسكينهم بحرفهم الذي لا يعلله حرف آخر. وهي الحقيقة التي لا مربة فيها، فإن كثيراً من الحروف العربية لا يوجد لها نظير في الحرف اللاتيني الذي يراد استبداله بالحرف العربي، ومنها انحاء والضاد والظاء والهمزة واللين والقاف. ومهما عدل هذا الحرف أو ذاك ليصبح ذالاً على المراد منه فإنه يبقى بعيداً عن النطق الحقيقي للثوب العربي. ناهيك بأن عدد الحروف اللاتينية أقل من الحروف العربية.

ولما أن القاري العربي يلزمه أن يفهم الكلام قبل أن يقرأه قراءة صحيحة. فإن هذه سفطة مردودة على أصحابها وأي كلام لا يحتاج إلى الفهم ليقرأه قراءة صحيحة، فالإنسان في حالة الشرود الذهني يمر بسطور حديثة، بل بصفحات من غير أن يعرف كيف قرأها لأنه لم يفهمها، وليس كل كلام يفهم بمجرد قراءة ولو كانت القراءة صحيحة.

فالواقع أن الحملة على العربية تسببت بقتل ما هي دنيئة، ولذلك لأنها وإن أحدثت بعض



البيلة في بعض الأفكار لم تنل من العربية  
الشائعة إلا كما يناله قرن الرجل من الصحراء  
الصحراء .

ولست في حجة إلى بيان ما في الحرف  
اللاتيني من نقص واشياء كثيرا ما يفتى إلى  
الارتباك والخطأ في كتابه وقرائنه ، فالكاف  
مثلا في الفرنسية له ثلاثة أحرف أحدها مركب  
من حرفين ، وليس كذلك لسفران أحدهما هو  
إحدى صور الكاف ثم تارة هو سين وتارة  
راي وتارة مصحف ، ولكن يقرأ سينا مع علم  
التصنيف . وفل مثل ذلك في حرف لغاء  
الذي يركب مع الباء فيصير غاء ، وبذلك يصبح  
لغاء حرفان ، ويركب مع الحرف الذي  
يسعمل كلفا وسينا فيصير شيئا . ولا صورة  
لشين إلا هذان الحرفان . ثم تارة هو يكون  
زائلا لا ينطق له وتارة رافعا للحركة وحلم  
جرا . والياء وإن كان لها حرف مخصوص إلا  
أنه يسعمل حركة أيضا ، ويصير عنها تارة  
بحرف الجهر مع لامين وتارة بحرف الخيم  
والنون وهو من أغرب ما يرى .. ولا أمتصر  
في ذكر هذه العجائب لأنكم تعرفونها ، ولكن  
المهجمين على الكتابة العربية يتجاهلونها  
ويكونون كالحمل الذي لا ينظر حنجه  
وتصحب من حبة أخيه ا

أضف إلى هذا أن الكتابة اللاتينية عبارة  
عن ثلاثة خطوط لا بد للقارئ من أن يظنها  
جميعا ، وهي أولا خط اليد ، وثانيا حروف  
الطبعة ، وثالثا حرف الناح في خط اليد وفي  
الطبعة . وبين هذه الخطوط فروق كثيرة

لا تعرف إلا بالممارسة وطول المعتادة  
وإذن فإن ما يؤخذ على الحرف العربي إنما هو  
قل من كثير مما يؤخذ على الحرف اللاتيني الذي  
يراد استبداله به سواء في صورته أم في إعادته  
وما دام المنادى على التفرين وكثرة التجهد  
والقلقين ، فإن ما ينقصنا نحن العرب هو  
الرجوع إلى الخط الذي سار عليه أسلافنا  
في تعليم اللغة لأبنائهم ولأبناء الشعوب التي  
دانت لهم من غير العرب . لأنهم لم يكونوا  
يعلمونهم النحو ابتداء كما نعمل اليوم . فالتحوي  
هو ضابط اللغة ، وإذا لم تكن عند المرء  
حيلة من اللغة فأى شيء يضبط ؟

كان القرآن أول ما يحفظه الناس ، وكلا لو  
بعض ، وكانت التصوحص الأدبية الأخرى  
مثل المعلقات وخطب بنفاء العرب وأشعار  
الصحوة من شعراء العصر الأموي والعباسي  
هي المراد الذي يدخره الناس للإتقان منه  
طول حياته في مجال التعبير ، وإنما الكلام  
من الكلام ، ويأتي النحو بعد ذلك مع بنية  
المعلوم وهذه الطريقة هي المنتجة في تعليم  
اللغات عند غبرنا ، ولا سيما ما كان اعتماد  
على النطق أكثر من اعتماد على القواعد .  
ومع أن الشكل قد يعصم من الضعف ، ولكن  
اللسان إنما يجري على ما سبق له النطق به  
ولذلك يبقى الشكل في بعض المراحل من  
التعليم وفي بعض المفردات والجميل صط .  
ما يصعب به ، وليس هو الصلة ، فذكر  
من القراءة ولتكتف من النحو بما تقص به  
الضرورة ، علما بأن القواعد تُدسى ، ولكن  
استقامة اللسان على النطق لا تمر بها آفة

ولنا في الدين أنعموا بهذه الطريقة جبر  
مثال، ونذكر مع الاستاذين مكرم عبيد  
في مصر ومارس الخوري في سوريا، وهما  
غير مسلمين، ولكهما كادا يكونان من حفاظ  
القرآن لكثرة قراءتهما له وتعهدهما لتلاوته  
خاصة ببلدك من أبلغ الخطباء للعرب وأنصح  
الناطقين بالضاد، وغيرهما من المشايخ  
والأساتذة كثير.

وعصري هنا كلمة للإمام مالك قال في جبر  
ما نص فيه ولكنها واردة علينا أيضا وهي  
قوله: «لا يصح آخر هذه الأمة إلا بما  
صلح به أولها» أي بالحفاظ على أصالتها، مكل  
إصلاح لا يتوخى معنى الأصالة والانطلاق  
بما الطلق من بناة كياننا الأولون، يجب أن  
نعلم منه ونعلم سبقا أنه إنما يهدف إلى  
إحياء مقوماتنا، وهو شخصيتنا، ليسهل عليه  
استيعابنا فيها بعد.

وإني أعتبر العمل الذي تقوم به في هذا  
المجمع والمجامع المواتية له هو السبيل الوحيد  
لكم الأفواه المضوية وإبطال الدخول  
المتجنية: وكلما سرنا في هذا الطريق قربنا  
امسافة أبعدنا إلى الغاية المطلوبة فعلى  
أن لا نثقل إلى المشايخين والموقرين ولو  
بالرد عليهم، فإن أعظم ود هو هذه القوائم  
التي تقدمها محظ بلان الجميع كل عام بمئات  
المصطلحات وعشرات المقررات.

وإني لفلت لا أستحسن شغل الأساتذة  
الأعضاء بقتول الإشكالات والإبربات  
التي يوجهها الخصوم إلى اللغة العربية،  
وجعلها الموضوع الأول للبحوث التي يقدمونها  
للمجمع، فكم من بحث لم يوصل أصيل بدوتنا  
بانشغالهم بهذه الموضوعات المجموعة المطلوبة  
التي إنما يريد أصحابها بطرقها أن كل مناسبة  
أن تتكرر من أجل أن تثقروا ومن عادات  
السادات معاداة للعادات.

عبد الله كتون  
عضو المجمع



# فجر الجغرافيا العربية

للدكتور محمد محمود الصبيح

**تكونت**

لدى العرب الجغرافية الجغرافية قبل أن تكون لم جغرافية . لقد كانوا في وطنهم الأول أصل بلادية ، بتجمعوتها بلادتهم وأوطانهم ، وما كان تشبههم أن تبلغ حايها إلا إذا عرفوا دروب الصحراء ، ومعال الأرض ، وسحاب الرياح ، ومسلط الغيث ، وما أهم قوم بالخير بين معالم سطح الأرض اهتمام العرب بمعالهم يشتم ، قاعاتهم بالفاظ مبررة عن الفروق الدقيقة بين صور هذه المعالم ، للأرض مثلا :

إذا لمست ولم يخطها شجر فهي البراح ، فإذا كانت مع الانحاج مسيرة فهي التبت ،

فإذا كانت مع الانحاج والاستواء هيلة الأكتاف فهي السهب والسبت ،

فإذا كانت مع الانحاج والاستواء والبعد لا ماء فيها فهي القلا والفتولة ،

فإذا كانت مع هذه الصفات لا يهتدى فيها الطريق فهي البلاء ،

فإذا كانت تبرد سالكتها فهي البلاء ، وكثروا عنها بالفازة لهما ،

فإذا لم يكن بها شيء من التبت فهي المرت والبقع ،

فإذا كانت خليطة صلبة فهي الجيوب والخلد ،

فإذا كانت خليطة ذات حجارة ورمل فهي البركة والأبرق ،

فإذا كانت مطقة فهي الجوف ، فإذا ارتفعت فهي السجد ،

فإذا جمعت الارتفاع والصلابة والظلمة فهي المتن والقفند ،

وحكلا من مثلت مقام سطح الأرض ، لاكثرها العربية واحدا منها إلا وضعت له مصطلحا برأيه . وهو أمر لا نعرفه في أية لغة أخرى .

(\*) الترجمات على التبت في محاضر جلسات الدورة الرابعة ، الأردن ( جلسة التبت ١٦ من ربيع الأول سنة ١٣٩٨ = ٢٥ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٧٨ )

وكان العرب القديمي من أكثر الناس معرفة  
بالرياح والطر ، وطيرها من ظاهرات الجو  
فوضعوا لها الأسماء الصادقة الدلالة .

للرياح تصنيفها ،

والسحاب درجاته ،

والسفر أوصافه ،

والطريق ترتيبه ،

وجسموا هذا كله تحت مسموه بالأنواء ، وهو  
ما نرى من اليوم بالمتاح . حقيقة أنهم استطاعوا  
في تفسير هذه الظاهرات فتنبؤوا إلى طلوع  
كوكب أو اقترانه بآخر ، حتى قال قائلهم .

إذا ما البدر تم مع الثريا

أنلك البرد ، لوك الشتاء .

ولا ضير عليهم في ذلك ، لما كانت  
الأسباب لتنبؤهم بقدر ما تنبئهم النتائج  
الملموسة التي يديرون عليها شؤون حياتهم .  
وهكذا عرف العرب من ينشئ كثيرا من  
الحقائق الجغرافية بنظرتهم دون أن تكون  
لم جغرافية ، وأصبح في كلامهم مادة  
جغرافية غزيرة تخلقة بأن يتم بها المنطوسون .

وهكذا ظهرت البدايات الأولى للجغرافية  
العربية ، مبروة على ألسن الناس ، وإن لم  
تسجل في كتاب حتى انتهت الجاهلية وظهر  
الإسلام في القرن السابع الميلادي ، وكان  
ظهوره مما يميز على الأهتمام بالجغرافية .  
فهو دين يدعو إلى التمكر في خلق السموات

والأرض ، ويرى في هذا ضربا من العبادة  
وبعض العبادات الشرعية تتطلب إلزاما بطرف  
من الفلك والجغرافية . والخروج إلى البيت الحرام  
فريضة على من استطاع إليه سبيلا ،

وقد أصبح الحاج من أطراف البلاد  
يتجمعون في مواسم معلومة في مكة بعينها  
وسيروا في قوافل قاصدين مكة المكرمة  
وهي رحلة تحتاج إلى معرفة بالطرق ، ومنازل  
القبائل ، وموارد الماء .

ولم يمض قرن من الزمان حتى كان  
الإسلام قد شق حتى بلغ حدود الصين ،  
وغرب حتى انتهى إلى سواحل بحر القلزم ،  
وعندما انتهى عصر الفتح واستقرت الدولة  
الإسلامية ، أخذ المسلمون ينصرفون إلى  
العلم ، وكان لخملاء بني العباس مساهمة  
مشكورة في تشجيع البحوث العلمية وعن  
طريق الترجمة التي نشطت في عهدهم وقف  
العرب على كنوز التراث الهندي والفارسي  
واليوناني ، وكان من هذا الأخير كتابان  
لكلاوديوس بطليموس الإسكندري Claudius  
Ptolemaeus الذي عرفه باسم بطليموس القلزمي .  
وهما كتاب «جغرافيا» وكتاب «المسطح» Majoron  
أي الكتاب الأعظم ، وكان تيار الفكر الجغرافي  
القديم قد توقف عند هذين الكتابين اللذين  
وصفا في أواسط القرن الثاني الميلادي  
ويقتلون الأول الأماكي للمروقة ونحفيق  
مواضعها بحسب ما ملفه علم ذلك الزمان ،  
أما الآخر رسالة في الفلك تقع في ثلاثة عشر  
فصلا . وقد أحجب العرب بالكتابين ، فكان  
أول ما كتبوه في الجغرافية يعتمد عليهما

ولقد كانت الجغرافية الفلكية والرياضية هي أولى الفروع التي استأثرت باهتمام الجغرافيين العرب ، فكتبوا عن المناسم القديمة وأصافوا الكثير من هضمتهم . فأتوا من المدرسة الهندية فكرة « الأرض » و « الشمس » « الرياح » « التي منها » « الرياح » « الهوى » « أو تزيح شهبان » وعليه اعتمد محمد بن موسى الخوارزمي ، وأبو معشر جابر بن عمر البغدادي في وضع جداولهما الفلكية . ومن اليونان أخذوا تقسيم السباح للربع المعمور من الأرض . ومن بداية القرن التاسع الميلادي أخذوا المنسب اليوناني في الانتشار حتى أصبحت له الغلبة قبل أن يتوسط القرن . وأصبح هو المؤثر الحقيقي في الجغرافية الرياضية العربية . وحتى تلك العهد لم يكن لفظ جغرافية قد دخل في معجم اللغة العربية دلالة على علم بلده ، بل كان يطلق حكماً على كتاب بطلميموس . وكان المسعودي في كتابه « التنبيه والإعراف » أول من أدخله في اللغة كمصطلح فقال : « الجغرافيا هي قطع الأرض » وكان المسعودي موقفاً في تعريف المصطلح ، في القاموس قطع الشيء قطعاً ، فصله وأبانه . وكان « إخوان الصفاء » في حدود ما تعرف هم الذين أطلقوا لفظ جغرافيا على علم برأسه . فقد وجدت عبدة « علم الجغرافية » لأول مرة في رسالتهم المعروفة ، وفسروها بأنها « صورة الأرض » . ثم أخذ اللفظ يشيع من بعدهم دالاً على علم . ولم يلبث العرب أن انصرفوا عن الجغرافية الرياضية والفلكية بالتدريج إلى فروع أخرى

من الجغرافية ، كتبوا فيها فصولاً مختصة أثرت الفكر الجغرافي عامة ، بما اشتملت عليه من مضامين مبتكرة .

وشهد النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي ( الثالث الهجري ) مولد مدرسة جغرافية عربية أصيلة بدأت بالجغرافية الوصفية ، ولكنها في وضعها للأقاليم لم تغفل الجوانب الجغرافية الأخرى . فكتب ابن خردادبة ( ٢٠٥ - ٨٣٠ ) كتابه « المسالك والممالك » الذي يعتبر أول مصنف كامل يصلنا في الجغرافية الوصفية . وكتب البتوني « كتاب البلدان » الذي جمع فيه ما عرفه بنفسه من أحوال البلاد الإسلامية في عصره نتيجة لأسفاره الطويلة . وكتب « ابن رسته » كتاب « الأعلاق النخبة » وكتب معاصره « ابن الفقيه » كتاب « البلدان » الذي يقال إنه كان يتألف من خمسة أجزاء في أكثر من ألفي صفحة . وقد فقد الكتاب فلم يصلنا سوى مختصره الذي صنفه علي بن حسن الشيرازي في عام ٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م .

ولم يكدهل القرن الرابع الهجري ( العاشر الميلادي ) حتى كانت المدرسة الجغرافية العربية قد رست قواعدها . وظهر عدد من أعلام الجغرافيين ، منهم أبو زيد البلخي صاحب كتاب « صور الأقاليم » وهو أقدم كتاب جغرافي عربي مزوّد بالخارطات ، أو خرائط الواقع لأطلس البلاد الإسلامية . وتوضع خرائطه بعض الشروح . وكان من بين هؤلاء الأعلام : الاصطخري ، وابن حوقل والمقدسي

وغيرهم . وظهر من بينهم عدد كبير من  
البحرانيين بطول بنا الحديث إذا نحن أردنا أن  
نستعرض مؤلفاتهم ، خاصة وحديثنا مقصور  
على الجغرافية العربية في عصرها الأول  
وحديثنا هنا أن نتناول ما أصاحه من جديد  
إلى فروع المعرفة الجغرافية .

لقد عني العرب بالجغرافية الطبيعية ، وهي  
إحدى الشعبين الرئيسيتين للجغرافية ، تناول  
الأخلفة الثلاثة : اللامع الصخري Lithosphere  
والهوى Atmosphere والمائي Hydrosphere  
لدرسوا أشكال سطح الأرض ،  
وأرجعوا تسمية البحال إلى من أشعة  
الشمس المستمرة ، ونظروا إلى الأمطار  
والأنهار كمعامل أساسية في الحث والإرهاب .  
وبحث إنخوان السماء موضوع التغيرات  
الجولوجية الكبرى ، وما يتم بالتدرج  
من تحول في تركيب اللامع الصخري ،  
وذهبوا إلى أن حرارة الشمس عظم صخور  
البحال إلى أحجار صغيرة وحصى ورمال ،  
ويعمل المطر ومياه الأنهار البخارية هنا  
الفتات إلى البحار والمحيطات ، وتعمل  
الرياح القارية على بثرة الفتات في قاع  
البحار طبقة فوق طبقة ، ومع مضي الزمن يؤدي  
ارتفاع هذه الطبقات إلى تكوين البحال :  
« ومثلما تبنى البحال في أعماق المحيط ،  
يرتفع البحر ويفيض على السهول حتى تصير  
بحارا ، ويصير البحر يابسا مع مرور الأيام  
وعلى سطح الأرض التي برزت من البحر

يتساقط المطر ، وتكون بحارى الماء التي  
تحمل معها التربة والرمال ،

ومعنى هذا أن العرب في عصر مبكر  
أدركوا مفهوم الجيومورفولوجيا Geomorphology  
التي نعلمها علم الحديث ، وليس ميان حديث سوى  
الاسم وأنهم عرفوا دورة التربة Cycle  
of erosion قبل أن يقول بها ولم  
موريس ديمز William Morris Davis  
في القرن العشرين .

وقد اعتقد العرب كذلك في التغيرات  
التي تمرى السلافة التسمية بين اليابس والماء ،  
ورجعوها إلى التغير في مواقع النجوم في  
جوانب القبة السهلوية ، مما يؤدي إلى  
تغير في جوانب الأرض بالنسبة لأشعة  
الشمس . وعندما تسقط الأشعة على أرض  
جديدة فإن نشاطها المدي والبنائي يتحول  
معا ، وهذا يفسرون تحول الأرض إلى  
بحر ، ثم تحول البحر إلى أرض مرة أخرى .  
لقد كانوا لا يزالون متأثرين بالجغرافية  
الهلنكية ، فذهبوا هذا المذهب في تفسير  
التبادل بين اليابس والماء ، ذلك التبادل الذي  
يرجعه الجغرافيون الحديثون إلى حركات  
باطن الأرض الرأسية منها والأفقية ،  
ومع أنهم كانوا يبنون الطبيعة الحارة لباطن  
الأرض ، لأنهم لم يتصوروا أن حركات هذا  
الباطن يمكن أن تؤدي إلى تغير كبير في  
أشكال سطح الأرض .

وقامت دراسة الغرب للتحالف الغازي على أساسين هما : دراسة الظواهرات الجوية في إقليم بعينه ، ودراسة التوزيع الجغرافي لمعدلات عناصر الجو ، وهذا يعني أن الجغرافيين العرب هم الذين وصحوا أسس التميز بين علم الطقس Meteorology وعلم المناخ Climatology ولكنهم في دراستهم للتحالف الغازي كانوا متأثرين بالنظرية اليونانية التي تجعل منه طبقات بعضها فوق بعض ، فعالموا بوجود طبقات ثلاث هي عتدم :

١ - طبقة الأكبر : وهي أعلى الطبقات ، وأقربها إلى القمر ، وهي شديدة الحرارة للغاية .

٢ - طبقة التمهيد : وهي الطبقة الوسطى وتتميز برودتها القارسة .

٣ - طبقة القسم وهي أقرب الطبقات إلى الأرض وأكثرها اعتدالا في حرارتها . وهم في تفسيرهم هذا لا يخطئون من أحدث النظريات العلمية ، فجوهر سطح الأرض يبرد بالتدريج مع الارتفاع ، حتى إذا ما وصل إلى حد معين حادت الحرارة إلى الارتفاع مرة أخرى في الطبقة التي يطلق عليها العلماء المحدثون اسم التروپوپاؤز Tropopause . ولكنهم أخطأوا في تفسيرهم للتغيرات التي تطرأ على الأحوال الجو حين ربطوها بالكواكب .

ورغم تقسيم الجغرافيين العرب للتحالف الغازي إلى طبقات ، ظم بينهم أن يؤكدوا

أن هذه الطبقات وإن تميزت عن بعضها البعض ، فإن الهواء يستطيع أن يوصلها جميعاً .

وقد أدركوا حقيقة أن سطح الأرض يتعرض لأشعة الشمس بنسب تختلف بحسب موقع المكان من الشمس ، فكلما ضاعت زاوية ميل الأشعة قلت درجة الحرارة التي تبلغ أخصاها مع الأشعة العمودية . وأثر هذا في اتجاه الرياح وكيفية المطر . والمطر في نظرم يسقط عندما يتصاعد بخار الماء بسبب تسخين الشمس حتى إذا ما وصل إلى طبقة الجو البارد ، تكاثف وتقل وزنه بعد أن كان خفيفا وتسلط مطراً أو ثلجا أو بردا ، وهم يرحلون بأسباب الرياح إلى تصاعد الهواء المرطوب ، وإلى توزيع الجبال التي تتحكم في توجيه الرياح .

ويفوتون بين أربعة أنواع من الرياح هي : « ريج الشمال » التي تهب عن يمينك حينما تولي وجهك نحو مطلع الشمس ، و « ريج الجنوب » التي تهب عن يمينك ، أما الريح التي تستقبلك من مطلع الشمس فهي « القبول » أو « الصبا » وريج الغرب هي « القبور » . وقد أدرك المسعودي حركة الرياح الموسمية واختلاف هبوبها من فصل إلى فصل وهي الرياح التي حرفت اللغات الأجنبية اسمها من موسمية إلى Monsoon

وكان مما يدعو إلى الإعجاب أن يدرك المقدسي أن نصف الكرة الجنوبي يتكون

معتلته من الماء بخلاف نصفها الشمالي الذي يتركز فيه اليابس ، وهو أمر لم يلتفت إليه علماء الغرب إلا بعد حركة الكشف الجغرافية ، وقد فهم البيروني حركة المد والجزر ، وربط بينها وبين توجيه القمر كما يقول العلم الحديث تماماً . وكان لا يستبعد أن يكون النصف الغربي من الكرة الأرضية معسوراً كمنصفها للشرق وهذا قبل أن تكتشف الأمريكتان صدق قرون .

وفي أول عهدهم بالدراسات الإقليمية درس العرب الأرض من أساس الأقاليم السبعة التي نقلوها عن اليونان ، وهي نطاقات هندسية تمتد من الشرق إلى الغرب ، محددة بدوائر العرض . ولم يبدأ العرب تقسيمهم من خط الاستواء ، بل بدلوهم من خط عرض ١٦° شمالاً وانتهوا إلى خط عرض ٥٠° شمالاً . ويخطئون فيما بينهم اختلافًا بسيطاً في تحديد عرض كل إقليم ، ولكن جغرافيتهم القرن الرابع الهجري ( العاشر الميلادي ) ، أغلوا يعدلون عن هذه الطريقة ، ويتخيرون مناطق صغيرة كوحدة جغرافية متميزة .

فيقول الإصطخري في مقدمة كتابه «المسالك والممالك» : « أما بعد ، فقد ذكرت في كتابي هذا ، أقاليم الأرض على الممالك ولصدت بها بلاد الإسلام ، وتقسيم ما يعود بالأعمال المضمومة إليها ، ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض ، بل جعلت كل قطعة

أرضها مفردة بصورة ، ونسحب ابن حوقل هذا المنسحب ، وحكنا بعمل المقدسي .

والواقع أن اتخاذ المنطقة كوحدة جغرافية أكثر صلاحية للدراسة الإقليمية ، فهي جزء من الأرض واضح التحديد يختلف عن الأجزاء الأخرى في ظروفه الطبيعية أو الحضارية أو التكنولوجية ، ثم يقسم هذا الجزء إلى أقسام ثانوية ، فنجد الإصطخري يقسم بلاد فارس على أساس المناخ إلى قسمين : « فارس الشمالية أو القصود وفيها أماكن يلقح من شدة البرد فيها ألا يثبت حنتم شيء من الفواكه » ، و« فارس الجنوبية أو الجروم » و« ما يليح من شدة الحر ألا يثبت حنتم شيء من الطيور » ، و« الجروم كلها صحبة الهواء » ، و« الجروم يقطب عليها فساد الهواء وتغير الألوان » . أما المقدسي فيأخذ شكل السطح أساساً لتقسيم بلاد الشام إلى أقاليم :

وطريقة هؤلاء الجغرافيين الأوائل في معالجة الجغرافية الإقليمية لمنطقة ما تتناول ناحيتين : الأرض والناس ، فيدرسون الأرض من أساس موقعها وما بها من جبال وأودية وأنهار ومهول وصحاري وما إلى ذلك ويدرسون الناس على أساس طعابهم . ولياسهم . ومعتقداتهم الدينية ، ونظمهم الاجتماعية ، ونشاطهم الاقتصادي في الإنتاج والتجارة .

وهم يسمون أساساً بالهيئة الطبيعية Physical landscape للمكان دولة كان أم إقليمياً ،



قيدرسون مظاهره الطبوغرافية ، ولا يفضلون الظروف المناخية . فالمقدسي مثلاً بعد أن يقسم بلاد الشام إلى أقاليمها التضاريسية يتحدث عن المناخ فيذكر أنه معتدل بصفة عامة إلا في ذلك الجزء الذي يقع في المنطقة الوسطى من الإقليم فيما بين الثلثات والحولة ، فهذه هي المنطقة الحارة التي يزرع فيها التخيل. ويذكر حظ على مناخ العراق أنه متقلب. فيخداد وواسط والبلاد فيما بينهما قد تكون لطيفة المناخ في وقت ومرحان ما يصبح مناخها غير معتدل ، أما الكوفة فعلى النقيض تماماً ، وتسود في البصرة حرارة عالية ، ولا يكون الجو معتدلاً إلا عندما تهب ربيع الشمال . هذه النظرة تبين بوصح أن شيئاً من الاهتمام كان يوجه إلى تفهم الأحوال المناخية ، ولكنهم كانوا - شجاءلون العوامل الأساسية في المناخ والأكس التي تعتمد عليها .

واهتم الجغرافيون العرب بالهيئة الخسارية للإقليم Cultural landscape . فنجد الإصطخري وهو يتحدث عن فارس يصف ملابس أهلها ويقول : « إن الكتاب يلبسون الدرايع والعمائم . فإن لبسوا تحت العمائم قلانس ، جعلوها خفية توقي الوسخ ولا تظهرها أما الملوك فإن لبسهم الأقمية ، وربما لبسوا الدرايع التي هي أوسع فرجة ، وأعرض جرباناً من درايح الكتاب » .

وهكذا يفعل المقدسي في حديثه عن سكان بلاد الشام .

ولقد اهتم أصحاب الجغرافية الإسلامية بوضع مصورات البلاد التي وصفوها ، وهي مصورات كان الهدف منها فيما يبدو توضيح طرق المواصلات الرئيسية ، والمدن الكبرى ، والنجال والأهوار والبحيرات وخطود الملك . ولم يكن لمصورتهم قياس رسم خاص . وكانت الاتجاهات توضع عادة على حوامش الصورة ، وعلى عكس الخطوط للمدينة كان الجنوب دائماً في أعلى الخريطة

وقد اشتملت كتب التراث الجغرافي العربي على كثير من النواحي الاقتصادية ف نجد فيها معلومات غزيرة عن موارد المياه ، وشئون الري ، وتوزيع المخلات الزراعية ، والثروة المعدنية ، والمصاعف ، وتجارة الملك الإسلامية .

ولما كان الري يلعب دوراً بارزاً في الاقتصاد الزراعي وبخاصة في الأقطار الإسلامية التي يقع معظمها في مناطق جافة أو شبه جافة ، فقد حظي الجغرافيون العرب بهذه القضية ، فنقرأ لابن حوقل وهو يتحدث عن البصرة قوله : « وذكر بعض اللواتين من رواة الأخبار أن أهل البصرة عدت أيام يلال بن أبي بردة ، فزادت على مائة ألف نهر وعشرين ألف نهر ، تجري في أكثرها الزواريق ، وكنت أنكر ما ذكروه من هذا العدد ، حتى رأيت كثيراً من تلك البقاع ، فربما رأيت في ملأ رمية سهم عدداً من

الأنهار صخاراً تجري في جميعها السهوليات  
ولكل نهر اسم ينسب به إلى صاحبه الذي  
احضره ، أو إلى الناحية التي يصب إليها ،  
ويفرغ مائدها . مجبور أن يكون ذلك  
كذلك ، في طول هذه المسافة وعرضها  
ولم استكثره .

وكان الري في فارس مشكلة خطيرة بني  
المقدمي بشرحها ، فيذكر أنه في الحيرة  
الشرقية من البلاد حيث لا توجد أنهار ذات  
أهمية ، كان من الضروري أن يجمع ماء  
المطر والمياه الجوفية حتى لا تصيب قطرة منها ،  
ويذكر أن في نيسابور قنوات تحت الأرض  
تجري بالماء ، ويظهر بعضها فوق السطح  
بالقرب من المزارع والمدن والقصور . ويشير  
إلى أعمال الري التي أنشأها عاصد الدولة ابن  
بويه ، بين شيراز وإصطخر ، فقد أقام على  
النهر سداً يرفع الماء إلى عزان تروى عنه  
القرى مزروعها .

ويعطي الجغرافيون العرب معلومات قيمة عن  
توزيع الكثافات الزراعية وعن الثروة المعدنية ،  
والصناعات القائمة في ديار الإسلام ، والطرق  
الرئيسية التي تربط بين أطرافها . فيتحدث  
الإصطخري عن بلاد ما وراء النهر وأن بها  
« من معادن الحديد ما يفصل بعض حاجتهم  
من الأسلحة والأدوات . وبها معدن القصعة  
والذهب والزئبق الذي لا يقاربه في الحرارة  
والكثرة معدن في سائر بلاد الإسلام » .

وبشير « ابن حوقل » إلى منابع الذهب في  
وادي التلال بأرض مصر ، ومانع الحمضة  
في غرسان والحبال وقارمن وبلاد ما وراء  
النهر ولا يمكن بذلك بل يشرح الطريقة  
للتعدين في استخراج بعض أنواع المصائد  
كالنوشادر من جبال اليمن في أرض ما وراء  
النهر .

وكان من بين القروى التي هي بها  
الجغرافيون العرب جغرافية المدن . فقسما  
للمدن إلى خمس فئات : عاصمة الدولة ،  
والقصباء الإقليمية ، والمدن الإقليمية ،  
والقواصي ، والقرى . والقصبة الإقليمية  
كما عرفوها مدينة كثيرة السكان بها وال  
لو حامل ، وتتفق على أن الخدمات العامة من  
مولداتها الخاصة ، ومن أمثلتها دمشق والقبرون  
وشيراز .

وتختلف المدينة عن القرية في أن الأولى  
بها منبر ، وهم في دواستهم للخدمة يركزون  
بصفة خاصة على موقعها ، ومن المدن التي  
تقع في واد تحيط به التلال يذكر المقدمي  
مكة في جزيرة العرب ، وحمص في بلاد  
الشام ، وإصطخر في فارس . ويحدث  
الجغرافيون العرب عن المدن التي تدين بأحيائها  
لوقوعها على طرق التجارة ، فيذكرون منها  
مصاد والموصل وسمرقند وغيرها . ولا ينكرون  
أهمية الموقع الاستراتيجي لبلد ذكر المقدمي  
أمد وأنها ترجع إلى موقعها الحصين وغلاعتها ،  
ثم يقارن بينها وبين أنطاكية بأسوارها وأبوابها

وقلعتها التي بنيت على الجبل . كذلك نجدنا  
عن المدن التي اكتسبت شهرتها لمولدها مدينة  
فيقول القنصى عن بيت المقدس إنها تقع  
في سهل يحشر فيه الناس يوم الحساب ،  
ويصعب أن مكة والمدينة لها الأفضلية على  
سائر المدن لوجود الكعبة في الأولى وقبر  
الرسول في الثانية .

ومن النواحي التي عني بها الجغرافيون في  
دراسة المدن مولد مياهها فيقول الإصطخرى  
عن سمقند إنها كثيرة المياه ، ولم ير خاناً أو  
راوية في شارع أو ميداناً إلا وقد وثبت  
فيه السيل للمياه المتجمعة . ولما ماء جار  
يدخل إليها في نهر رصاص وهو نهر قد بنيت  
له مسناة عالية من حجارة يجرى عليها الماء ،  
ووجه هذا النهر رصاص كله .

ويقول البيهقي إن المدن الشالية في فارس  
مثل قم وبساوور بها نظام للماء الجوفي تحمله  
الأنابيب إلى مساكن المدينة ، ويقول القنصى  
إن مكة ثلاثة خزانات تحملها مياه القنصوات  
التي أمرت بحفرها السيدة زبيدة لمرأة هارون  
الرشيد من بستان بني هاشم . والسكنجة  
الجغرافية العربية غنية بالإشارات إلى وصف  
المساكن والندور يذكر الإصطخرى عن  
آس أن ه الغالب حل أهلها الخشب والقصب  
وهي كثيرة الأمطار شتاءً وصيفاً ، وسطوحها  
مسندة للماء .

وكانت البيضة وأثرها على الإنسان من  
الزبوحات التي استغل بها الجغرافيون العرب  
ويبدو هنا واضحاً في كتابه الحيوان

للجاحظ ، ومما كتب القنصى والسعودي  
والبيروني وغيرهم . وقد لهم العرب العلاقة  
بين الإنسان وبيئته على أساس مزدوج .  
فقال علماء الفيلة إن الإنسان جزء من الكون ،  
ومن ثم تحكم في مراجه وطباعه الكواكب  
السيطرة على الإقليم الذي يعيش فيه ، ولكن  
غريباً من الجغرافيين خرج على هذا الرأي  
وإن لم يكره تماماً ، فصر العلاقة بين الإنسان  
والوسط الذي يعيش فيه على أساس اختلاف  
مظاهر البيئة الطبيعية وبخاصة مظاهر السطح  
والتأخر وموارد الماء ، وكان السعدي من  
رواد هذا الاتجاه ، يتناول مظاهر البيئة  
بالتحليل ، ثم يحاول أن يبين أثرها على  
الإنسان وحياته .

لقد أدرك السعدي أهمية الماء والنظم  
التيان ومظاهر السطح كموامل تؤثر في الحياة  
البشرية فكتب : وقد تختلف قوى الأرضين  
وفعلها في الأبدان لثلاثة أسباب : كمية المياه  
التي فيها ، وكمية الأشجار ، ومقدار ارتفاعها  
وانخفاضها ، فالأرض التي فيها مياه كثيرة  
ترطب الأبدان ، والأرض العائمة قسياه  
يصفها . وأما اختلاف قوتها من قبل الأشجار  
بأن الأرض الكثيرة الأشجار التي فيها .  
تقوم لها مقام السترة فلهذا السبب لا تسخن ،  
والأرض المكشوفة من الأشجار ، العائمة

لها ، حلماً عن عكس حال الأرض الكثيرة  
الأشجار . وأما اختلاف قواها من قبل علوها  
وانخفاضها ، فلأن الأرض العالية المشرقة

فسحة باردة ، والأرض المنخفضة حارة  
ومدينة .

ويحلول للسعودي أن يهجر قهام للسكن  
وتحديد مواضعها بالعوامل الجغرافية المحيطة  
بها ، ويرى : أن أصناف اختلاف البلدان  
أربعة : أولاً التواسي ، والثاني الارضاح  
والانخفاض ، والثالث مجاورة الجبال والبحار ،  
والرابع طبيعة تربة الأرض ، ثم يشرح أثر  
هذه العوامل في البلدان : « فارتفاعها يجعلها  
أبرد وانخفاضها يجعلها أحر ، ويختلف جوها  
باختلاف موقعها من الجبال . « فحيث كان  
الجبل من البلد من ناحية الجنوب جعله أبرد  
لأنه يكون سبب امتناع الريح الجنوبية ، وإنما  
تهب فيه الريح الشمالية فقط ، وعلى العكس  
من ذلك إذا كان الجبل من ناحية الشمال .

ولموقع البحر من البلد أثره : « فإذا كان  
البحر من ناحية الجنوب كان ذلك البلد أحر  
ولرطب . وإن كان من البلد في الشمال ، كان  
ذلك البلد أبرد وأيبس ، كذلك لطبيعة التربة  
أثرها ، ففي كانت تربة البلد صخرية جعلت البلد  
أبرد وأجف ، وإن كانت جصية جعله أحر  
وأجف ، وإن كانت طينية جعلته أبرد  
ولرطب . »

ويعتقد الجغرافيون العرب في أثر المناخ  
على الإنسان ، فذهب ابن رسته إلى أن سكان  
المروء الوسطى كأهل بابل وما جاورها  
قد اعتدل مزاجهم ، ولطفت بفتيهم وبشرتهم  
لأن الشمس لا تكون قريبة جداً منهم ،  
ولا بعيدة للغاية عنهم ، وإنما هي في موقع  
وسط وهذا هو سر الاعتدال . :

ويقول السعودي وهو يتحدث عن أهل  
الربع الشمالي من الأرض : « وهم الذين بعثت  
الشمس عن سمتهم من الواغليين في الشمال  
كأنصقالة والإقربجة وما جاورهم من الأمم .  
فإن سلطان الشمس ضعف عندهم لعدم  
عنا ، فغلب على نواحيها البرد والرطوبة .  
وتواترت اللوح عندهم والجليد ، قل مزاج  
الحرارة فيهم . . . وجفت طباههم ، وتوحدت  
أغلاهم ، وتبلدت ألهامهم ، - وثقلت  
ألسنتهم ، وابيضت ألوانهم حتى أفرطت ،  
فخرجت من اليأس إلى الزولة ، ورحمت  
جلودهم ، ولزقت عيونهم أيضاً فلم يخرج  
عن طبع ألوانهم ، وسهت شعورهم ،  
وصارت حساً لليلة البخار الرطب ، ولم  
تكن في مذاههم متانة وذلك لطباع البرد  
وعدم الحرارة . »

ويرى السعودي أن الترك الواغليين في  
الشمال ، لم يندم عن ملأ الشمس واسترحت  
أجسامهم ، ولانت قطرات غلورهم .  
وخرزات أصنافهم ، حتى تأتي لهم الرى  
بالغشاب في كروهم ولهم ، وغارت مصاصهم  
لكثرة لحومهم ، فاستندرت وجوههم ،  
وصغرت أعينهم ، أما الزنج وسائر الأحابش  
وغيرهم من سكان الجهات الاستوائية  
فقد لسودت ألوانهم ، ولحوت أعينهم  
وتوحدت نفوسهم ، وذلك لالتباب هوأهم  
والإفراط الحر في نضجهم ، حتى تحرمت  
ألوانهم ، وثقلت شعورهم . »

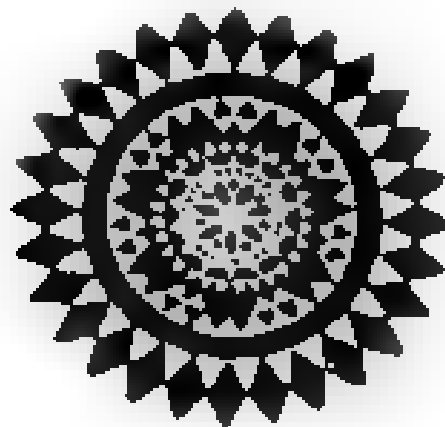
ويذهب السعودى إلى أن الإنسان يتأقلم في بيئته الجديدة ، ويكتسب صفات غير التي كانت له ، ويضرب مثلا بجماعة من شعبي أمور الترك لوغلو حتى دلموا حدود الهند ، فأثر فيهم مناخ البيئة الجديدة وأصبحت بشرتهم أقرب إلى الطنود مها إلى الترك . ولا يقتصر التأقلم على الإنسان بل يمتد إلى النبات والحيوان ، فشجر جورا الهند لم يكن عند السعودى سوى نوع من نخيل القمر نقل إلى الهند فأكسبه البيئة الجديدة خصائصه المبررة كذلك الحيوانات يغلب طبع كل أخص على لونها ، فالحرار السود والأغولاء - ضبا إلى السواد ، ووحش الرمال البيضاء إلى تلك اللون ، فإن كانت الرمال حمراء فوحشها صفراء وهولون التراب ، وكذلك وحش الجبال من الأرواي وغيرها

يكون من ألوان تلك الجبال ، إن حمرا . وإن بيضا وإن سوا .

واصح إذن أن الجغرافيين العرب في القرون الثالث والرابع للهجرة قد اهتموا بالجغرافية في شعبها الرئيسيين : الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية وبحثوا في تفهم كثير من المسائل وتحسينها ، ولكنهم اهتموا في بعض الأحيان ، وما كان إهتمامهم من نقص في إدراكهم ، لأن الوسائل العلمية وطرق البحث لم تكن قد تقدمت إلى الدرجة التي هي عليها الآن . وقد ترك هؤلاء الجغرافيون الأعلام تراثا غنيا من العلم والمعرفة لا يزال مجهولا لدى الكثيرين ، وحرى بنا نحن الجغرافيين المحدثين أن نقلب في هذا التراث لنكشف عن أساليبه وبحث فيه الروح من جديد .

محمد محمود الصياد

عضو المجمع



# بين اللغات العامية واللغة المدونة

للأستاذ الشاذلي الفليبي

قال

ولعل من المفيد أن نطلق من هذا النص  
لوصف القضية الرئيسية ، ونفرض للمشاكل  
التامة هنا

أحد أمين في كتابه عزيماء  
الإصلاح في العصر الحديث ،  
ما يلي :

فلو ما ينبغي أن يلاحظ استعمال أحد  
أمين لفظ « عامية » بالإنفراد ، وهو يتكلم  
عن العلم العربي بأسره . والواقع أن لكل  
بلد عربي عامية خاصة به . فمن علم ثنائية  
لغوية ، في كل بلد ، ولكتنا ، في مستوى  
العالم العربي ، نواجه ثنائيات متعددة ، لأن  
الفرق بين اللهجات العامية كبير ، ودعا  
تعلو مع النظام لأول وحلة .

ثم إن الثنائية بين العامية والفصحى ،  
في كل بلد ، بحسب وجوه الاستعمال :  
فالعامية للحياة اليومية ، والفصحى للثقافة .  
والحياة اليومية خاصة بكل قطر ، بينا الثقافة  
العربية مشتركة بين سائر البلاد العربية .  
ومثلك يجد ، في طي التقسيم الذي ذهب إليه  
أحمد أمين ، التمييز بين ما اصطلح علماء

« ولعل من أهم المشاكل التي تواجه العالم  
العربي الآن لاستخدامه لغتين : عامية  
وفصحى ، والفرق بينهما كبير ، يستعمل  
إحداهما في البيت وفي الشارع وفي المجالس ،  
ويستعمل الأخرى في الكتابة والقرأة . ولم  
تصبح أية محاولة في التقريب بينهما . وهذا  
أضرب من اللغة القصصى لأنها لم تكتسب  
الحرية التي تأتي من طريق الاستعمال اليومي ،  
وأضعف اللغة العامية لأنها لم تستند بما تنتجه  
الأدياء والصحراء .

ولا تزال المشكلة هريضة تتطلب الحل  
من المصلحين » .

في هذه الفقرة ، حلل القاصيا ، وضع  
للمشكلة اللغوية التي يواجهها العالم العربي  
اليوم .

( ٥ ) انظر التفصيلات على البحث في محاور جلسات الندوة الرابعة والأربعين ( مجلة البيت ١٦ من دجن ١٩٧٨ )  
سنة ١٩٧٨ - ٢٥ من مارس ( آذار ) سنة ١٩٧٨ م

اللغة المحذرون هل نسميه باللفظ اليوناني ،  
 dialektos ، أى لغة التخاطب ،  
 Koinēdialektos أو Kotak  
 فقط ، احتصاراً - أى اللغة المشتركة التى  
 تستعمل فى أغراض معينة ، ثنائية كانت  
 أو غيرهما .

وبشير ، بعد ذلك ، أحمد أمين ، فى إنجاز  
 بليغ ، إلى حواكب هذه الأزدواجية اللغوية  
 القائمة فى العلم العربى : فالقصصى انتعشت  
 حيوية ، والعامة بقيت بعزل عن شؤون  
 الثقافة .

لما أن حلوا الأزدواجية هى من أهم  
 المشاكل التى يواجهها العرب فى هذا العصر ،  
 كما جاء فى كلام أحمد أمين ، فلا بد من  
 التذكير بأن هذه المشكلة قديمة قدم العلم  
 العربى - وإن هى أصبحت ، فى عصرنا هذا  
 الشكل الرئيسى الذى تتوقف على حله نهضتنا  
 الثقافية والاجتماعية . فى كثير من النصوص  
 القديمة إشارة إلى هذه الظاهرة ، وأهمها  
 ما كتبه ابن خلدون فى المقدمة (١) .

وقد يكون من المفيد استعراض آراء  
 ابن خلدون فى هذا الباب حتى نتطرق منها  
 فى علاج ما بين العامة والتصحى من علاقات .

فالقلة العربية كان يتناقلها العرب من جيل  
 إلى جيل ، بفضل ما يسميه ابن خلدون .  
 « الملكة » ، وهى شبيهة بالطبع ، تحصل  
 بالتقليد المباشر ، عن طريق التسماع والتمرد ،  
 منذ الصغر .

على أنه يؤخذ من بعض أبواب المقدمة  
 نظرية خاصة بدرجة فصاحة اللسان العربى ،  
 منذ العهد الجاهلى . فكانت « لغة قريش »  
 أنصح اللغات العربية وأصحها ، لبعدهم  
 عن بلاد السجم من جميع جهاتهم . ثم من  
 اكتسبهم من قحط وهذيل ، وشذاعة ،  
 وبني كنانة ، وخطان ، وبني أسد ،  
 وبني نعيم . وأما من يتعدى عنهم من ديمعة ،  
 ونجم ولسان ، وزباد ، وكضاة ، وعرب  
 اليمن الميادين لهم القرم والروم والحبيشة ،  
 فلم تكن لهم لغة الملكة ، بمخالطة  
 الأهلجم (٢) .

ثم إن هذه الملكة تبيدت ، بعد الإسلام ،  
 بانتحلات العرب بالأهلجم ، حين استولى  
 العرب على العراق والشام ومصر وإفريقية  
 والمغرب .

ولما كان القرآن والحديث بلغة مضر ،  
 وهما أصلا قديين وللة ، « شفى انغلاق  
 الأهلجم عنها ، بفقدان اللسان الذى تنزلا

(١) ابداء من ١٠٤٠ - اللغة البتالية .

(٢) ص ١٠٤١ - ١٠٤٢

به . . . فاحتجج إلى تدوين أحكامه ، ووضع مقاييسه ، واستنباط قوانينه .

ويحبر ابن خلدون بين لسان الجيل العربي العائش بعيداً عن لقلد الكبيرة ، وإن انحطط بالأعاجم بعض الشيء ، ولغة الأمصار التي اشتهت فيها تأثير الفصحى ، بسبب تكرار الاحتلاط .

أما لغة الجيل العربي الذي يعيش بعيداً — بعدا متعارفاً — عن الاحتلاط بالعجم ، فإنها ، في نظر ابن خلدون ، لا تختلف اختلافا جوهرياً عن لغة مضر .

ويجئنا صاحب المقدمة عما يسميه « لغة أهل الجيل العربي الذي يهدنا » ، فيحفل العلاقة بينها وبين لسان مضر على النحو التالي :

«الذات كلها ملكات . والمملكة ليست و بالنظر إلى المردات ، وإنما ( هي ) بالنظر إلى التراكيب . فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة ، لتتصير بها عن المنطق المقصودة ، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ التكلم حيثلذ القاية من إعادة مقصوده للسامع : وهذا هو البلاغة » (١) .

ورغم أن هذا النص يؤخذ منه حصر للملكة في التراكيب ، فإن سياق الكلام عند ابن

خلدون يدل على أن مردد البلاغة والبيان — ومقتضاها عند واحد — إلى الألفاظ ، و دلالتها على معان بأعيانها ، وإلى التراكيب ، في أحوالها وكيفية تأليفها .

وعلى هذا التحليل يبنى الكاتب مقولة عامة ، كان ينبغي أن يكون له شيء غير قليل من المرأة ليصدق بها في عصره :

« وما زالت هذه البلاغة والبيان هذين العرب ومنعهم لهذا العهد . ولا تلتفت في ذلك إلى عرفة النحاة ... حيث يزعمون . . . أن للسان العربي فساد ، احتصاراً بما وقع في أول شعر الكلام من فساد الإعراب » (٢) .

فالمملكة التي كانت لأهل عربى تغيرت ، في نظر ابن خلدون ، ولكنها لم تهتد . والذي فسد إنما هو الإعراب ، وهو « بعض من أحكام لسان » (٣) . ودليله على ما ذهب إليه أن « الكثير من الألفاظ لم تزل في موضوعاتها الأولى » . ثم إن طرائق التعبير وسنن التبليغ موجودة ، بدليل وجود الخطيب المصنف والشاعر الملق ، في الجيل العربي المتأخر

أما لغة المحصر في المدن ، فيقول عنها صاحب المقدمة إن دعرب التخاطب في الأمصار وبين المحصر ليس بلغة مصر القديمة ، ولا بلغة أهل الجيل — يقصد الجيل العربي المباني على بداوته — بل

(١) المقدمة — طبعة المينارة — ص ١٠٤٠

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤٣

(٣) كأن ابن خلدون يميل إلى اعتبار كلمة « لسان » كلمة تعيد الحديث عن لغة مضر . أو ما نسميه اليوم بالتصميم .



من لغة أخرى ، قائمة بنفسها ، بعيدة عن لغة مصر ، وعن لغة هذا الجبل العربي . . . وهي من لغة مصر أبعد ، (١) .

وبحسب خصائص هذه اللغة الحضرية فإنها قائمة على « ملكة مخترجة » ، أي هي مرجع من ملكة اللسان العربي ومن ملكة اللسان العجمي . وبعبارة لغة الحضرة عن لغة مصر القديمة بحسب احتلاطهم بالأعاجم : « في خالط العجم أكثر ، كانت لغة عن ذلك اللسان الأصنى أبعد » (٢) .

وينظر ابن خلدون في اللغات الحضرية نظرة علمية مجردة ، شبيهة بما يذهب إليه علماء اللغة في هذا العصر ، ملاحظ .

أولاً : أنها تختلف باختلاف الأمصار قلعة أهل المشرق مبنية بحسب الشيء لغة أهل المغرب ، وكذلك لغة أهل الأندلس .

ثانياً : أنها لغات قائمة بنفسها قاهرة على « قادية المقصود والإبانة » وهذا معنى اللسان واللغة . وقد إن الإحزاب ليس بضمائر هاء (٣) .

وفي هذا الباب أبصار ، سبق صاحب - المقدمة حمزة بقرون ، فنظر إلى اللغات نظرة علمية تركز على مفاهيم واضحة دلالة ترجع الأمور إلى إطار التسمية الاجتماعية ،

وتقسيمها بحسب ما لها من وظائف في حياة البشر :

« وإن كان عهد اللغة المحدثون ، يدرون أن نظرة ابن خلدون إلى اللغة نظرة تطورية . تبحث خصائص اللغة حسب تطورها التاريخي . وهم لا يرتاحون إلى هذه الطريقة ، ويفضلون عليها النظرة « التراسمية » على حد تعبيرهم أي نظرة رسمية تحمل نظام اللغة وهياكلها في شرة محددة .

ولكن أعجبنا بتعسف ابن خلدون في تحليل أصول اللغة وأطوارها ، وخاصة بنظرية المتعلقة بما يسميه « لغة التخاطب في الأمصار وبين الحضرة » ، فإن لنا ، في عصرنا هذا ، شواغل لم تكن في عصر ابن خلدون : وهي تخص بناء المجتمعات العربية على أسس أصيلة وحضرية ، معاً . ونعتقد أن الثقافة - بأوسع معانيها - في هذا العمل دوراً أساسياً ، في تطوير الأوضاع الذهنية والاجتماعية . والثقافة أداتها الأولى ، إنما هي اللغة

وقصبة اللغة ، في نظرتنا ، قصبة رئيسية . وبحسب طريقة مواجعتنا لها ، لتكيف مواقفنا الثقافية والحضارية .

ومود ، في هذا الصدد ، أن نقدم بعض الملاحظات .



(١) المصدر السابق ص ١٠٤٧ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤٧ . وكان ابن خلدون يميل هنا إلى استعمال كلمة « لغة » .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٤٧ .

فعل فرض أن اللغات المحلية قادرة على  
البلاغة والبيان ، كما يقول ابن خلدون ، فإننا  
نعتمد أن لا خيار اليوم ، أمام الشعوب العربية  
غير النصحي . فهذا اختيار مبدئي لا يناس  
به لسكل الشعوب الناطقة بالعربية ، وذلك  
لأسباب جوهرية ، كثيراً ما وقع الترخي  
لها منذ قيام الخصومة بين أنصار النصحي  
والضعفين للطينية ، مما أن النصحي صلتا  
للمباشرة بالدين والملة ، وأن النصحي هي التي  
تربطنا بالتراث الثقافي العربي ، وبما لنا من  
تاريخ منذ أربعة عشر قرناً .

لما السبب الذي أريد أن تؤكد أهميته ليستل  
في الدور السياسي الذي تصطلح به النصحي  
اليوم ، إذ هي القيمة التي تشد الشعوب  
العربية ، بعضها إلى بعض : بتوئها تضام  
وشائج القربى بينها ، وبفضلها ، إن هي  
أصنت استقلالها ، وأحكمت أيضاً بصريف  
سائر شؤونها ، يمكن أن تولد مجموعة ذات  
بال ، في المجال الدولي ، حل الضعيفين  
الثقافي والسياسي .

فالعلاقات طرفي ، بين النصحي تجمع .

بل لته يمكن القول أن الجميع المشترك بين  
العرب اليوم ، مشرقاً ومغرباً ، إنما هو هذه

اللغة النصحي ، التي يسميها ابن خلدون  
اللسان المثلون<sup>(١)</sup> ، والتي بقيت قائمة للذات ،  
هو العصور وتقبيلات التاريخ ، أربعة عشر  
قرناً ، دون تضاد ولا تغير ، وإن هي تطورت  
تطوراً بلا انقطاع ،

وتلك من معجزات هذا « لسان المثلون »  
أن استطاع أن يثبت في أحكامه ومفاهيمه ،  
مع التطور في أحواله والتجديد في كيميائه .  
بحسب ما تقتضيه شؤون الفكر والعلم والجمع .  
ولئن كان أسلافنا ، في صدر الإسلام ،  
حرصوا على تدوين هذا اللسان ليكون دوماً  
« سلباً إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله »<sup>(٢)</sup>  
فإن لنا ، في هذا العصر ، إضافة إلى  
الاعتبار الديني ، اعتبارات ثقافية وحضارية  
وسياسية ، لا تخفى بنا لحسب إلى جعل هذا  
اللسان المثلون لنا محفوظاً وعلياً مكرباً<sup>(٣)</sup> ،  
فلا يعلو أن يكون بذلك وفقاً على الخاصة ،  
لا شأن فيه للامة ، وإنما هي لخدمتنا  
كذلك إلى إحيائه ، حتى يصبح وسيلة  
اتصال بين العرب كافة إضافة إلى كونه أداة  
إبلاغ لشؤونهم الفكرية والعلمية والاجتماعية  
جميعاً ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق  
الاستعمال اليومي ، بحسب رأي أحمد أمين .

(١) المصدر السابق ص ١٠٤٤ .

(٢) ص ١٠٤٤ .

(٣) ص ١٠٤٤ .

ولابد ، بلوغ هذه العناية ، من إجماع العرب على خطة جعل الجهود متصاعدة ، والأحداث متتامة .

وبلوغ العناية للشودة أمر من الصعوبة بحيث لا يتطلب هذا الاتفاق في التصريحات الرسمية ، بل يقتضي أيضاً ، وفي الدرجة الأولى كامل الإخلاص في العمل ، من أجل تحقيق هذه العناية .

وليس ذلك من العرب بعزير ، ومجموعات خمرثا ، في أوروبا ، استطاعت أن تتجهز لغاتها ، بطلب إلى لسان مشترك بينها ، استعملته في مختلف الأغراض الإدارية والتعليمية والثقافية ، حتى انتشر إشعاعه تدريجياً ، وكاد يعم سائر مجالات الحياة . وإنما على حل هذا التحول كان ارتقاء الفرنسيين والإيطاليين والألمانية إلى وظيفة اللسان المشترك ، في أصقاعها الأصلية ، بأوروبا .

والسبب الثاني نعتقد ضرورة اتباعه في مستوى العلم العربي كافة ينطلق من العناية باللسان العربي وباللغات العامة ، مما باعتبار ملطلة وذات من تأثير ، وما يقوى أن يكون لكل منها من دور .

أما اللسان العربي فهو اليوم ، كما لاحظته أحمد أمين ، مقصور - أو يكاد - على شؤون الأدب والجمالية العامة وهو لا يزال ، ها أو هناك ، يواجه حقيقتين لابد من

تخليهما : لنا من لا يزال يتردد في اتخاذ العربية لغة لكل الشؤون الإدارية والاقتصادية لتغلب المصادر الأجنبية التي عنها بأحد القنون الإدارية والاقتصادية ، ومثلاً أصحاً من لا يعتقد أنه في إمكان أن تعلم كل العلوم الصحيحة باللسان العربي . وهذه وذات من رواسب ما أشار إليه ابن خلدون من ربح المطلوب بالاقتصاد بالإنابة ، حتى في القياس لسانه ، اعتقاداً منه أن لغته قاصرة عن الإبلاغ .

وهذه النظرة إلى العربية ناشئة عن الوضع الحاد للثقافتنا ، وكذلك عن جهل أكثر المتعلمين العرب بما كان للعربية من باع في العلوم العقلية والرياضية والطبيعية ، حين كان العرب في طليعة الحركة الحضارية في العلم .

ظن قلب على ثقافتنا ، منذ عصر النهضة ، العناية بالأدب ، إضافة إلى علوم الدين ، فلما كتب العلوم القديمة تشهد ما يلعبه لغتنا من مران في أداء دقائق المعاني في كل باب . وليس من السهل أن مرجع إليها الآن لغتها كاملة من القيم بهذا الدور ، بعد الكثرة التي أصابت بالحضارة العربية غرونا متوالية .

ولكن لا مناص للمجتمعات العربية من بلوغ هذا الحد ، وإلا بقيت في حرجة من القصور والتبعية مهينة .

فلن أردنا بلوغ هذا الهدف في الحرب  
الآجال ، فلا بد من شرطين متلازمين :  
لا بد من تكوين الدماء العرب القادرين ،  
لاعلى مجرد الاحتقاء ، بل على البحث  
والابتكار ،

ولا بد ، في الآن نفسه ، من تلقينهم  
اللغة القصصى منذ نعومة أظفارهم ، حتى  
يربى فيهم ملكتها ، فتغارب فيهم الطبع  
والسليقة ، وتكون لهم القدرة على استيعاب  
الاصطلاحات الجديدة ، واستشفاف ما ينبغي  
استشفافه من الأصول القديمة .

ولا نترصد إلى تغيير القصصى سليقة ،  
حقا ، في الأجيال الناشئة ، إلا بتقريب  
الثقة بين اللسان المدون ولغة التخاطب ،  
في كل قطر من الأقطار العربية .

بكيف تقرب اللغات المحلية من اللسان  
المدون ؟

جوابنا الذي لا نتردد فيه هو أن نتخذ  
من لغة الكلام سلا إلى اللسان المدون ،  
لا ستماله ، بما ينبغي من مرونة وتدرج .

يدنى أن نلاحظ أن لغة الحضر في  
تغلب مطرد على لغة البدو ، في أكثر  
البلدان العربية .

ثم إن لغة الأمصار ، هذه ، تختلف ، من  
قطر إلى قطر ، اختلافًا كبيرًا ، أحيانا ،  
كما لاحظ ذلك ابن خلدون :

ولكن الذي يسترعى اهتمامنا اليوم هو  
أن وسائل الاتصال المصرية بين الشعوب  
قد ساهمت في التعريف بالكثير من اللغات  
المحلية .

ولا بد من الإشارة إلى المكانة التي أصبحت  
تحتلها لغة القاهرة ، من بين سائر لغات  
الأمصار العربية .

وهنا أود أن توقف لحظة عند هذه الظاهرة  
لتحليل أسبابها .

فلا شك أن مصر ، منذ قيام النهضة  
العربية والإسلامية ، متربة خاصة ، تبرزت  
بما كان لقاهرة ، في الثقافة والفنون ، من  
دور فزموقي ، بما جعل القاهرة كبة  
الاقتصاد ، سواء للرحلة السياحية في طريق  
الحج ، أو للرحلة الدبلوماسية في طلب العلم ،  
أو للرحلة السياسية ، بالنسبة إلى عدد من  
رجال الكفاح الثوري أو النضال السياسي ،  
ولا أستبعد أن يكون كل ذلك قد أوجع  
في الأذهان أن لغة القاهرة هي اللغة النكلى  
فراموا تقليدها .

ثم إن الوسائل السمعية البصرية المحلية  
أكلت دور مصر وإشعاع لغة القاهرة  
وفك ابتداء من الأمطواة التي نشرت  
الأهنية المصرية ، ثم ثلثها الميما ، للإذاعة  
فالتلفزة ، فأصبحت كل الأذان ، في  
مستوى التثنية وفي مستوى الجماهير ، على  
السواء ، يتكلم بخلفه ( الإبلادات ،  
البنائية والفنية والسياسية ، عن طريق  
لغة القاهرة .

ثم إن النور الياقي الذي اضطلعت به مصر منذ عشرين سنة ، وما استقيم من توافد الطلبة من كل الأصقاع ، للدراسة بالجامعات المصرية ، ثم وجود مركز الجامعة العربية ، واتحاد أल्प النقابات والمؤتمرات العربية بها ، لا شك أن كل ذلك جعل المعاصم المصرية مركز الباترة العربية ، وهزل إشعاع اللغة التناهرية ، حتى أصبحت ، بصورة عسئية - شعورية لولا شعورية - لغة الاتصال بين فطفت الوفود العربية ، إذا هي أصبحت فطلى بعضهم أن لا يفهم عنه غيرها ، إن هو استعمل لغة المحلية .

ولمضى يقال : إن هذه الأسباب كلها ما كانت لتكنى لإحلال لغة القاهرة هذه المنزلة ، لولا جهال متأصل فيها ، ولطف فى قنم ، وظرف فى تأليف الكلمات وتركيب الجمل ، وميل واضح إلى تحريك الساكن والقرام ما لا يلزم من الضم أو الكسر ، يكسب اللسان المصرى راحة فى التنفس لا نظير لها فى سائر اللسن العربية . وما يلاحظ فى لغة القاهرة تألرها المتزايد باللسان للكون .

وهى ظاهرة لا تخار منها بقية لغات الأمصار العربية ، ويمكن إرجاعها إلى مسعين :

مسرى الألفاظ : فعدد مترادف من ألفاظ القصى تنقل إلى اللغات المحلية ، وخاصة منها مفردات الخضارة ، وفات المعالى الجديدة .

ثم مسرى الصيغ المصرية والراكيب النحوية ، وجملة من الألفاظ والمباكل ، للتعبير عن صيغ فى التفكير جديدة ، وإن كان هذا أوضح فى لغة الطبقات المتعلمة .

وما يلاحظ فى هذا المصدد أن المقلين كثيراً ما يمتلون عن الصيغ المأثولة فى اللغة العامة ، إلى صيغ مقتبسة من اللغة القصى ، وأحياناً من اللغات الأجنبية ، ومنهم تفتخر هذه القوالب فى الأوساط المحاورة .

وهذه الملاحظة تجرنا إلى توسيع النظر إلى بقية العوامل التى يمكن أن تركز عليها العناية ، فى تهذيب اللغات الشعبية ، وتقريب الشقة بينها وبين اللسان المنون - رغم ما قد يفتنى عليها من ناقص مصادر الطلاوة والتفالية فيها .

للتعليم فنور الأساسى ، فى تهذيب العامة . وفنور ما تفتقر المدارس الابتدائية والثانوية تشيع رقعة اللسان المنون ، وتطارب الصلة بينه وبين اللغة المحلية ، وبالقلى بين فطفت اللغات المحلية فيما بينها ، فى العالم العربى .

ثم إن تأثير الصحافة والإذاعة والبقرة فى تقريب القصى من كل فرد عربى . يتركز دور المدرسة ، فى كل الأوساط الإجهادية . وهذا معروف لا يحتاج إلى زيادة شرح .

ولكنى أود أن أؤكد هاملا آخر ، فعلم لم يحط بما هو به جدير من الاهتمام : فالاجتماعات العمومية ، سواء في نطاق النقابات ، أو الأحزاب ، أو غيرها من المنظمات ذات الصبغة الشعبية ، كثيراً ما تلاحظ أنها تساهم في إبراز لغة جديدة ، شعبية من حيث أنها مفهومة لدى الخاص والعام ولكنها قد تتاولها العمل والتهذيب ، ودخلها مفردات وصيغ وقوالب ، فأكسبها ذلك مرانا وقلة من الأداء ، دون أن يضاف من حيوتها التي بها تفادها إلى النفوس . وهي لغة عربية سقط منها الإحزاب ، ولكنها في أغلب الأحوال ، لا تهزها الصدمة التي يملأ معها قلوبهم لأن ليس من مصرها . ولئن كان تهذيب اللغات المحلية وسيلة هامة من وسائل تقرب الشعة بين اللغة العامة واللسان للمدون ، فإن لكيفية استعمال اللسان للكون لتكون تأثيراً في انتشاره ، وسهولة استعماله .

فالذي استقيناه من تجاربنا ، سواء داخل المباني التعليمية ، أو في نطاق أجهزة الصحافة والإعلام ، أو أثناء الاجتماعات العامة ، هو أنه يمكن تكيف القاصي على مستويين :

فصحي للكتابة ، وهو ما يسهبه ابن خلدون للسان المدون ،

وفصحي للتخاطب ، وهي كيفية خاصة لاستعمال اللسان للمدون فتى عنه ما قد يبدو متكلفاً ، أو غريباً ، في أغلب الأحوال الحياة الخاصة والمواقف الاجتماعية .

ووجود مستويات مختلفة في استعمال اللسان المدون ليس بالمر جديد ولا امر بدعة ، وإنما هو واقع مألوف ، في عصرنا هذا على أقل تقدير . فمن الواضح ، مثلاً ، أن القصصى ، تختلف اليوم باختلاف الأجيال : فللشيوخ لغة ، وللشبان لغة ولاشك أن الزينونى والأزهري والقروى يستعملون لغة هي من نواح متعددة ، متميزة عن لغة غريبي الجامعات المصرية .

ثم إن المتأمل فيها يشتر بالبلاد العربية من كتب ومجلات وصحف ، يلاحظ في استعمال القاصي ، بمخطف الأقطار ، فروقا جوية ، ولكنها واضحة ، تكن أحياناً لمسة القطر الذي ينتسب إليه للتطوع ، اعتقاداً على استعمال مفردات معينة ، أو تراكيب وقوالب ، لا تُعهد في غيره .

ويمكن أن نحدد ملامح لسان التخاطب هذا ، المتبثق من القاصي ، في مستوى المفردات ، ومن حيث الإحزاب والإلقاء .

أما من حيث الألفاظ ، فالذي لاحظناه في لغة أهل تونس -- وقد أشار إلى مثله زميلنا الكبير الأستاذ عبد الله كنون بالنسبة للغة الحديث في المغرب الأقصى -- أن جانباً كبيراً من ألفاظ اللغة القطبية هو من لسان المدون ، لا أن المتخمين في

جزء من متواريد من كل لفظ مألف من كل  
لفظ مألف من العامة، والتاليهين، وغيره ،  
أو من باب الاستعجاز لكل ما تمت إلى  
العامة بسبب

ويعتقد أن ذلك مما لا بد من تلاقى  
المصالح بين سواد الشعب وبينني ، على  
العكس من ذلك ، ونحن الألفاظ العربية  
المستعملة في اللغات العامية ، ووجدت معاصروا  
عند الإمكان ، مع مراعاة قواعد الذوق  
والإبلاغ

ثم إنه يحسن ، في سبيل التمهيد ، أن  
لا نحجم عن الإكثار من الأمثلة التي غرضنا  
منها التوضيح للحدسية ، وهي عين ماسلكه أسلافنا  
في القرون الأولى ، عند اختلافهم بالأحكام  
لما غلبوا فيها أصوب الحكم للمعتمد ، وأنواع  
المرافق المتضاربة

وبقدر ما ترى علم الإختصاص من اقتباس  
الضرورات الأخلاقية الضرورية ، ملقاً بعض  
أثره من واسمائها فكيفها ونشعبها تحتها بحسب  
الإنسان العربي يفتيها من طراعية .

والأمثلة هي ذلك كثيرة ، وليس هنا موضع الخوض فيها . ولكن ليوضح : بساط الحال ، ، كما يقول من علمون — شبر ، في الحالة الأولى ، إلى حرص بعض أنصار الأمانة على استعمال عبارة الإدراج المرنية ، مثلا ، فيها جمهور الناس في البلاد العربية يستعملون اللفظ الأعجمي ، وشبر في الحالة الثانية إلى إبدال كلمة فليصريون بورتها الأعجمي دون تغيير . مع استبدال اللسان العربي لكلمة في مثل هذا القول . وقد شاع في تونس استعمال لفظ «التلفزة» والذي

يبدو أرسق وأقرب إلى طبيعته اللسان الهندي .  
وفي خصوص الاقتباس من اللغات الأجنبية -  
نعتقد أنه يقتصر ما يتأكد اقتباس كلمات  
مختصرة ذات المدلول المادي ، فإنه يحسن  
في أغلب الأحوال ترجمة المصطلحات الدالة  
على معان مجردة ومن أمثلة ذلك ما شاع  
في المشرق من استعمال كلمة " كودر " التي تعني  
غلة الأسيرين في النصوص أو الإبداعات ، بينما  
كان من الأفضل اتخاذ كلمة " إصدار " عبارات  
للدلالة على نفس المعنى

ثم إنه لا مانع أحيانا من استعمال كلمات من اللغة العلمية ، وإن كانت بسبب إف التخصيص غير واضحة . ونحن نشغل ذلك حدا لاقتضاء ، على الركون إلى ألفاظ غريبة بصعب اعتيادها وتداولها .

أما ثانياً فملاحظ أن القصص البليغة ، تقدم  
الزُّلُم حركات لإعراب ، تخفيفاً لالتفات  
واستبعاداً لكل ما يؤكد معارضة اللسان بالنون  
للغة الكلام ، في أفهام الجمهور ، وكذلك  
تسهيلاً على أغلب الناس أن يستطيعوها دون  
خوف من اللحن ، قد يؤول إلى التخصير  
والكبت .

لما أفضت القائمة التي ينبغي أن تتوفر في  
الفصحى الدارجة، فخصصنا الإلقاء وكيفية  
الأداء، فإنه ينبغي فيها الحرص على طبيعة  
الكلام المعتاد، في بساطة لفظه، وسهولة  
تراكيبه، مع التمسك بالأسلوب الصحيح  
والطبع السليم اللذين يجعلها عندنا لغة مقدسة  
من شروط البلاغة والبيان.

ونرى استعمال "نصحي المخاطب" في مراحل إجتماعية معينة ، في مقدمتها معاهد التعليم . فلقد لاحظت أن لغة المعلم في الابتدائي بل في الثانوي - وحتى في العالي أحيانا - لا تبعد عن العامة بكثير ، خاصة إذا كانت المادة مخصصة بالعلوم الرياضية أو الطبيعية . لذلك يعتقد أنه "كلما تنبذ على المعلم استعمال اللسان المنفرد فإنه ينبغي أن يجتهد في استعمال "النصحي التدريجي" حتى ترسخ في نفوس الطلبة ملكة اللسان القصص ، على مرّ الأعوام .

ثم إن من أهم الواجبات التي يجب فيها استخدام نصحي المخاطب ، برامج الإذاعة والتمثيلية ، التي كثيراً ما تتأرجع بين عامة مطبقة ونصحي متقدمة ، مما قد يفتقدها مسحة الحيوية أو لطيف العبارة .

ولقد نلاحظ ، مثلاً ، أن نشرات الأنباء تُلَقَى في ترونت التلاوة ، مع ما يستتبعه من أحوال في التركيب وهيئة في النطق بينما كان من الممكن إقازها في مثل طيبة الكلام دون كلفة .

وقد يكون إحكام هذا اللسان ، على النحو الذي نصلنا ، من العصر بمثابة السهل

المتبع ، لأنه يتطلب من برومونه أن يكونوا قد عكفوا عن ممارسته حتى استولوا على على غايته<sup>(١)</sup> ، للتوصل إلى تمام الإبلاغ والإبانة ولكنه شرط لإرجاع الحيوية إلى اللسان المنفرد .

لما الموطن الثالث الذي يحس فيه احتذاء خصائص القصص المبسطة فهو المسرح لما لهذا الفن من تأثير في مختلف الأوساط الاجتماعية .

ودلهم أن رجال المسرح انضفوا ، في ثورة دمشق<sup>(٢)</sup> ، على توصية تتعلق بتفصيل استعمال القصص في الحوار المسرحي ، فإن القضية بالنسبة إلى الكثير من رجال المسرح تدعو إلى مزيد التأمل فيما لديهم بنجم في نظرم من هذا الانحياز من حواقب .

فأنتصار العامة في الحوار المسرحي على شيء من الحق ، حين يقولون: إن شؤون الثقافة والفن لا يكون لها من قيمة حتى تتأصل في بيئة معينة ، وإنما لا تبلغ القيم العالية إلا بالانغماس في التربة المحلية .

وهذا رأي مصيب ، بشرط تلاقى ما يعوق الإنتاج الثقافي من الإشعاع ،

(١) العصر السابق ص ١٠٥٧ .

(٢) "البلدات الثلاثة في نطق مهرجان المسرح من ١٢ إلى ١٤ مايو ١٩٧٧" ، يعلق وكان عنوانها "دسائل النص المسرحي في بلدان التربة" .



بسبب ورود الحوار المسرحي بلغة محلية ،  
لا يفهمها إلا فئة من العرب .

لذلك يمكن الاتجاه ، في لغة المسرح ،  
إلى خصائص « لسان التخاطب » . كما يراها  
آغا ، وذلك بتخير الألفاظ بحسب فصاحتها  
وعليتها ، معا ، وبشكيف التراكيب  
والصبيغ ، يجعل اللغة المحلية أبعد  
ما تكون عن الالتئاق ، مع احتفاظها  
بالطلاوة والحركة ، واجتناب القدرات  
التي تختلف معانيها باختلاف الأصناف -  
ولربما احتفظت اختلافها منكرا - :

ونعتقد أن ذلك يمكن في الإنتاج المسرحي ،  
إد من مقتضيات المسرح أن يكون ، في  
نفس الوقت ، مطابقا للواقع ، ونتيجة  
جهد لئلا لا يصير المسرح دائما بلفظه .  
وبقدر ما يحسن ذلك ويتأكد في الحوار  
المسرحي ، فهو مصدر ، إلى حد ما ،  
في الحوار السينمائي ، ذلك أن السينمائي  
ألفق بالواقع اليومي ، في ابتدائه وصنوف  
أحواله ، والمسرح يته وبين الواقع فجوة ،  
هي فرصة لتدخل الجهد الفني . والمفروض  
أن السينمائي تقتطع مناظرها من صميم الواقع  
بينما يخضع المسرح بحملة من الاصطلاحات

الفنية لجعله يتجود عن قوائم بعض الشيء .  
ليتسنى له التفاضل إلى لب الحياة .



تلك هي ، في اعتقادنا ، الطريق  
المؤدية إلى إحلال لغتنا النصصي المكانة التي  
تصين لها قوة الحيوية والإشعاع .

فلا بد ، في آجال قصيرة ، في نطاق  
العلم العربي ، من الارتقاء باللسان المنون  
إلى أداء جميع العلوم والثقافات العصرية  
ولا ينبغي أن يكون في ذلك غير حل  
مستوى العلم ، ولا التئاق في المجال الثقافي .  
فهم المبدأتعميم النصصي للبيئة عن طريق  
ما أسميناه بـ « لسان التخاطب » ، حتى لا  
تكون النصصي لغة طبقة ، في المجتمع  
العربي ، ولو طبقة المثقفين ؛ إذ من أهدافنا  
جميعا ، تجاوز القروى الطيفية ، وتقريب الشقة  
بين الفئات الاجتماعية ، وذلك ليس فقط  
بالمعادلة الاقتصادية ، بل ، أيضا ،  
بالمساواة في التخاطب بلغة مشتركة ،  
لا هي حالية صوفية ، ولا هي معروقة  
الأصول عمودة القروى ، بلغة أصيلة  
حية ، تجمع بين كافة الشعوب العربية  
وتربط الحاضر بمجوده العريقة .

الشلالي القليبي  
عضو الجمع

# سوانح على صحة الشعر الجاهلي

## للدكتور ناصر الدين الأسد

حين

كنت أجمع ما كتبني  
عن مصادر الشعر الجاهلي  
وقيمتها التاريخية وعثرت على أبيات لقززدق  
وأبيات أخرى لشرافة بن يزداد المبالغي  
الأصغر، ذكرها لها نفر من شعراء الجاهلية  
بناتهاهم أو ألقابهم أو كُتلتهم ، وانتبها  
كلمات بما ورد في شعر بعضهم قد تبلغ  
شطرة كاملة ، وأشكرا إشارات سريعة  
إلى أوصاف بعضهم أو إلى حوادث  
خبروا بها . فالتفتُ أبيات الشاعرين في  
بحثي ، ولم ألحظ حينئذ حينئذ طويلا  
ولم أكنه لينا فيها من إشارات تدعو  
إلى تشيخ مثل علماء الأبيات وجعلها لتكون  
دليلا آخر ، قائما بلسان ، من أدلة صحة  
الشعر الجاهلي . واكتفيت بذكرها

آنذاك ذكرا علما في معرض الحديث  
عن علم الشعراء الأمويين بأيام العرب  
وأخبارهم وشعرهم .

وعرخت في بعد حين أبيات لشعراء  
آخرين من المخضرمين والإسلاميين  
فيها من الإشارات ما في أبيات لقززدق  
وسرافة ، فنبهتني إلى ما لم أكنه إليه  
من قبل . ورأيت أن أفرد لها هذا البحث  
الوجيز ، لأنها من أهم الأطلال التي تُسقط  
حجة من زعم وجود فجوة بين الشاعر  
الجاهلي وعصر التدوين العظمى للشعر  
الجاهلي ، في النصف الأخير من القرن الثاني  
الهجري لم يستبحر هذا التدوين في القرنين  
الثالث والرابع .

(٥) قام هذا البحث إلى عزيم جميع اللجنة البرية في الدورة الرابعة والأربعين ، المصنف في التاريخ في شهر  
ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ هـ - مارس (آذار) سنة ١٩٤٨ م .

فمن ذلك قول عمرو بن أحمرو اليامي  
هو شاعر جاهلي إسلامي ، <sup>(١)</sup> من قصيدة  
طويلة مطلعها

قد بكرتُ حادثي بُكرة  
ترعم أني بالغصبا مُشترِ  
قال <sup>(٢)</sup>

إن أسرا القيس على عهده  
في إزته كان بئسا مُحجِر  
بئت عليه الملك أطايبها  
كأش رنوناة وطيرف طوير  
بلمر حسد فوق أطلالها

وقرنتي نعدر عيه وير  
عني أنشه فيلق طامح  
لا تثنى الرجز ولا تنجز  
لما رأى يوما ، له حيرة ،

سرا حبوسا شره مقطر  
أوى إلى هند تحياتها  
وئال هذا من وداعي دُبر  
سرا حبوسا شره مقطر

وعمر بن أحمرو في هذا الشعر ، يشير  
إلى أبيات متعددة لا يرى لقيس  
هو لاء النسوة منها قوله :

أليال يذات الطلح عند حجير  
أحب إلينا من ليلال على أنز  
أعوى الصبح عند هر وقرنس

وليداً ، وهل أوى شياي غير هر  
إذا فقت فالحا قلت طلم مُدانة  
مُحققة بما يجيء به النجر  
ومها قوله

دار لهند واسرياب وقرنس  
وليس قبل حوادث الأرم  
ومها قوله

وليس أصنام من الحي هر  
أم الظاعسون بها في الشطر  
وهر تعيق قلوب الرجال  
وأقالت منها ابن عمرو حجير

(١) ذكر المرواني في معجم الشعراء أنه « تولى كل عهد عهده رضي الله عنه بعد أن بلغ من حاله » و يمكن  
الذكر حتى يكون جامع ديوانه وحقيقته جميعاً أنه « بعد به العصر إلى أيام عهد ملك بني مروان وثوبان بن عمرو »  
فمن رويين لم يهبط .

(٢) ديوانه ١٠ - ١٢٠ من طبعات مجمع اللغة العربية بدمشق

دُمْتُ بِسَهْمِ أَصَابِ الْفَزَادِ

غِلَاةَ الرَّحِيلِ . فَمَا أَنْصَرُ

• • •

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ قَبِيحٍ الْفَزَارِيُّ (١) ،

وَهُوَ جَاهِلِيٌّ أَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَهُوَ (٢) :

هَذَا كَلْبًا أَتَمُّ الْخُلُودِ وَقَدْ

أَذْرَكَ عَقْلِي وَوَلَدِي حُجْرًا

أَبَا نَعْرِي الْقَيْسَ ، حَلَّ سَمْعَتِهِ ؟

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا

وَقَالَ أَبُو النَجْمِ الْمَجْلِي يَصِفُ قَبِيحَةَ (٣) :

تَخَسَّى ، بَيْنَ الْيَوْمِ يَوْمٍ مِنَ الصَّبَا ،

بِبَعْضِ الَّذِي تَخَسَّى لِمَرُؤِ الْقَيْسِ أَوْ عَمْرُو

فَظَلَلْتُ تَخَسَّى بِالتَّيْبِطِ وَمِثْلِهِ

وَتَرَفَّعَ صَوْتًا لِي أَوْ لِمَنْ عَرَفَهُ كَثَرُ

وَيُشِيرُ أَبُو النَجْمِ بِهَذَا إِلَى بَيْتِ

أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي مَعْلَقَتِهِ :

نَقُولُ ، وَقَدْ مَالَ التَّيْبِطُ وَنَا مَجَاء ،

عَصْرَتُ بِعَمْرِي يَا لِمَرَأِ الْقَيْسِ فَانْقُولِ

• • •

وَقَالَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ بِعَائِبِ

أَخِيهِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ :

لَقَوْلِكَ الْمَرْءَ عَمْرُو فِي الْفَوَاقِ

لِقَيْسٍ حِينَ خَالَفَ كُلَّ عَصَدٍ ؟

أَعَلَيْكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

أُرِيدُ جِسَامَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ؟

وَعَمْرُو هُوَ عَمْرُو بْنُ مَعَدٍ يَكْرِبُ

النَّضَّاجِينَ ، وَغَيْسٌ هُوَ ابْنُ أُنْجَةَ قَيْسِ بْنِ

الْمَكْشُوحِ التُّرَايِي ، وَكَانَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ

يَتَلَاخِيَانِ وَيَتَنَاقِضَانِ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا

ذَكَرْتُهُ هُنَا . وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعَدٍ يَكْرِبُ

قَدْ قَالَ لِقَيْسٍ :

تَمَسَّلَانِي لِيَكْفَسَانِ قُبَيْسُ

وَجِذْتُ وَلَيْهَا يَنْحَى وَدَادِي

أُرِيدُ جِسَامَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي

عَلَيْكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

فَضَمَّنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ هَذَا

الْبَيْتَ الثَّلَاثِيَّ وَاسْتَشْهَدَ بِهِ بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ

صَجْرَهُ بِوَأَخْرِ صَدْرِهِ ، لِيَسْتَفِيدَ مِنْ فَائِدَةِ شِعْرِهِ .

• • •

(٢) المصروف : ٦ - ٧ .

(١) ذكره الأديب في المكنى والمختطف ولم يرد له غيره .

(٣) قصير والشمراء : ١٠٦ ، طبع دار الثقافة ببيروت ١٩٦٤ وذكر الزركاني في معجم الشعراء أن أبا النجم

يقول في أبيات هاتين عن عبد الله .

(٤) البكري : الخفيف حل لوهظ أي حل في أماله : ٢٢ - ٢٤ .

وقال الوليد بن يزيد<sup>(١)</sup> :

فوجسدي بسلي فوق وجد مُرقش

بأساء ، إذ لا تستفيق صراقة

لعمري لموت لا حقبة بعده

يلبي البث أشقى من هو لا يرأبلة

يشير الوليد إلى المرقش الأكبر وهو

عمرو بن سعد بن بني قيس بن ثعلبة من

بكر بن وائل ، وهو من متبني العرب في

الجاهلية وحشائهم ، عام بابتة عنه أسبه

بنو حوف ، وله فيها شعر كثير<sup>(٢)</sup> .

• • •

وقال الصلتان المهدي في الحكم بين

الفرزدق وجهر<sup>(٣)</sup> :

أنا الصلتان الذي قد حكمت

من ما يحكم ظهر بالحق صادق

أنتي جمع حين هابت قضائها

ولأني لي الفصل المبين فاطع

كما أنتد الأحنى نصبة عامر

وما ليتمير لي قضائي رواجع

ولم يرجع الأحنى نصبة جعفر

وليس لحكبي آخر الدهر راجع

ويشير الصلتان بهذه الأبيات إلى المناقرة

التي كانت في الجاهلية بين عامر بن الطفيل

ابن مالك بن جعفر بن كلاب ، وعلقمة

ابن خلقة بن حوف بن الأحرص بن جعفر

ابن كلاب ، وإلى قصيدة الأحنى في

الحكم بينهما وتفضيله عامر بن الطفيل

على علقمة بن خلقة ، ومن قول الأحنى

في هذه القصيدة<sup>(٤)</sup> :

حلقم ، لا أنت إلى عامر

الناقص الأولاد والواثر

واللابس الخيل بهيل إذا

سار قبلو الكبر الدامر

سدت بني الأحوص لم تقدم

وصامر ساد بني عامر

ساد وألنى نسبه سادة

وكاهراً سادوك عن كاهر

إن الذي فيه نلتهمنا

بمن السمع والتأخر

(١) مجلة العرب ، مجلد ٤ ، ص ٢٢٨ ، نقلا عن خطبة من له عمرو بن شعراء ، لابن أبراج .

(٢) الإبل ، والقطيع .

(٣) الشعر والعماء ، ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٤) ديوانه ، قصيدة ١٨ ، نشر مكتبة الآداب بالكويت .

حَكْمُوسُوفِي لَقَضَى بِهِنَكُم

أَبْلَجُ يَشْلُ الْقَصْرِ الْيَاهِرِ

أَزُولُ الْحُكْمَ عَلَى وَجْهِهِ

لَيْسَ قَضَلِي بِأَهْوَى الْجَلِيلِ

قَدْ قُلْتُ عَمَلًا قَضَى بِهِنَكُم

وَأَعْتَرَفَ الْمَنُصُورَ لِلنَّافِرِ

• • •

وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ يَمْلِحُ بَنِي حَنِيْمَةَ :

مُمْ غَرَنُوا بِالْبَكْرِ هَمْرًا وَأَنْزَلُوا

بِأَسْهَالِهِمْ يَوْمَ التَّرْدُوفِ ابْنَ ظَالِمٍ

قَالَ شَارِحُ اللَّيْثَانِ أَبُو نَصْرِ أَحْمَدُ بْنُ

حَاتِمِ الْبَاهِلِيِّ صَاحِبُ الْأَصْمَى : يَعْنِي .

عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ ، كَانُوا أَسْرَوْهُ فَعَرَنُوهُ

بِالْبَكْرِ . وَذَكَرَ أَبُو الْقَرَجِ <sup>(١)</sup> أَنَّ يَزِيدَ

ابْنَ عَمْرُو مِنْ بَنِي حَنِيْمَةَ انْتَهَى إِلَى عَمْرُو

ابْنَ كَلْثُومٍ لَطَعَهُ بِمَصْرَعِهِ عَنْ فَرْسِهِ وَأَسْرَهُ

وَشَدَّهُ فِي الْعِقْدِ ، وَقَالَ لَهُ : أَمَّا إِنِّي سَأَقْرَنُكَ

إِلَى نَاقَتِي هَذِهِ فَأَعْلُرُوكُمَا جَمِيْعًا ، فَاجْمَعِ

عَلَى يَزِيدَ قُوَّتَهُ فَنَهَوْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَرِيدُ

ذَلِكَ بِهِ :

• • •

وعمر بن كلثوم صاحب القصيدة

المعلقة : ألا هبني بمصاحبتك فاقصبرينا ،

التي شاعت ، ولما عمر بها بنو جُلُوم من قُطَيْبِ

قوم عمرو ، فقال في ذلك الشاعر الإسلامي

المَوْجِ التَّنَلِّي : واسمه ليس بن زِيَاد .

وهو ابن أخت القُطَيْبِيِّ <sup>(٢)</sup> :

أَلَيْهِ مِنْ جَشَعٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُوسَةٍ

فَصِيْلَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ .

يُنَاصِرُونَ بِهَا مَنُ كَانَ أَوَّلُهُمْ

يَا قَلْبُجَالٍ لِنَفْسٍ غَيْرِ مَسْئُومٍ

• • •

ونصل في نهاية هذا البحث للتوجز إلى

حيات الفرزدق وسراقة الباري لا أندنا

ليها في مطلقه .

(١) ديوانه : ٢٧٢ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٢٢ .

(٢) الأتاني (دار الكتب) ١١ : ٥٥-٥٦ .

(٣) معجم الشعراء (المجلد ١٩٦٠) : ١٥٣ ، والمؤلفات والقصائد (المجلد ١٩٦١) : ٢٨٦ ، وقصيدة

المرج في ديوان عمرو بن كلثوم (طبع في بيروت ١٩٦٢) ص ٢٠٢-٢١٠ .  
والمرج من بني مَلِكَةَ بْنِ يَكْرَبَ بْنِ سَهْبٍ ، وَجَدَهُمْ أَعْرَابَ اللَّهِ .

قال الفرزدق<sup>(١)</sup> :

وَحَبَّ الْقَصَائِدُ لِي التَّوَابِعُ إِذْ عَاوَا

وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجُرُولُ<sup>(٢)</sup>

وَالْقُحْلُ حَلِيقَةُ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ

حَلْلٌ لِللَّوْلِ ، كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ

وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَمَنْ قُتِلَتْهُ

وَمُهْلِلُ الشَّعْرَةِ ذَاكَ الْأَوَّلُ<sup>(٣)</sup>

وَالْأَخْشِيَانِ كَلَامُهُمَا وَمُرَثَّسُ

وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ<sup>(٤)</sup>

وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ حَبِيدٌ إِذْ مَضَى

وَأَبُو قُوَادٍ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ

وَابْتِئَا أَبِي سُلَيْمَى زَهِيرٌ وَابْنُهُ

وَابْنُ الْقُرَيْبَةِ حِينَ جَدُّ الْيَمُوقِ<sup>(٥)</sup>

وَالْجَنْجَرِيُّ وَكَانَ يُشْرَبُ بِبَيْلِهِ

لِي مِنْ قَصَائِدِهِ الْكِتَابُ الْمُجَمَّلُ<sup>(٦)</sup>

وَلَقَدْ وَرِثْتُ لِأَكْلِ أَوْسٍ مِنْطَقًا

كَالسَّمِّ خَالِدٌ جَانِبِيهِ الْحِطْلُ<sup>(٧)</sup>

وَالْحِطْلِيُّ أَخُو الْحِمَالِيِّ وَرِثَتُهُ

صَدْحًا كَمَا صَدَحَ الصَّفَاةُ الْمَعُولُ<sup>(٨)</sup>

• • •

وقبل أن نستقل إلى أبيات سرافقة :

تضيف إلى ما أوردناه من شعر الفرزدق

شعراً آخر له ، هو قوله يعلج قَطْلِي بِسِ

مُنْرَكَةِ الْكَلَابِيِّ<sup>(٩)</sup> :

سَأَجْرِيكَ مَعْرُوفَ الَّذِي يَلْتَقِي بِهِ

يَكْفَيْكَ ، لَأَسْمَعَ شَعْرًا مِنْ قَدِ نَحَلَا

قَصَائِدَ لَمْ يَقْدِرْ زَهِيرٌ وَلَا ابْنُهُ

عَمِيهَا ، وَلَا مِنْ حَزَنِهِ الْمُحْتَلَا

وَلَمْ يَسْتَطِعْ نَسِجُ أَمْرِى الْقَيْسِ مَثَلَهَا

وَأَحْبَبْتُ مَرَاتِبَهَا لَيْسًا وَجَسْرُولا

(١) ديوانه من : ٧٢٠ - ٧٢٩ ، الغنائم : ٧٠٠ - ٧٠٦

(٢) التوابع : العبداء النعماني والنجاشي والقياني ، وأبو يزيد : القهل السعدي ، وذو القروح : امرؤ القيس  
وجرول : الخطبة .

(٣) أخو بني قيس : عرقه .

(٤) أخو عكلمة : أبو الطيبان القتيبي .

(٥) ابن القريظة : حسان بن ثابت .

(٦) الجَنْجَرِيُّ : لبيد بن ربيعة . ويشترى أبي عازم الأسدي .

(٧) أوس بن حجر .

(٨) الحِطْلِيُّ : هو النجاشي الشاعر .

(٩) ديوانه : ٧٠٦ (فرج السامري) نشر مصطفى عبد

(١٠) حرلوه : القزوه .

ومابيتي قيس بن عيلان ، والذي

راه المتألبا بعض ما كان قولاً<sup>(١)</sup>

ولصيف كذلك بيت جرير في تقيضه

لفصيحة الفردوق الأول وهو قول :<sup>(٢)</sup>

حسب الفردوق أن نُسبُ مُجَانِحُ

ويُحَدِّثُ شِعْرَ مُرْقِشٍ وَمُهْلِلِ

وعند ذكر الفردوق في أبياته الأولى

اثنين وعشرين شاعراً ، منهم اثنا عشر

شاعراً جاهلياً كلهم مشهور له شعر

معروف ، لم يدرك الإسلام منهم إلا الأعشى

سيمون بن قيس ولم يسلم ، وذكر ثمانية

شعراء أدركوا الإسلام وأسلموا ، ولكن

أكثر شعرهم وشهرتهم كان في الجاهلية

وأما الشعراء الباقون في إسلاميان .

وكان الفردوق يسمى بعض هؤلاء

الشعراء جبناً ، ويكنى جبناً آخر بهذا

كنيتهم أو لقبهم ، وربما أضاف أوصاف

فيها نقد أو تلوخيخ ، كقوله عن علقمة :

إنه كانت له حلل للملوك ولا يتحمل كلامه .

(١) ينشد طرفة التي قل بسبب شعره .

(٢) ديوانه : ١٤١ (شرح الأصاوي) الطبعة الأولى ، نشر مصطفى عبد .

(٣) ديوانه - تحقيق حسن قنديل - ط ١ . لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٧ م من ٦٤ - ٦٦ .

(٤) قمرين الشاعر وخطاه .

وعن طرفة . إن شعره قُتله ، وعن مهلهل .

إنه مهلهل الشعراء وإنه الأول ، قد

أولئك الشعراء هو عن أبي الطمّحان القبي

إنه آخر قصيدة وإن كلامه يُتَمَكَّلُ به

وكقوله إن بشر بن أبي خازم كان قيل

ليبد .

أما أبيات سُرّاقة الياروق الأصغرغوى<sup>(٣)</sup>

ولقد أصيبت من القريمس طريقة

أخيت مصادرها قريش مهلهل<sup>(٤)</sup>

بعد امرئ القيس السوء باسمه

أيام يهذي بالدخول فحزول

وأبو ذؤيب كان شاعر أمية

أفلت نجوعهم ولما يسأقل

وأبو ذؤيب قد أدل صمابة

( لا يتصينك ) رابض لم يُلْدَلِ .

وأرادها حسان يوم تعرضت

بردي يصفق بالرحيق السلسل .

ثم أبش من بعله فتمنعت

وإعجال أن قريش لم يحذل



وَبِتَو أُنَى سُنْتِي يَفْصُرُ سَعِيَهُمْ  
عَمَّا كَمَا تَفْصُرَتْ دِرَاعَا جَسْرَوَلٍ

وَأَبُو يَعْصِيٍّ قَدْ لَمْ يُتَعَيَّرْ بِهَا  
إِذَا حُلَّ مِنْ وَادِي الْقَرِيْبِ بِمَحْتَمِلٍ  
وَأَذْكُرُ لَيْلَتِي فِي الْقَحْوَلِ وَحَامًا  
سِلْوَتُكَ الشَّعْرَاءُ إِنَّ لَمْ تَفْصَلْ

يُنْصَرًّا فَادْكُرْ وَإِنْ أَلْوَى بِهِ  
رَيْبُ الْمُنُونِ وَطَائِرُ بِالْأَنْجِلِ  
وَأَمِيَّةُ الْبَحْرِ الَّذِي فِي شَمْرِهِ  
جِئْتُكُمْ كَوْنِي فِي الزَّيْتُونِ مُفْصَلِ

بِالْبَنْصَرِ عَلَى تَقَادُومِ عَهْدِهِ  
مَنْ تَضَيُّتْ لَهُ قَضَاءُ الْفَهْمِ فَفَصَلْ

وَأَقْدِفْ أَبَا الطَّسْحَانِ وَسَطَ خَوَانِهِمْ  
وَابْنُ الطَّرَامَةِ شَاهِرٌ لَمْ يُجْهَلْ<sup>(١)</sup>

لَا وَاللَّيْلِ حَبَّتْ قَرِيْبُ بَيْتِهِ  
أَسْوَسْتُ إِذْ حَكَّتْكُمْ لَمْ آتِكُمْ

مَا نَالَ بِحَرِيٍّ مِنْهُمْ مِنْ شَاعِرٍ  
مَنْ سَمِعَتْ بِهِ وَلَا مَسْتَعْجِلِ<sup>(٢)</sup>

• • •

وَلِي شَعْرُ سُرَاقَةِ سَنَةِ عَشْرِ شَاهِرًا  
ذَكَرَ الزُّرْدَقُ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ ، وَلَا أَعْرِفُ

مِنْ مَنَاسِبِهَا قَالَ قَصِيدَتُهُ قِيلَ صَاحِبُهُ ،  
وَإِنْ كَانَ الْأَرْجَحُ أَنَّ سُرَاقَةَ تَوَقَّى قِيلَ  
الزُّرْدَقُ بَنُو ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَذَكَرَ سُرَاقَةَ  
شَاعِرِينَ جَاهِلِيَيْنَ لَمْ يَذْكُرْهُمَا الزُّرْدَقُ ،  
وَهُمَا حَاتِمٌ وَأَمِيَّةُ ، وَشَاهِرِينَ مَخْضَرَمِيَيْنَ  
هُمَا أَبُو خُوَيْبٍ وَمُعَقَّرٌ .

وَرَدَّ سُرَاقَةَ فَاتْتِيحِينَ مِنْ شَعْرٍ بَعْضُ  
هُوَ لَا وَالشَّعْرَاءُ ، فَذَكَرَ عَجْزِيَّةَ حَسَنَةَ هَرْدِي  
يَصِفُنَّ بِالرَّحِيْقِ السَّلْسَلِ ، وَذَكَرَ جِزْمًا  
مِنْ مَطْلَعِ مَعْلَقَةِ ابْنِ الْقَيْسِ حِينَ أَشَارَ  
إِلَى الْقَحْوَلِ فَحَوَّلَ .

• • •

وَيْدُ ،

لَمَّا نَعْرِفُ أَحَدًا شَكَّ فِي جَهْرَةِ الشَّعْرِ  
بِمَلِكِي أَوْرَدْنَاهُ وَلَا طَعْنُ فِي صِحَّةِ نَسْبَتِهِ  
مِنْ عَصْرِهِ وَلَا إِلَى شَاعِرِهِ . لَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ  
بَنِي عَمْرِو بْنِ أَحْمَرَ الْبَاهِلِيِّ وَأَبِي النُّجَيْمِ  
الْعَبَّاسِيِّ ، وَصَدَّ الرَّحْمَنُ بَيْنَ الْحَكَمِ ، وَالرَّالِيدِ  
لِبْنِ يَزِيدٍ ، وَالصَّلَاتَانِ الْعَبْدِيِّ - وَخِي  
الرَّمَةِ ، وَالْمَرْجِ التَّخْلِيِّ ، وَالزُّرْدَقِ - وَجَرِيرِ  
وَسُرَاقَةِ الْبَارِقِيِّ ، كُلُّ ذَلِكَ نَجَا مِمَّا نَعْرِضُ

(١) ابْنُ الطَّرَامَةِ - ابْنُ بَنِي حَسَنَةَ الْكَلْبِيِّ (مَعْجَمُ الشَّعْرَاءِ ٤ : ٢٧٠)

(٢) مَسْجِلٌ - كَلَامٌ فِي دَهْرَانِهِ الطَّلِيحِ ، وَلَا يُعْلَمُ مَا وَجَّهًا ، وَكَهْ وَهَبٌ مَعْنَى الْقَبُولِ .

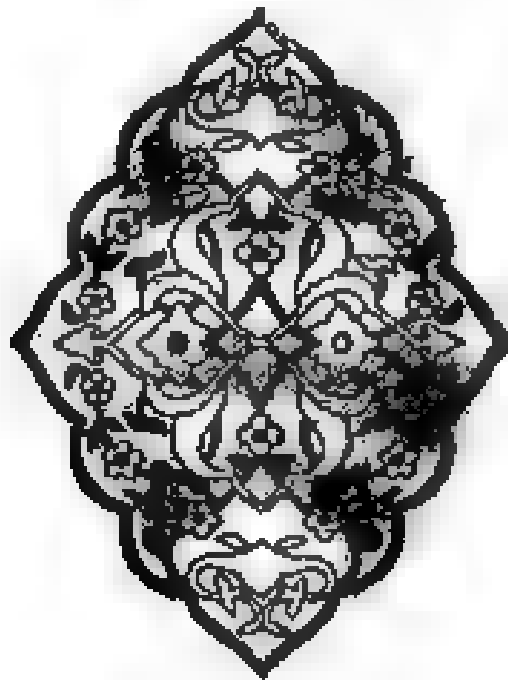
له الشعر الجاهلي من المفالات في الشك فيه ،  
 قصار وثيقة تاريخية يعتمد عليها ،  
 ويستشهد بها .

وليس من الكلام الذي يأتي على حواشي  
 أن يبدأ القرزوقي ذكر هؤلاء الشعراء  
 بقوله : إنيهم ، وهبوا القصائد له إذ مضوا ،  
 وأن يقول في البيت الثامن إنه ، ورث  
 منطقهم ، . فهذه إشارات محكمة نفسها  
 إلى غيرها مما أوردناه من شعر صدر الإسلام ،  
 والشعر الأموي ، لتصبح كلها واضحة  
 الدلالة على أن التراث الشعري الجاهلي  
 ظل موصول الحلقات متناقله الحلق من  
 السلف ، والجيل بعد الجيل عند المعصر

الجاهلي ، بل منذ الشاعر الجاهلي نفسه ،  
 دون انقطاع حتى عصر التدوين العلمي  
 في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري  
 حين أخذوا الرواة العلماء مشافهة وتدوينها  
 من أقوال الرواة ، ومن شعر الشعراء ،  
 ومن كتب القبائل والنسب ، فكان حائماً  
 مصوناً محفوظاً ، ذخيرة لهذه الأمة  
 تربط حاضرها بماضيها ، ويثبت ماضيها  
 بما في حاضرها ، ويضمن لها وحدتها  
 الثقافية بواصلاتها التاريخية بوقائمه الفكرية  
 وخصائصها القاتية .

ناصر الدين الأسد

عضو للجمع



# بين العاصمية والفضحة

لأستاذ زعيم الزمان البصير

حينما

تبحث تطور اللغة العربية ،  
تجد الشكوى من خروج  
اللهجة العامية كل بروز  
في نصف القرن الأول للهجرة ، على وجه  
التضريب ، وهذا يعني أن هذا التزوّد قد  
بدأ بعد ما امتزجت الأمة العربية بالفرس  
والروم واليونان وغيرهم من الأمم الأجنبية  
متراجعا قويا تمثل في مصاهرة العرب هذه  
الأمم ، فامتثلوا منهم الزوجات والحولاء  
فالمجن لهم البسات والاولاد . . . ونحن  
نعلم أن للأمهات تأثيرا كبيرا على بناتهن  
وأولادهن وأزواجهن بفضل التربية والمعاينة  
كما جعل الكثرة العاصمية تشجع بين الناس  
حتى الشعراء والأمراء منهم .

هكذا جسد الله بن زياد ، وهو الذي أصبح  
أميرا على خراسان ثم الكوفة والبصرة  
يعرف في كلامه فينطق بما يعاب عليه لأن  
مه فارسية لسانها مرجانة . . . فمن ذلك  
قوله : « انتصروا سيوفكم » ، يريد سلوا  
سيوفكم ، ، مما فتح مجالا لعجوز يزيد بن المخرم  
« حيث قال :

ويوم فحمت سيفك من يدي

أضحت وكل أمرك الضياع

ولو لم يتأكد هذا الشاعر بأن استعمال  
عبد الله بن زياد لهذه اللفظة ، مما يؤخذ  
عليه بما لا أنكر عليه هذا الاستعمال ، ولكنه  
زياد الأصم مشهورة بتدربها عليه أهل زمانه  
بالرغم من أن مؤرخي الأدب يقولون  
عنه بأنه شاعر جزل القفص فصيح الشعر  
ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يحصل من  
لكنه العاصمية لأنه ولد ونشأ بأصفهان ثم  
انتقل إلى خراسان فلم يزل بها حتى مات ،  
وهو صاحب المروية المشهورة التي نظمها  
بعد موت الخيرة بن المهلب والتي جعل فيها :

لأن مروت بقره فاختر له

كرم اللطي وكل طرف سايب

فقال له يزيد بن المهلب بعد ما أنشده  
هذه القصيدة : أغفرت أنت هذه ؟ قال  
« كنت على بنت المار » يريد « الحمار » .  
ودعا زياد خلاصه فأرسله في حاجة ،  
فأبطأ ، فلما جاءه قال : منذ لئن دأوتك  
إلى أن قلت : لبي ما كنت تحسأ ؟ . يريد  
منذ لئن دعوتك إلى أن قلت : لبيك .  
ما كنت تصنع ؟ ومن الواضح أن هذه  
الفاظ في غاية الكثرة والقيح .

(هـ) قام هذا البحث إلى مؤتمري جمع اللغة العربية في الدورة الرابعة والأربعين المنعقدة في القاهرة في شهر ربيع

الآخر سنة ١٣٩٨ هـ - مارس (آذار) سنة ١٩٧٨ م .

وأنت حين تنظر في شعر زياد نجد  
من المتكئين في نظم الشعر . ويقال إن  
عبدملك بن مروان كان يشبه الحسن بالملوح  
في الوجه الجميل والشن في الثوب النعيس .  
يقال إن الحجاج كان يقرأ : « إنا من  
المؤمنين متقون » ، وقد روى في باب  
الحسن روايات لها كثير من الطرافة .  
فمن ذلك أن الحجاج سأل نخعاً : أبيع  
الدواب للمعبية من جند السلطان ؟  
فأجاب : شريكنا في هوازها وشريكنا في  
مناياها ، وكنا نجوء تكون ،

ولم يلهم الحجاج ما يقول ، فقال له :  
ويك ما فعل ؟ . فقال بعض من قد كان  
اعتاد سماع النخع وكلام العلوج بالعربية  
حتى صار بينهم مثل ذلك . . يقول :  
« شريكنا بالأهواز وبلنسان يحرثون إلينا بهل  
الدواب ، فنحن نعيمها حل وجوهها » .  
ومن ذلك قول بعض الشعراء يهجو أبا  
وليد له :

أول ما سمع منها في السمر

تكبيرها الآنثى وتأنيت الذكر

ولو أردنا أن نقتبص تحريف المقردات  
العربية عند بعض اللين تأثروا بمجمة أمهاتهم  
أو بتريتهم ونشأهم بين الأحاجم لظال  
بنا للقام .

وكل ما أردنا أن نخلص إليه ، هنا .  
هو أن هذا الضخم لبعض المقردات العربية  
وهذا الحسن في التلق في بعض الناس  
أخرج نفوس بعض علماء اللغة ورواها  
كالأصمعي وأبي عمرو بن العلاء ، وابن  
الأحرابي وغيرهم من العلماء إلى حد دفعهم  
إلى الخروج إلى الهادية ، والبقاء فيها مد  
طويلة ليسجلوا ما ينطق به لؤلؤة اللين  
يمحون بعيداً عن مخالطة الأعاجم حتى  
حتى جمعوا من ذلك مقردات لأخص . .

ثم أخذوا يستمدون منها معانيهم كانت  
في مبدأ الأمر تسمى بأسماء الإبل والغزل والظباء  
والسيوف والرماح : : وما إلى ذلك  
من أسماء الأشياء والأماكن : : من  
لودية ومياه وأشجار وأحشاب : : ثم  
تطورت إلى معاني اللغة عما لا يحصل لها  
للقام تفصيله ، كذلك دفع الحسن إلى  
وضع علم النحو على يد أبي الأسود الدؤلي ، على  
أن بعض العلماء ينسب إلى أن علم النحو  
ليس عربياً محضاً . . . لكني

أعتقد أنه عربي خالص لأن ما تبقى من  
من الشعر الجاهلي يجري على قواعد متينة  
من علم النحو . . . ولعل مثل ذلك في علم  
المروءة . . . لأننا نجد ما تبقى من الشعر  
الجاهلي يجري كله على أوزان وقواعد  
لا يكاد يشذ عنها إلا في حالات نادرة .

ولانسى أننا قد فقدنا آثاراً كثيرة  
من تراثنا العربى . . وقد يكون فيها فقدان  
تفسير لكثير من الأمور العربية والتاريخية  
التي تختلف فيها العلماء ، مما يخلق كثيراً من  
الغيرة لدى كثير من الباحثين :

ومهما يكن من أمر ، فإن اللغة العربية  
قصصية قد اجتازت كثيراً من الأزمان  
وخرجت منها كأقوى ما يكون . . طاعتت  
على ما جاءها من سبل هائل ، بما ترجم  
من اليونانية والفارسية والمنديقونية تلك اللغات  
علوم كثيرة كالهندسة والطب والفلك والحساب  
والفلسفة . . وما إلى ذلك من العلوم  
النظرية والتطبيقية ، وقد فصل ذلك مؤرخو  
الأدب تفصيلاً لا مزيد عليه . : فكانت  
لغة العربية في نحو مستمر يوم أن كانت  
الأمة العربية تصنع الحضارة وتنفق فوق  
رأسها رايات النصر في كل نواحي الحياة ،  
فلما توقفت عن المشاركة في صنع الحضارة  
وشحيم عليها ظلام الانحطاط عدة قرون ،  
ضعفت لغتها كما تضاعل تفكيرها لأن اللغة ،  
كما لا يخفى ، وعاء للنشاط الفكرى والحضارى  
للأمة . وبقيت الأمة العربية على هذا الحال  
المؤسف حتى جاء مطلع هذا القرن وشاء الله  
لها أن تستيقظ . . وجدت نفسها أمام  
حضارة أجنبية انهر من بعض العرب  
إلى درجة جعلهم يعتقدون أن اللغة العربية  
غير قادرة على تقبل ما يجدون في حياتنا العصرية .  
وقد أدرك الأجنبي هذا الالتزام في بعض

النصوص فأخذ يزرعه بجميع صلتها بعض  
الناس . . لكن النقصين الواضحين  
تنبهوا إلى بطلانها وأنها ليست إلا سبباً  
يؤدى إلى قلب هذه الأمة ، فإذا ما آمنت  
الأمة بصفت لغير . والله يصيغ من اليسير  
بل أصدائها لتدمرها لأن وجود الأمة  
كن بالإيمان بلغتها . وإذا بنا نرى من  
دمر إلى اصطناع الأهمية العامة بكل  
عراحة أو وقاحة ، على الأصح ، بحجة  
أن هناك الاختلاف واسماً بين لغة الحديث  
ولغة الكتابة ، مما يخلق صعوبة شديدة  
في جميع النواحي في المرحلة الابتدائية  
والمتوسطة : فالطلاب يعانون حاداً  
شديداً في دراستهم الثانوية لأنهم يتعلمون  
باللغة القصصية . وإذا كان هذا حال  
طلاب في المرحلة الثانوية ، فكيف  
يكون حال الطلاب في المرحلة الابتدائية  
والمتوسطة ؟

ومعنى سببه ذلك إلى تعقيد الحروف  
الهجائية العربية . فكيف يكون الأمر سهلاً  
لأولئك الطالب أن يكتب بلغة ، إن لم تكن  
هي لغة الحديث الشائعة ، على كل  
حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة .  
دلاً من أن يجر على الكتابة بلغة هي من  
القراءة مثل غرابية اللغة اللاتينية بالنسبة إلى  
الإيطاليين ، أو مثل غرابية اللغة اليونانية  
القديمة بالنسبة إلى اليونانيين .

هذا بعض ما قاله أحد المعاصرين وعلى رأسهم ( وليم سيدنا ) في كتابه « قواعد العربية العامية في مصر » . وقد أدرك هذا المخادع أن في دعوة هذا خطراً حقيقياً على أقوى رابطة تربط بين العرب والمسلمين وتسمى بها الدين الإسلامي ، مما يشير عليه ثائرة الأمة ، لما حاط ط لذلك قائلا : « وحتى ما يدعى بالرحمة بين الشعوب الإسلامية لا يمكن أن يلقاها تبني لغة الحديث العامية إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى ستظل كما هي في كل مكان » :

ومن الواضح أننا لو سلكتنا هذا السبج في تنفيذ هذه الدعوة السبومة لباحثنا بيننا وبين لغتنا الحقيقة وتراثنا العظيم ، بحيث يجعلنا غير قادرين على تذوق ما في لغتنا ، ونعمهم ما في تراثنا من نظريات حيقة وملاوة وقوة وتعبر عن القيم والمواطف الإنسانية فلولا حماة لغتنا على لغتنا العربية القصصى وتقاليدنا تراثنا القديم لمحدث انحصال تام عن أسلافنا من العلماء والشعراء والأدباء والمفكرين ... فتصبح أمة ناشئة بدون تراث ولا تاريخ .. فإن الفرد منا حين يعرف أن تاريخ أمته يضم حياة أمثال الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان والكنيتى وقائى بن قررة والبيرونى وغيرهم من العلماء ، وحين يعرف أن تراث أمته يحوى عن شعراء أمثال ابن

الطيب المنبى وابن الرومى وأبى العلاء المعرى وأبى تمام وأمثالهم من الشعراء الكظام . . . ويحوى على علماء في التاريخ أمثال الطبرى وابن الأثير والبلاذرى وابن خلدون وكثير من أمثالهم يزناد ارتباطه ويقوى انتمائه إلى هذه الأمة .

وبما لا يحتاج إلى توضيح أن معرف الأسماء لا تكفى الفرد ، وإنما يحتاج إلى أن يطلع على آثار أولئك العلماء والشعراء ويعتبر آثارهم فتكون ثروته العقلية والفكرية مستمدة من تلك الآثار ؟

وليس من شك أن من يبعد عن اللغة العربية القصصى ، كما يبنى أعداء هذه الأمة فإنه لا يستطيع أن يلقى حقله من تلك الآثار العظيمة ، مما يجعل حقله فارغاً يقبل ما يجر من فيه من فكر أجنبي .. وبذلك يتصل عن أمته كل الاتصال . : وهذا أقصى ما يسمى إليه المستعمرون :

ذلك ، نجد المهندس الإنجليزي ( وليم ولكوكس ) يثث سموه قائلا : إن أهم حائق يتمتع المصريين من الاختراع هو أنهم يوتفون ويكتبون باللغة العربية القصصى وأنهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لأحان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها ...

وليس من شك أن هذا الماكر المتعرض لا يتصد المصريين في هذا القول ، وإنما

بفصد جميع العرب ... ولكنه خاطب  
المصريين لانه يدرك بأن مصر لو استجابت  
إلى دعوته فلان أضربوها ستم جميع  
الأمة العربية ، لما لمصر من مكانة عظيمة  
وتأثير عظيم بين العرب والمسلمين . وقد  
أراد هذا المهندس الإنجليزي أن يثبت أن  
اللهجة العامية قادرة على أن تكون ذات  
مستوى رفيع ، قضى يترجم بعض قطع  
من روايات شكسبير ، ولكنه أخطأ في  
ما أراد إثباته من أن اللهجة العامية يمكنها  
أن تستوعب ما يتخلل إليها من الأدب الرصين ..  
نجات القطع التي ترجمها مشروحة ركيكة  
(١) .. فذلك كان حظه حين حاول ترجمة بعض  
آيات من الإنجيل إلى اللهجة العامية (٢) :

وليس ميتا ووليم وولكوكس هما  
الأجنيان الوحيدان اللذان كففا قناع  
عداوتهما لغة هذه الأمة وتراثها ودينها وإيمانها  
كانا من أقوى الدعاة إلى المكر والفضيل .

ومن الغريب ، حقا ، أن هذه الدعوة  
بلاكرة قد ظهرت بابا واسعا دخل فيه  
نحقاء الإيمان بترات هذه الأمة ولغتها  
لأبنائها بصحح وأمية ... هي تلك الحجج  
التي استند إليها سيلتا وولكوكس والقاضي مور  
وغيرهم من دعاة الأجنبي للمستعمر ، كما  
دخله أقوياء الإيمان بترات هذه الأمة ولغتها

ودينها فنبهوا الناس إلى مافى هذه الدعوة  
المضللة من أضرار كبيرة .

والحق أن مؤلف كتاب تاريخ الدعوة إلى  
العامية وآثارها في مصر قد ألقت بهذه القضية  
الخطيرة ، كل الإلزام ، وفيه لها تفصيلا لا مزيد  
عليه ، مما جعل كتابها هذا مرجعا لا يستغنى عنه في  
هذه القضية . فالواقف على هذا الكتاب يجد  
أن هذه القضية قد تفرقت منها عدة فروع  
كبيرة : لعل في بعضها خير اللغة القصصية ..  
من ذلك ، مثلا ما حدث من نشاط في  
تأليف كتب النحو ، حاول فيه أولئك  
المؤلفون تبسيط هذا العلم وتقريبه إلى الناس ،  
وكما كتب من بحوث في كثير من العلوم  
والفنون ومسائر جوانب الأدب ابتعد فيه  
أولئك الكتاب والمؤلفون عن التعميد بحيث  
أصبحت آلاهم ميسورة يقرأها سائر  
الناس فيفهمونها كل الفهم ... وبذلك تمت  
حقولهم وتوسع آفاق تفكيرهم .. ويقال مثل  
هذا في بعض كتب القصة الذين جربوا  
أن يكتبوا باللهجة العامية فقرأوا أن هذه  
اللهجة لا تطاوعهم كما تطاوعهم التصحيح  
في التعبير الفني عما في قلوبهم فأهملوا  
وجوههم عن هذه التجربة كما حدث للمرحوم  
محمود تيمور (٣) :

من هذا كله يتضح أن ليس كل من  
كتب باللهجة العامية خصها اللهجة القصصية ،

(١) تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ، المذكورة فقرة ( ص ٥٥ - ٥٦ ) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ( ١٠٤ ) .

فإنه هناك أناسا دخلوا هذه التجربة لاعتقادهم أن طريقها في تثقيف الجماهير أنصر من طريق القصصى : وما زال بعض كتاب القصة يسلكون هذا هذا النهج مستندين إلى هذا الرأي .

وفي اعتقادى أنهم غير مصيبين ، فها ذهبوا إليه ، لأنه لا يجوز إشادة ركن على حساب تخطيط ركن آخر : فله افترضنا أن طريق العامة أقرب إلى نفوس الجماهير من طريق اللغة القصصى فإن علينا أن لا ننسج هذا الطريق لعدة أسباب .. أولا : أن لكل قطر عدة لهجات : ففى أى لهجة يكتب الكاتب .. بالإضافة إلى أن اللهجات العامة تنحيز بصورة مستمرة .. فكلما انتشر التعليم أقرب الناس من اللهجة القصصى ، مما يعنى أن كل من يكتب باللهجة العامة فإنه يكتب لتقطر من الأقطار إن لم تقل لمنطقة من المناطق ، مما يجعل آثاره لا تصلح إلا لمدة يسيرة ولتقطر معين .. ثم لا تلبث هذه الآثار أن تزول إلى الأبدان .

وما نظن كتابا يقبل أن يكون عمر آثاره قصيرا .. فكل كاتب يسعى أن تبقى آثاره أطول مدة ممكنة يرجع إليها الناس ، ثم إن هناك أمرا أهم من كل ما ذكرناه وهو : أن اصطناع اللهجة العامة يعارض الوحدة العربية : وهو أمل يسى إلى تحقيقه كل مخلص لل

الأمة : : ذلك أن اصطناع اللهجة العامة يمسق للتجزئة ويقوى الدعوة الإقليمية : فنحن نعلم جميعا أن اللهجة القصصى مفهومة لدى كل عربي من المحيط إلى الخليج : : وأنت إذا وقفت على أى أثر باللهجة القصصى أدبيا كان أو غير أدبي ، فإنتك لا تستطيع أن تعرف ما إذا كان كاتب ذلك الأثر سوريا أو عراقيا أو خليجيا أو مغربيا ، لأن القصصى لهجة واحدة لا يوجد فى من يكتب فيها أى تمايز أو اختلاف إلا فى حالة نادرة لا تكاد تذكر .

ثم إن هناك تجربة قامت بها مؤسسة الإنتاج البرامجى المشترك لدول الخليج العربى ، وتتلخص هذه التجربة فى أنها أعدت برامج تلفزيونية للأطفال باللهجة القصصى وأوسلوا بعضها إلى تونس ومصر وسوريا والعراق والخليج ليعرفوا مدى تقبل أطفال هذه الأقطار العربية وفهمهم للهجة القصصى .. فخدمات النتائج مبشرة سارة بحسب ما يقوله المشرفون على هذه المؤسسة : : فقد بلغت حوالى ثمانين فى المائة ، مما يؤكد أن اللهجة القصصى هى اللهجة الصحيحة المقبولة فى جميع البلاد العربية .

فالتجربة كل الخير أن تعود الجماهير على اللهجة الصحيحة ، محتلمين كل ما يقف أمامنا من عقبات ، فإن فى ذلك تعزيز



لأنهم ركن يستند إليه وجودنا ونعني به  
لغتنا ، لغة القرآن »

ومن المولم ، حقا ، أن نجد بعض  
الدرسين يصطنعون اللهجة العامية المحلية  
تطعيمهم للطلاب ، مما يجعل الطالب  
ضعيفا أشد الضعف إذا أرد أن يعبر باللهجة  
الفصحى :: ونحل هذا السج بفسر أسباب  
ضعف الطلاب في قواعد اللغة العربية ::  
أما ما يقال عن وجوب العناية به الأدب  
الشعبي « فولكلور » والمحافظة عليه ..  
ذلك الأدب الذي يركز على اللهجات  
العامية ، لأنه مصدر هام لكل باحث في  
علم الاجتماع والتاريخ بمعناه الواسع ::  
فإن الجواب على ذلك هو أن هناك فرقا  
كبيرا بين العناية بالأدب الشعبي والمحافظة  
عليه وبين تسميته وتغلبته .. فالمحافظة على ذلك  
الأدب تعني تسجيله في كتب تخصص لذلك  
يكون مرجعا للباحثين ، على أن يكون تسجيل  
هذا الأدب مقصورا على الشعر الذي صدر  
قبل نصف قرن من الزمن أو أقل بقليل ،  
لأن الأمة العربية بدأت محوها في تلك  
المدة أو قبلها بقليل .

والمقصود من دراسة هذه الناحية من  
من الأدب هو معرفة ماعليه حالة الأقطار  
العربية من الناحية الاجتماعية قبل أن تفتح  
على الحضارة المصرية .. ولكن الذي يجري  
في معظم البلاد العربية إن لم أقل في جميعها -  
هو أننا نسمي الأدب الشعبي ونعني به بما يقرب  
من عنايتنا بأدبنا الذي يركز على اللهجة  
الفصحى .. فالمطابع ما زالت تشر النواوين  
التي ينظمها الشعراء بمختلف اللهجات العامية ،  
والصحف تعلق عليها وتتو بها مثلا تنوء  
بالشعر الذي يعتمد فاعلموه على اللهجة الفصحى ::  
بل إن معظم الأغاني العربية تعتمد على الشعر  
العامي ::

ومن الواضح أن للموسيقى قدرة عجيبة  
على ترسيخ ما يُغنى به في النفوس :: ولست  
أبعد عن الصواب إذا دعوت إلى دراسة  
هذه القضية الهامة دراسة دقيقة من قبل لجنة  
تخصص لهذا الغرض ، لكي تتوصل إلى  
قرار مدروس فيه تعزيز لغة الفصحى ::  
فإن في ذلك أجل خدمة لهذه الأمة العظيمة .

عبد الرزاق البصير

عضو المجمع المراسل من الكويت

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٩/٢٠٢



مطابع الشركة القومية للتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

محسن محمود بهجت